
الدكتور حسين كنعان


شؤون سياسية


دار الباحث


شؤون سياسية

الدكتور حسين كنعان

شؤون سياسية

دار الباحث

الطبعة الأولى
١٩٨٥م

دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع
ساحة ابن الأثير - طلعة جنبلاط - كليمنصو
تلفون ٢٦٨٥٢٥ - ٢٦٨٥٢٨ - برقياً دالباحث
ص. ب ١١٣/٥٦٦٠ - بيروت - لبنان

المقـدمـة

الانسان والحياة والارض ظاهرة تطل على اللبناني بعدما ادخلوه لعبة الأمم ورموا به على اعتاب ازمة الضمير العربي والعالمي . جعلوه يتخبط في لعبة الخوف من المجهول وما تخبئه له خفايا السياسة الدولية والاقليمية . هذه الظاهرة هي ظاهرة اللبناني مع نفسه ومع ما يحيط به . مع نفسه لانه يريد ، كما في الماضي ان يكون ، سيد ارضه يعطيها فتعطيه . مع نفسه لأنه يريد ان يعطي الحياة معنى وغاية في هذا الوجود ، ينسجمان مع تطلعاته ومع ما يحيط به من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية . انه لا يريد اكثر من ان يشارك في حضارة العصر من خلال سيادته الوطنية وكرامته الانسانية .

الحياة لمن لا يؤمن بكينونة هذا الوطن ، هي الحياة لمن يقول في نفسه « انا موجود على هذه الارض ومنها يجب ان استمد قوتي حتى ولو تضارب ذلك مع المصلحة القومية » .

إن مبادىء الوطنية الحقة هي ارتباط الفرد بخالقه اولا وبمواطنيته ثانياً . هذان البعدان يشكلان جوهر الوجود ، واذا انفصم احدهما عن الآخر فان الوجود يصبح تواجداً غير مرتبط لا بالانسان ولا بالارض . واذا تصارع البعد الأول مع البعد الثاني على ارض الوطن ، فلا شك في أن

لبنان الذي نريده نموذجاً للتعايش تهتز ركائزه الحضارية والفكرية بعدما اهتزت ركائزه السياسية .

بعد الحرب التي دارت على ارضه اصبح اللبناني يعيش مع نفسه حالا شعورية معينة نتيجة وضع اجتماعي متشنج ، وحالا مستمرة من الرعب والقلق النفسي وأزمة الضمير التي تبرز في انفعالات عصبية غير منضبطة تؤثر على حياته وحياة ابنائه من بعده . هذه الانفعالات قد تؤدي الى طريق العنف الفردي والجماعي . وكما يقول علماء النفس والاجتماع ، ان العنف كما الحب ، حال غرائزية عند الانسان تتعلق بجهازيه العصبي والعقلي (ويبقى ذلك نسبياً لدى الافراد والجماعات) . ولكن من المفروض ان يعتاد اي مجتمع ما على طريقة او طرق يستطيع ان يفرغ بواسطتها عنفه دون ايذاء الآخرين .

ان لعبة الكرة (الفوتبول) او المصارعة او المباراة الرياضية قد اصبحت وسيلة عند الجمهور لتفريغ العنف والكبت عندما يعيش مع اللاعبين ويتحمس لهم . ومعظم ابناء الولايات المتحدة ينتظرون لعبة الفوتبول وكأنها الدواء الذي يشفيهم من العناء والضغط والارهاق . اما في شرقنا خصوصاً في وطننا لبنان ، فان الانسان في يأسه وفرحه ، يستعمل وسيلة اطلاق النار لازالة حالة التوتر العصبية التي يعانيها . ان للديمقراطية ثمناً عليها ان تدفعه ! هذا الثمن هو ان نترك العنان للجماعة فرصة للتعبير عن آرائها ، دون أن تأخذ هذه الحرية اكثر من حقها ، وتتحول الى ما هو مناف لمبادئها . أي ان تتحول الى ممارسة العنف والارهاب . وهنا يجب ان يكون نظام الدولة قادراً على استيعاب هذه الموجات . نظام الديمقراطية « كالبالون » المرن الذي يتحمل الصدمات التي يجب الا تؤدي به الى الانفجار . اما اذا حصل الانفجار فهذا يدل على ان النظام ما كان ولم يكن ديمقراطياً لأن النظام الديمقراطي ، يجب ان يكون مرناً وقاسياً

في الوقت نفسه كي لا يسمح للانفجار ان يقع . اما اذا كان النظام غير ديمقراطي ، فان اي لكمة تصيب البالون قد تؤدي به الى الانفجار ، لأنه ليس بالمرونة التي تمتص الانتقادات التي تحصل ضده ، وقلما يحصل ذلك في الدول النامية .

إن مرونة النظام الديمقراطي يجب ان تتحول وبسرعة الى قسوة تضرب بها كل من يريد تفريغ عنفه في ايذاء الآخرين ، وهذا ما كان يجب ان يحصل في لبنان قبل وقوع حربه . إن تفجير العنف الغاشم على حرية المواطن الآمن وسيادة الوطن وكرامته يجب ان يتحول على صاحبه من قبل النظام ، حتى ولو كان على حساب الديمقراطية ، لأن تفجير العنف في وجه المعتدي اياً كان هو عنفوان الشريف وصرخة الكريم .

والمسيحية ، ام التسامح ، دعت الى العنف في وجه الطاغية نيرون ، فحرقت روما ، وهشيم نارها اصبح مشعلا للثورة في وجه الظالم والمعتدي ، ولو لم تسلك المسيحية هذا الطريق لبقي نيرون وامثاله وذريته يتلذذون بآلام الآخرين وهم يرشفون النبيذ .

الاسلام الذي جاء برسالة الاخلاق والشورى والمساواة لم يسمح للعنف المدمر ان يأخذ مجراه على حساب المؤمنين . فقد حارب الاسلام دعاة العنف الغاشم وارشد الناس الى التقوى والاستعانة بدستور الاسلام لحل مشاكل القوم ، وبالوقت ذاته كان ثورة على الطغاة والمستبدين .

اذا كان عنف المسيحية والاسلام المتصلب مع الحق والعدالة في خدمة الارض والانسان والحياة ، فانه العنف المطلوب لازالة حال الرعب التي تسيطر على المواطن اللبناني .

إن المناداة بالشرعية وبالسيادة هي كلمات رنانة كالحرية والعدالة والمساواة ، اذا لم تقترن بالسلطة . الذين ينادون بالشرعية والسيادة يقفون

في وجه السلطة . فكيف تفهم الشرعيـة والسيادة دون سلطة من قبـل البعض . انها كمن ينادي بالديمقراطية ويتقن فن الديكتاتورية .

لقد سئل بابادوبولوس عن مفهـوم الديمقـراطية فقـال وهو الحـاكم العسكري بأن أجمل وجه للديمقراطية سلطة في يد العسكريـين وليس في الفوضى والجهل والتخلف كما أنه ليس حكماً في يد الغوغائيين والمنحرفين.

الفصل الأول

في السياسة الدولية



مَن يصنع القرار في الولايات المتحدة الأميركية ؟

ان عقلية الصراع ملازمة للانسان منذ بدأ يتعاطى ويتفاعل مع الإنسان الآخر . وما دام هذا الانسان في حالة صراع مستمر فعليه ان يدرس ويخطط ويرسم استراتيجية يواجه بها حالة الصراع اذا حدث . ليس من الضروري ان تكون حالة الصراع عسكرية ، فالصراع له جوانب عديدة يمكن ان تسبق حالة المواجهة العسكرية وممكن الا تتحول الى مواجهة عسكرية ، فإما ان تتجمد أو أن تبقى صراعا سياسيا ، اقتصاديا أو اجتماعياً محدودا الخ .

البعض فسر بأن الصراع حالة مرضية ، ويجب التوصل الى استئصال المرض والغاء مسبباته بينما البعض الآخر ينظر الى الصراع كحالة قائمة ومستمرة ولا مناص منها لذلك يجب التركيز على دراسة السلوك والتصرفات المتعلقة بحالات الصراع عند المشاركين بها ، ودراسة الاستراتيجية التي يرسمونها ويخططون لها .

ان دراسة استراتيجية الصراع ممكن ان تأخذ رحالها في عالم الفكر السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي على الاسس التالية :

ـ أولا : يمكن ان نكون على علاقة مباشرة بالصراع وذلك يحتم علينا ان نفكر كيف يجب ان تدار هذه المعركة بكل جوانبها .

ـ ثانيا : مهما يكن الأمر فإننا ما دمنا نعيش على وجه الكرة الارضية ونعيش في نظام دولي له هيكليته ونظامه فإننا والحالة هذه نعيش حالة صراع دائم لم يتوقف منذ فجر التاريخ .

ـ ثالثا : ما دامت امكانية علاقتنا بالصراع واردة فعلينا اذاً ان نفكر كيف نربح دون ان نرمي انفسنا في معارك خاسرة .

من هذا المنطلق ينبغي علينا التعرف على حالة الاشياء التي تلتصق بحالة الصراع والتعرف على الأدوار التي يسلكها المشاركـون في حلبة الصراع مهما كان لون وشكل هذا الصراع وايضا فهم الأدوار التي يقوم بها المشاركون . هذا كله يساعدنا على تكـوين رؤية واضحـة عن السلوك الحقيقي عند الآخرين وعن الطريقة التي يصنعون بها قرارهم والمؤسسات التي تعمل على اتخاذ القرار . فإذا كنا فعلا ضالعين ومشاركين في الصراع فعلينا ان نضبط تصرفات حلفاء العدو ودرس العوامل التي يمكن استعمالها كي تؤثر على سلوكهم وتصرفاتهم هذا مع العلم بأنه يتوجب علينا الحفاظ على حلفائنا دون خسارتهم أو تحييدهم من قبل العدو أو حلفائه لأن العالم اليوم لا يعيش حالة صراع مستقلة عن لعبة النظام الدولي وان كانت مستقلة في بداية الأمر فإنها تعود لتصب في الحالة الدولية القائمة . فقلما تبدأ صراعات محلية إلا وتتحول الى الافق الدولي فتارة تسمى محلية وطورا اقليمية وبالنتيجة لا يمكن ان تنفصل كلها عن النظام الدولي لأن شكل النظام يشبه جسم الانسان كما يعبر عنه الاستاذ كارل دويتش بأن أي طرف من جسم الانسان اذا دب المرض فانه يؤثر على الجسم ككل ويتداعى هذا الجسم لتدارك المرض بقدر المنـاعة التي تختص بـه وأن يداوي الاشتـراكات اذا حصلت وهي هنـا تعني عملية التحـالفـات في حـالـة الصراع .

اذا اخذنا الصراع كحالة قائمة لا مناص منها وبفعل هذا نعمل برؤية المشارك الذي يريد ان يربح لا ان يخسر فهذا يدعونا ويدفعنا ان نكون

دقيقين وموضوعيين عندما نتعاطى هكذا امر ويتطلب منا ان نعترف بأن هناك اختلافاً بالمصالح بين المشاركين ، والربح لا يفسر فقط بالانتصار العسكري في معركة الحرب إنما الربح الفعلي هو نسبة درجة الربح التي تنسجم مع القيم والتراث على أساس ان الحرب المدمرة والمبيدة لتراث وقيم المتحاربين هي حرب خاسرة لا يربح فيها احد .

ففي هكذا حالة يمكن أن يحصل الربح بالمفاوضات أو الاتفاق على تسوية الخلافات بالطرق السلمية وأيضا بواسطة ابعاد مزالق الانهيار في عوالم اللاعقلانية في اتخاذ القرار وابعاد الوقوع في الحالات السيكولوجية المتطرفة في اتخاذ القرار كما حصل لهتلر وموسوليني وغيرهما .

وعندما تصبح الحرب غاية وهدفاً بحد ذاتها فباستطاعتنا القول بأن الانسان الذي يجعل الحرب هدفه هو انسان غير عقلاني وسوف يصطدم بانسان غير عقلاني . . . فإننا والحالة هذه لا نعتبر الحرب هدفاً وغاية دون أن يعني ان الصراع يجب الا يقف اطلاقا ومع هذه الاستمرارية الحتمية فيجب اذا امكن تحييد او تفادي حرب مدمرة للأطراف المتنازعة وتخفيف اضرار الحرب بواسطة التهويل والتحذير بنشوب الحرب وليس بدفع الماكينة العسكرية الى ساحة المعركة . ان امكانية التسوية بالطرق السلمية مهمة ودراماتيكية بقدر ما هي حالة الصراع العسكري .

ان دراسة اتخاذ القرار وتحديد الاستراتيجية في حالة الصراع هنا ليست دراسة عن ساحة المعركة ، وعدد القتلى والجرحى والأسرى ، انما عن القوى الممكنة للدخول في الصراع عند نشوبه أو الاستعداد له . انها ليست فقط عن الأعداء الذين لا يحبون بعضهم انما ايضا عن الشركاء الذين لا يثقون بعضهم بالبعض الآخر ولا يوافقون على آراء بعضهم البعض .

فإن تعرضنا في هذا البحث الى الطريقة التي يفرز بها القرار

السياسي في الولايات المتحدة ومصالح اميركا الفوقية في الشرق الأوسط مع اخذ القدرة العسكرية كوسيلة تحقيق للسياسة الفوقية نفعل ذلك لأن الولايات المتحدة هي احدى الدولتين العظميين التي تؤثر على طبيعة الصراع الاقليمي والدولي ، مع العلم بأن العالم الذي نعيش فيه الآن هو من تركيبة ما افرزته الحرب العالمية الثانية وعلينا ان نتعاطى معه كواقع دولي او كما عبر هوشي منه للغرب ولاميريكا بالذات بأنها لا تستطيع ان تأخذ مكاسب اقتصادية سياسية اكثر مما اخذت بالمكاسب العسكرية ، من هنا نجد بأن حالة الصراع لا تنفصم عن الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية كما انه ليس من الضروري ان يقاس هذا الواقع بموازين القانون الدولي والحق المطلق بقدر ما يجب ان يقاس بالواقعية في منهجية وموضوعية لأنه لو كان هنالك حق تعترف فيه كل الدول الكبرى والصغرى لما كان هنالك صراع مصالح ولا كانت هنالك امتيازات لدولة على اخرى .

الجهاز التنفيذي لسياسة اميريكا الخارجية

الحقيقة هي ان الماكينة الاميركية لصنع وتوليد القرارات لا يمكن ان تفهم جيدا الا بمقدار علاقتها برئاسة الجمهورية وسبب ذلك يرجع الى طبيعة النظام الاميركي كونه نظاماً رئاسياً يحمل رئيس الجمهورية المسؤوليات الجسام بكل ما يمت الى الصلاحيات التنفيذية بصلة ، فالرئاسة لا تفهم جيدا بدون الإلمام العميق بطبيعة ووظائفية المكتب التنفيذي الذي يعنيه الرئيس ويأتمر بالسياسة التي يخططها له . لذلك فاننا سوف نركز على هذا الدور وعن علاقته بالماكينة السياسية ، ولكي نستطيع فهم صياغة القرارات السياسية الاميركية فعلينا ان نركز على دور الرئيس والاجهزة المرتبطة به مباشرة وعلى طبيعة تركيبة النظام الاميركي والحرارة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على دور الرئيس واجهزته وحزبه وشعبيته .

الرئيس : ان مركز رئيس السلطة التنفيذية في الولايات المتحدة يبقى محور الشؤون القومية وسوف يبقى المركز الأقوى دون منازع لأسباب عدة أهمها: أولا: دور الولايات الأميركية في الشؤون الدولية وتعرضها للتدخل في الحروب المحددة. ثانياً: استمرارية المنافسة السياسية والاقتصادية والعسكرية مع الاتحاد السوفياتي وربما الصين مستقبلا . وثالثا : ضرورة بعث الديمقراطية السياسية والاجتماعية داخل الولايات المتحدة . هذه الاسس الثلاثة تجعل الولايات الاميريكية المتحدة نفسها أمام تحديات صعبة إن من جهة تحالفاتها والصعوبات التي تنشأ ما بين الحلفاء في حقول شتى أو في مواجهتها لأعداء عليها التصدي لهم بجميع الوسائل وبنهاية الامر لمبادىء تصدت لقيادتها هذه الدولة الكبيرة في الداخل والخارج . كل هذه المتطلبات ترتكز في الدرجة الأولى على رئيس الجمهورية والدور المطلوب منه لتحقيق هذه الاهداف ضمن نطاق المصالح الاميركية في العالم . وهنا علينا ان ننظر الى دور الرئيس والصلاحيات المعطاة له والصلاحيات التي تكبله من الناحية القانونية والدستورية . ففي بادىء الأمر نرى ان صلاحيات الرئيس تحدها المحكمة العليا والكونغرس وايضا الرأي العام مع العلم ان ذلك لا يقف في وجهه اذا استطاع ان يثبت للشعب بأنه قائد شعبي يعرف كيف يستعمل مركزه ليستقطب عواطف وآمال المواطنين من خلال الصلاحيات التي اقرها له الدستور من جهة تطبيق القانون[1] .

وهنا لا بد لنا من طرح الاسئلة التالية حول الدور والصلاحيات :

١ ـ ما هي القوانين التي يستطيع الرئيس تطبيقها خارج نطاق سلطة الكونغرس ؟

(١) المادة الثانية من الدستور الاميركي تعطي الرئيس حق ممارسة السلطة التنفيذية والسهر على تطبيق القانون .

٢ ـ أية قيادة عسكرية يمارسها سوى ما تخوله اياها السلطات التشريعية ؟

٣ ـ أية حرب باستطاعته ان يشن ضد العدو دون موافقة مجلس الشيوخ ؟

٤ ـ ما هي الأصول الدستورية التي تحد من صلاحيات الرئيس وما هو دور المحكمة العليا في هذا الشأن ؟

الجواب على ذلك هو ان هنالك سلطات موروثة وغير مكتوبة من حيث الممارسة ونجد ان قوة القائد الاعلى للولايات المتحدة هي بحد ذاتها امكانيات واسعة وتختلف من رئيس لآخر بحسب قوة شخصيته والأسلوب القيادي الذي يتمتع به بحيث يختلف الأسلوب وطريقة معالجة الأمور من رئيس الى رئيس .

فالرئيس ترومان مثلا وضع يده اثناء الحرب الكورية على مصانع الفولاذ الخاصة لاعتقاده بأن ذلك ضروري لدعم ماكينة الحرب وادعى بأن ذلك من حقه ومن واجباته (ثلاثة اعضاء من المحكمة العليا وافقوا معه وستة عارضوا) وقد قيل آنذاك ان الدستور الاميركي هو ما تقوله أو تفسره المحكمة العليا .

بينما كان يرى ترومان ان قراءة الدستور هي ما يراه الرئيس في حالات معينة . وان الأمر يجب ان يكون كذلك الى ان يعيد الكونغرس او المحكمة العليا النظر في تفسير المواد المختلف عليها حول صلاحيات الرئاسة المنصوص عنها في الدستور(٢) .

---

(٢) In the Korean Conflict President Truman brought down the Supreme Court upon his head when he ordered the seizure of most of the nation's steel mills in the face a threatened strike citing «the authority vested in me by the Constitution and laws of the U. S. A.» the president ignored the Taft-Haitle Act which established special procedures for national labor emergencies but did not give him the power of seizure. The Supreme Court in Youngstown Sheet and Tube Co. V. Sawyer (343 U. S (579, 1951) ordered the president and his executive colleagues to stay out on the steel mills, holding that in seizing them he had sized legislative power. See that in Louis. W. KOENIG, the Chief Executive U. N. Y 1964, page 252.

فرئيس الجمهورية اذاً هو رئيس السلطة التنفيذية وعليه السهر على تطبيق القوانين . في سنة ١٩٥٧ عندما اعطت المحكمة المليا حكمها بخصوص التمييز العنصري في ليتل روك اركنساس ورفضت حكومة الولاية التقيد بقرار المحكمة ارسل الرئيس ايزنهاور قوات فدرالية الى المدينة لتطبيق القانون[٣] .

إن رئيس الجمهورية وهو رئيس السلطة التنفيذية له في الوقت نفسه نوع من الهيمنة على الكونفرس ، فهو يتقدم من الكونفرس سنويا بخطاب عن حالة الأمة The State of the Unionوهو الذي يصادق على القوانين Billsقبل ان تصبح نافذة ومن حقه ان يدعو الى جلسة مشتركة للكونغرس كلما وجد ذلك ضروريا .

وبما ان للرئيس الكلمة الأولى في البلاد وعندما ينطق يسمع من الجميع فانه يستعين بهذه السلطة لإقناع الرأي العام بأي مشروع يريد تصديقه من الكونغرس كي يدفع بالقوة الضاغطة للشعب على الكونغرس ليحصل على ما يريد في بعض الاحيان . ذلك ان الرئيس يعتقد بأنه منتخب من قبل الشعب والشعب هو المرجع الذي يعود اليه الرئيس في القضايا الكبرى التي يحتدم فيها الصراع سواء مع المحكمة العليا أو مع الكونغرس[٤] .

أما كونه قائداً أعلى للقوات المسلحة فهذا حق منحه اياه الدستور الاميركي الذي اعطى السلطة العليا في القيادات العسكرية الى مدني .

---

(٣) Public papers of the President of the United States Dwight Eeizenhower (1975, Washington, O. C, U. S. Government Printing Office 1958) Pages 689-694.

(٤) In order to manipulate public opinion, the President of the U. S. has access to the Public ear, because when he speaks he is heard as a leader of the nation, and it is him who should know to speak and especially when the nation is at stake. See: Public papers of the President's of the U. S. John F. Kennedy 1963 Washington D. C. (U S. Government Printing Office 1964) pages 459- 464... J. F. Kennedy the American University Address June 10, 1964.

وحق اعلان الحرب كما في الدستور يرجع الى الكونغرس لكن هذا الحق المعطى للكونغرس هو حق تشريعي وقانوني وليس حقا تقريريا باعتبار اننا في عصر تتسارع فيه الأحداث ولا يستطيع رجل البيت الأبيض في العصر النووي أن ينتظر من الكونغرس ان يعطيه الحق في شن حرب فلا وقت للتشاور مع الكونغرس في شأنها من اجل بلورة القرار وبعدها الايذان للرئيس بإعلان الحرب . ان عصر التكنولوجيا ربما يكون قد الغى دور الكونغرس في اتخاذ القرار الفوري . ففي سنة ١٨٦٤ اعطى الرئيس بولك Polkالأوامر للجنرال تيلر Taylor لاحتلال المناطق المتنازع عليها على ضفاف نهر ريوغراندي من المكسيك حيث قتل عدد كبير من الجنود الاميركيين ، فما كان من الرئيس بولك الا ان طلب فورا من الكونغرس اتخاذ قرار باعلان الحرب وكما نرى ففي هذه الحالة لم يكن للهيئة التشريعية من خيار سوى التجاوب مع طلب رئيس الجمهورية في اعلان الحرب على المكسيك وهكذا تبين ان القرار الفعلي في اعلان الحرب كان لرئيس الجمهورية وليس للكونغرس من الناحية العملية . ففي كوريا كانت بداية التدخل الاميركي عملية أمنية Police-Action وقد تطورت الى حرب كبيرة لم يكن للكونغرس دخل بها . وايضا في سنة ١٩٥١ دارت مناقشة طويلة في مجلس الشيوخ حول حق الرئيس بإرسال قوات اميركية الى اوروبا في وقت السلام للوفاء بتعهدات اميركا بدعم الحلف الاطلسي ، ومع كل ذلك لم يكن القرار للكونغرس . والحالة هذه فكيف نتصور ان يكون دور الكونغرس في عصر الردع النووي في اعلان الحرب وفيتنام كانت المحك الرئيسي للكونغرس من حيث ان هذه الحرب لم تلق أي تجاوب من مجلس الشيوخ حتى اكثر اعضائه كانوا من المعارضين لهذه الحرب التي زجتهم بها السلطة التنفيذية ، فقد اصبح واضحا بأن التكتيك الذي يتبعه رئيس الجمهورية هو توريط الماكينة العسكرية تحت شعارات حفظ السلام وإلى الدرجة التي يرتبط فيها هذا السلام بالمصالح الاميركية

في العالم فتبدأ عملية التدخل بالتدرج أو ما يسمى بعملية «Escalation of War Machinery» .

من الناحية القانونية وحسبما ينص الدستور الاميركي فان تعيين ضباط في مرتبة عالية في المؤسسة العسكرية يرجع الى موافقة الكونغرس ولكن حق الرئيس في الاستغناء عن الاشخاص هو حق لا ينازعه عليه احد كونه رئيس السلطة التنفيذية ويحق له ان يتعاون مع الذين يستطيعون بنظره القيام معه في المسؤوليات المطلوبة منه لتحقيق المصالح الاميركية في الداخل والخارج .

فالرئيس لنكلن قام بطرد الجنرال مكللان Meclellan عندما استاء من تصرفاته كما ان الرئيس ترومان أزاح اكبر شخصية عسكرية في تاريخ اميركا الا وهو الجنرال ماك ارثر Mac Arther وقد سمي ببطل كوريا العسكري ذلك لأن خطته العسكرية قد تضاربت مع الخطة العسكرية الموضوعة من قبل رئيس اركان القوات الاميركية المسلحة .

ان سلطة رئيس الجمهورية في حالات الحرب والسلم هي اكبر مما نتصور فهو صاحب الكلمة الفصل وعليه ان يعود لنفسه ولحكمته أولا وأخيرا في اتخاذ القرار ، ففي سنة ١٩٦٢ عندما زود الاتحاد السوفياتي كوبا باسلحة نووية (مع أن الاتحاد السوفياتي نفى ذلك) انذر الرئيس كنيدي الاتحاد السوفياتي بسحب صواريخه النووية من كوبا وصارح الشعب الاميركي بهذا القرار التاريخي وجعل العالم بأسره يضبط انفاسه وقد امر بمحاصرة كل البواخر المتجهة الى كوبا واستنفر القوات الأميريكية في فلوريدا وفي اجواء هذه الحالة الحربية المخيفة لم يجد الاتحاد السوفياتي بدا من التراجع عن مغامرته . فالمهم هنا ان الرئيس هو الذي يقرر ولا

يستطيع ان ينتظر الكونغرس لإعطائه الإذن في اتخاذ قراره وربما كان قراراً يهدد العالم بأسره[٥] .

وهذا ما يجعل الرئيس الاميركي ليس قائدا أميركيا فقط بل عالميا ايضا . وكما نشعر من وسائل الاعلام فإن انتخابات رئاسة الجمهورية الاميركية تبدو كأنها انتخابات عالمية تشغل العالم من سياسيين ومفكرين واعلاميين لأكثر من سنة قبل بدئها لأن الرجل الذي يدخل البيت الأبيض يحمل بين يديه اوراق السياسة الخارجية وهذا ما يعني دول العالم حول السياسة الخارجية التي سينهجها الرئيس الجديد . ففي السابق كان رئيس الجمهورية الاميركية يحمل اوراق السياسة الداخلية بالدرجة الأولى ولم تكن للسياسة الخارجية الاميركية الاهتمام الذي اعطي لها فيما بعد خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وهذا الدور الذي اعطي لأميركا في الشؤون الدولية قد اضاف الى مركز الرئاسة مسؤوليات جساماً واهتماماً دولياً للرؤيا والتطور السياسي الذي يحمله الرئيس المنتخب .

ان الرئيس روزفلت مارس دوره كقائد عندما اعتقد بأن توازن القوى في أوروبا أمر ضروري لأمن اميريكا نفسها لذلك استعمل نفوذه الشخصي ومركزه للتوصل الى تسوية سلمية للنزاع الألماني الأسباني Franco-German Dispute حول المغرب وبذات المنطق شعر أن توازن القوى في الشرق الأدنى له تأثيراته على الأمن الأميريكي والمصالح الأميركية فقد تدخل في الحرب الروسية اليابانية[٦] . وبعد ستة قرون وحربين عالميتين تجد اميريكا نفسها مشدودة الى قواعد عسكرية والتزامات سياسية تمتد حول العالم اضافة إلى قواعد عسكرية ومنها قواعد نووية تضع اميريكا في مركز الثقل الدولي بالنسبة للاحداث التي تلف العالم والأزمات السياسية والعسكرية

---

(٥) Public Papers of the President of the United States, John F. Kennedy 1962 (Washington, D. C. U. S. Government Printing Office, 1963) PP 809 - 811.

(٦) Anne O'Hase Mecormick. «roosvelt's view of the big job» New York Times Magazine (September 1, 1932).

والاقتصادية والعقائدية التي تعصف به . لذلك فإن رجل البيت الابيض بصفته قائدا عالميا عليه ان يخاطب شعبه وحلفاءه ودول عدم الانحياز وكذلك العالم الشيوعي وهيئة الامم . وهذه الاطراف تعرف من يخاطبها وهو يعرف من يخاطب . كل هذا يدل على أن الرئيس الاميركي يعطي لنفسه دورا غير الدور المنصوص عنه في الدستور[٧] .

المكتب التنفيذي :

لقد تأسس هذا المكتب سنة ١٩٣٩ ضمن خطة تجميع المؤسسات Reorganization-Plan ويتكون هذا المكتب من مساعدي الرئيس ومستشاريه ففي سنة ١٩٥٦ تفرع عن المكتب التنفيذي : مكتب البيت الأبيض ، ادارة الميزانية - مكتب المستشارين الاقتصاديين - مكتب الامن القومي ، وكالة الاستخبارات الأميركية - مكتب التنسيق - مكتب التحرك الدفاعي .

هذه الهيئات التي تحيط بالرئيس الأميركي مهمتها مساندته في تسيير شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، وما يهمنا منها الاكثر هو ما يختص بالشؤون الخارجية اكثر من سواها . فمكتب البيت الابيض هو المكتب الذي ربما يقع في قمة الهرم[٨] من المكتب التنفيذي ذلك ان هؤلاء الرجال في مكتب البيت الابيض هم اقرب الناس الى الرئيس بما يخص العمل اليومي فهم دائما قربه ويأخذ برأيهم . وقد لعب شرمان آدمز Sherman Adams دوراً رئيسياً عند ترؤسه مكتب البيت الابيض في عهد ايزنهاور وكان هذا المكتب في تلك الفترة هو المنفذ الفعلي والحقيقي على الرئيس ، وكان يضم فعاليات رئيسية من الشخصيات ذات النفوذ حتى

---

(٧) Louis W. KOEING «More Power to the President» New York Time Magazine (January 3, 1965) The 22 Amendment whic was added to the Constitution of the United States in 1951, this is to prevent him from becoming a dictator. This Amendment was directed to F. D. Roosvelt.

(٨) Edward H. Hobbs Being The President: A study of Executive Office Agencies Public Affairs Press, Washington, 1954, page 86.

تساءل علماء السياسة عما اذا كان رئيس هذا المكتب هو وزير بدون حقيبة A Minister without Port Folio مما يتنافى مع تركيبة النظام الاميركي وتتداخل صلاحياته مع الادارات الاميركية الأخرى . كما تساءل البعض عن مدى صلاحيات المستشار ستاسن Stassen ودوره في مفاوضات نزع السلاح مع الاتحاد السوفياتي وتخطيه وزير الدفاع في هذا الموضوع ، ومهما يكن فإن مكتب البيت الابيض الذي يرئسه الرئيس يجب ان تكون له الأهمية الأولى فيما يخص دراسة هذه المؤسسات أو المكاتب ، كما علينا ألا نغفل اهمية مكتب المستشارين الاقتصاديين للرئيس وخاصة عندما يأتي رجل قوي مثل ارثر برنز Arthur Burns على رأس هذا المكتب والدور الذي يلعبه في رسم سياسة الاقتصاد الاميريكي .

هيئة الاستخبارات الاميركية : Intelligence Community

هذه الهيئة هي المصب الأعلى لجميع المؤسسات التي تتعـاطى شؤون الاستخبارات والاستقصاء في الولايات المتحدة . وتتفرع عن هذه الهيئة عدة اجهزة هي :

وكالة الاستخبارات المركزية CIA ، وكالة الامن القومي(٩) N. S. A مركز التحريات الفدرالية FBI ، قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية ، استخبارات الجيش ، استخبارات الـدفاع ، استخبـارات سلاح الجـو ، استخبارات هيئة الطاقة الذرية(١٠) A. E ، ولا تدخل هذه المعلومات في صلب اتخاذ القرار قبل غربلتها ومقارنتها بعضها مع البعض الآخر وعندما

---

(٩) هذه الوكالة هي ما تقوم به استخبارات وزارة الدفاع وهي تحتوي ايضا على تنسيق في المعلومات بين وكالة امن الجيش وبعض الدوائر ذات الاختصاص في البحرية وسلاح الجو . ويجب ان نذكر هنا بأن هذه الوكالة لها ذات الحقوق المعطاة لوكالة الاستخبارات المركزية .

(١٠) Commission or organization of the executive Branch. Intelligence Activities: a report to the Congress June, 1955 P. 13.

نقول صلب القرار فهذا يعني قرارا على مستوى سياسة الولايات المتحدة الاميركية بحجمها ودورها العالمي مع العلم بأن اتخاذ القرار هو قمة السياسة الاميركية . لذلك لا يجوز ان تتفرد أي من هذه المؤسسات في غربلة معلوماتها الخاصة في تغطية القرار السياسي .

مجلس الأمن القومي :

ان وظيفة المجلس هي ابداء النصح الى الرئيس بما يخص التنسيق ما بين السياسة الداخلية والخارجية والدفاعية وعلاقة هذه السياسة بالأمن القومي الأميركي وهذا كله كي يساعد العسكريين والدوائر المختصة ، ووكالات الدولة على التنسيق فيما بينها لتكون اكثر فاعلية بأمور تتعلق بشؤون الأمن القومي وكذلك كي يقوم المجلس بتقديم وتدقيق الاهداف المتوخاة والتعهدات والمغامرات التي تترتب على الولايات المتحدة بهذا الصدد ودرجة المصالح والعلاقات التي تملي عليها نسبة التحرك المطلوب . كل ذلك لصالح الأمن القومي ولأجل الهدف الرئيسي الذي هو تقديم النصائح لرئيس الجمهورية كي يتخذ قراره[١١] .

وعندما انشىء هذا المجلس كان يضم بالاضافة الى الرئيس كلا من : وزير الخارجية ، وزير الدفاع ، وزير البحرية والجيش ، وسلاح الطيران ورئيس مجلس الطاقة الذرية .

وقد اعطى الرئيس ايزنهاور بعد انتخابه اهتماما خاصا لمجلس الامن حيث ان هذا المجلس قد اجتمع سنة ١٩٥٣ احدى وخمسين مرة ودرس ٣٠٥ قضايا ، بينما لم تتعد اجتماعات المجلس قبل ذلك ٣٤ مرة ولم يدرس اكثر من ١٩٢ قضية[١٢] . وقد كانت هنالك عدة آراء حول وظيفة

---

(١١) The N. S. C. act of 1947, PL253 80 The Congress 61 state 495. 50 U. S. C 401 - Section 101.

(١٢) Georges A. Weyth «the National Security Council» journal of International Affairs Vo. 8 No. 2 1954 P 192.

المجلس حتى ان البعض انتقد تركيبة المجلس وشبهها « بوزارة حرب »* .
واذا كانت مهمة مجلس الأمن ترتكز على القوى العسكرية وتغفل النواحي السياسية والاقتصادية والانسانية والروحية فالافضل ان يتحول هذا المجلس الى دائرة في وزارة الدفاع . فمن خلال هذه الانتقادات طرأ تعديل على تركيبة المجلس وعضويته حيث أصبح وزير الدفاع هو الممثل الوحيد لكل القوى العسكرية . هذا التطوير الذي حصل حدد عضوية المجلس بالأعضاء الدائمين وهم :

الرئيس ، نائب الرئيس ، وزير الدفاع ومدير مكتب التحريك الدفاعي . (هذا المكتب يقوم بدرس الاستراتيجية العسكرية والحركة اليومية لكل النواحي الامنية وينسّق بين المكاتب الخاصة) .
«Director of the Office of Defense Mobilization» .

اما الأعضاء المشاركون اذا دعت الحاجة فهم الوزراء الآخرون والمسؤولون الكبار في نواحي الشؤون القومية .

اما مستشار شؤون الأمن القومي فهو المنسق بين الاجهزة المختصة وقوته مستمدة من العلاقة التي تربطه برئيس الجمهورية فهو على اتصال يومي به كي يوجز له الامور الهامة وكونه المصب الرئيسي للمعلومات فباستطاعته ان يكون ذا شأن مهم في التأثير على مجرى الأحداث . إن ما يجب ذكره هنا أن مستشار الأمن القومي هو في نفس الوقت رئيس مكتب التخطيط Planning Board والمنسق بين هذا المكتب ومجلس الأمن القومي لذلك باستطاعته ان يبقي المناقشات حامية في المجلس وباستطاعته ان يثير القضايا ذات الشأن التي يراها جديرة بالبحث والنقاش لذلك فان البعض

(*) إن قادة المدرسة الليبرالية ولحد كبير المدرسة المحافظة يرفضون استعمال كلمة حرب لان هدف اميركا المنشود هو تحقيقَ الطمأنينة والسلام العالمي ويعتقدون ايضا ان الحربين العالميتين حققتا لهم او لحلفائهم النصر العسكري ولكنهما لم تحققا السلام .

يرى أن وظيفة مستشار الامن القومي تطغى بعض الاحيان على وظيفة وزير الخارجية ، والذين يعتقدون ذلك يعزون هذا الأمر إلى العلاقة المباشرة واليومية بين الرئيس ومستشاره فيكون على التصاق دائم بالرئيس وباستطاعته ان يؤثر على تفكيره ورؤيته للأمور . اما وزير الخارجية فقد يرى الرئيس مرة في الاسبوع كي يوجز له المواضيع المهمة وبعض الاحيان اكثر من اسبوع لذلك يرى المراقبون ان مستشار الأمن القومي يستأثر بالرئيس في الشؤون العامة والمهمة دائما لأن مكتب المستشار ملاصق لمكتب رئيس الجمهورية وهو دائما على اتصال به ليقدم له التوصيات التي يراها مهمة . ويجب الملاحظة ان كل التوصيات من أي جانب كانت تبقى في نطاق التوصيات حتى اذا وافق مجلس الأمن القومي بالاجماع عليها فإن هذه التوصيات لا تصبح قرارات الا بعد امضائها من الرئيس . فالرئيس هو صاحب القرار حتى ولو تضاربت رؤيته مع رؤيـة مجلس الأمن القومي ككل ، وهذا عادة لا يحصل ، ذلك انه من ناحية الدستور فإن الرئيس المنتخب من قبل الشعب هو الذي يتحمل مسؤولية القرار ، أما اولئك الذين يعينهم فهم مسؤولون تجاهه وباستطاعته الاستغناء عنهم اذا وجد ذلك ضروريا لمصلحته وليس من الضروري أن يأخذ بآرائهم .

وكالة الاستخبارات المركزية :

وجد هذا الجهاز ليكون ضمن اختصاص عمله مسؤولا ومستشارا لمجلس الأمن القومي، ولقد انشئت هذه الوكالة تحت البند ١٠٢ من قرار الأمن القومي الصادر سنة ١٩٤٧ وقد خلفت المكتب الحربي للخدمات الاستراتيجية .

ان ميزانية وكالة الاستخبارات تدخل في ميزانية وكالات ومؤسسات أخرى ولا يعرف ميزانيتها الا عدد قليل من المسؤولين وهي معفية من تقديم أي تقرير الى الكونغرس ويسمح لهذه المؤسسة بإدخال ١٠٠ رجل

او امرأة في السنة ليقيموا في الولايـات المتحدة واعـطائهم اقامـة دون الرجوع الى دائرة الهجرة وشروطها .

فمن الناحية الوظائفية يتوجب على الوكالة بموجب القانون الصادر سنة ١٩٤٧ لشؤون الأمن القومي ان تقوم بما يلي :

اولا : أن تقـدم الى مجلس الأمن القـومي آخـر المعلومـات والاستخبارات بعد غربلتها وتحليلها وتدقيقها ، من خلال ألمجلس الوطني للتخمين Board of National Estimates .

ثانيا : ان تقدم الى مجلس الامن القومي ما عندها من تقارير . وهنا يبدو أن الرقيب الفعلي على دور وكالة الاستخبارات المركزية هو مجلس الأمن القومي وبالأخص مستشار هذا المجلس وهـذا ما يـزيد من دور المستشار في الشؤون الخارجية ويجعله في بعض الأحيان يقوم بدور وزير الخارجية اذا كانت شخصية وزير الخارجية ضعيفة ولا تمارس مالها من دور كما حصل يوم تولى كيسنجر مجلس الأمن القومي وطغى على دور وزير الخارجية .

الدفاع :

ان مكتب وزير الدفاع قد نما بسرعة من جهاز صغير في عهد وزير الـدفاع فـرستـل Forrestal الى عـدد ضخم يعـد بـالآلاف من مـدنيين وعسكريين ، يساعد وزير الدفاع نائبه واكثر من عشرة مستشارين كل في حقل اختصاصه اهمهم المسؤول عن الشؤون المالية في وزارة الدفـاع Comptroller . (الرجل الذي يعهد اليه بكل ما يتصل بهذه المؤسسة من حـاجات ومعـدات ومعاشـات ومصاريف منـظورة وغير منـظورة ويتحمل مسؤولياتها امام وزير الدفاع الذي بدوره يتحملها أمام الكونغرس) .

المستشار العام General Councel : هو المستشار القانوني في الوزارة

ويستعين بمجموعة قانونيين واختصاصيين . (من اول مهماته هو نصح وزير الدفاع عن الحقوق المعطاة له في القانون والصلاحيات التي يحق له ممارستها) .

المستشار في قضايا التشريع والشؤون العامة Legislative and Public Affairs :

يتحمل هذا المكتب مسؤولية صياغة مشاريع قرارات كي تتحول الى الكونغرس وتصبح قرارات ويحدد سياسة الوزارة في تحركها وتوجهها العام .

مستشار الوزير للتوظيف والخدمات Manpower, Personnel and Services : يهتم هذا المكتب بالشؤون الادارية ومنها التوظيف والخدمات المطلوبة بما في ذلك أمن المؤسسة العسكرية ويعمل كضابط ارتباط مع ادارة التخطيط العسكري وما يمت الى ذلك من صلة مع الصناعة العسكرية .

مكتب التجهيزات Supply and Logistics : تحضير الدراسات والتوجيهات بما يخص المقدرات العسكرية وفعالية هذه المعدات بالمقارنة مع الدول الاخرى وخاصة الاتحاد السوفياتي .

مكتب الدراسات Research and Development : ان مستشار هذا المكتب يقوم بتقديم الدراسات وتقويمها والتوصل بالنتيجة الى اقتراحات جول التطوير العلمي والنظري .

مكتب الطاقة Atomic Energy : ان مستشار هذا المكتب يركز اهتمامه على شؤون الطاقة بالتنسيق مع ادارات عدة خاصة أو عامة في حقل التطور النووي ويتحمل مسؤولية شؤون الطاقة العسكرية أمام الكونغرس مع وزير الدفاع .

مكتب العلاقات الخاصة Office of Special Relations : يرأسه مدير

يعمل على تنسيق المعلومات الأمنية مع الادارات التي تهتم بهذا الحقل وخاصة وكالة الاستخبارات المركزية وبالاضافة الى ذلك يتعاطى مسؤولية شؤون الأمور النفسية Psychological في حالتي الحرب والسلم .

مجلس الدفاع الاعلى The Joint Chiefs of Staff :

ان رئيس مجلس الدفاع الاعلى مرتبط اداريا بوزير الدفاع ولكن الارتباط الفعلي هو برئيس الجمهورية عادة بالطرق المباشرة وبعض الاحيان من خلال وزير الدفاع او من خلال مجلس الامن القومي .

ان رئيس الجمهورية هو الذي يعين رئيس مجلس الدفاع الأعلى ويأخذ على عاتقه تسمية الشخص الذي يراه ملما في حقل اختصاصه وعنده الامكانيات الفائقة التي يستطيع ان يوظفها في خدمة الرئيس والجهاز التنفيذي للادارة الاميريكية .

يتألف مجلس الدفاع الأعلى من رئيس هذا المجلس ومن قائد الجيش الأعلى وقائد القوات البحرية وقائد القوات الجوية وقيادة المارينز «Marines Corps» ان وظائفية هذا المجلس هي محض دفاعية . واكثر اختصاصاتها هي الشؤون القومية من الناحية الدفاعية ويوظف تركيزها على القضايا الخارجية التي قد تؤثر على الأمن القومي الاميريكي ، ويقدم مجلس الدفاع الأعلى تقريراً أسبوعيا لوزارة الخارجية حول الاستقصاءات التي تتوفر لديه وعن الرؤيا التي يستخلصها حول القضايا الخارجية المهمة التي قد تؤثر على الأمن الدولي ، فمن القضايا التي واجهها الرئيس ترومان سنة ١٩٤٦ هي قضية فلسطين ، فقد طلب من وزير خارجيته ان يستخلص رأي المجلس الأعلى للدفاع حول هذه المسألة فكان رأي المجلس الأعلى للدفاع هو ان تتدخل الولايات الأميريكية المتحدة في الشرق الاوسط . وقد اعتقدوا بأن هذا التدخل لا تنتج عنه اضطرابات دولية . وقد ورد في التقرير ان الولايات المتحدة مستقبلا

بحاجة الى زيت الشرق الاوسط وان هنالك تخوفاً من ان تتجه بعض دول الشرق الاوسط الى دائرة النفوذ السوفياتي(١٣) . ومع ان هذا الاحتمال كان حقيقيا في نظر واضعي التقرير فاننا نجد ان مجلس الدفاع الأعلى قد أعطى أهمية ، للشؤون الاقتصادية اذ ألمح التقرير الى أهمية زيت الشرق الاوسط كطاقة يجب الاستئثار بها وهذا معناه ان على الولايات المتحدة الاميركية ان تكون قوية بما فيه الكفاية عسكريا للسيطرة على منابع النفط وهكذا نرى ان الامور السياسية والاقتصادية والعسكرية مرتبطة ببعضها البعض من اجل ضمان قوة الدولة ومصالح الشعب الذي أوكل اليها أموره الحياتية ويجدر بالذكر هنا ان وزارة الخارجية الاميركية لم تتبنّ وجهة نظر مجلس الدفاع بالتدخل حتى ان تقارير وزارة الخارجية تدل على ان هذه الوزارة رفضت الاعتراف باسرائيل وانشاء الدولة العبرية لكن رئيس الجمهورية تخطى نصيحة وزير خارجيته واعترف بدولة اسرائيل الجديدة .

طريقة صنع القرارات :

هناك طريقتان في صنع القرار الواحد احدهما قسري لا يرتبط بالقاعدة الشعبية بل يرتبط بالقائد الذي قلما يسخّر النظام وشعبه لخدمة نفسه فربما يتخذ قرارا في خوض معركة عسكرية لا مبرر لها ، فاذا كان من مبرر فان هذا المبرر هو غرور وجموح هذا القائد في الاعتداء على الغير كما فعل هتلر وموسوليني وغيرهما ، وفي هذه الحالة (في النظامين النازي والفاشيستي) فإن من ينتقد قرار القائد يتهم بالخيانة . فلا ديمقراطية في اتخاذ القرار وغير مسموح بانتقاد ما يقره القائد .

اما من الناحية الثانية في اتخاذ القرار عند الدول صاحبة النظام

---

(١٣) Harry Truman «The Truman Memoirs Vol. 2 Years of Trial and Hopes; Doubleday, New York 1956. Published in New York Times January 30, 1956 P 16.

القسري واكثرها من الدول النامية فإنه يأخذ طابع خلق الازمات الخارجية ذلك أنه عندما يشعر القائد بأن قاعدته الشعبية في الداخل غير متماسكة وغير مؤيدة له فيعمل لتحويل هذه الاتجاهات الداخلية الى صراع مع الخارج بقرار يحول فيه انظار مجموعته البشرية الى ازمة خارجية وعدو خارجي ، ويحول تفكير شعبه من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الى مشاكل يفترض بالمواطن ان يعطيها الأولوية والاهتمام الكلي ويهمل المعاناة الداخلية بما يخص وضعه الاقتصادي والاجتماعي .

ان قرارات قاعدة من هذا الرعيل لا تصب الا في خدمة مصالحها الذاتية والحفاظ على السلطة وتسخير النظام ككل لخدمتها ولعمري كأن أعضاءها فهموا مكيافيلي دون ان يسمعوا به او يقرأوه .

اما الطريقة الثانية في صنع القرار فهي الطريقة الديمقراطية وان ما يهمنا هنا هو تقييم صنع القرار في الولايات الاميريكية المتحدة وحتى نفهم طبيعة صنع القرار في هذا البلد ، علينا ان نلم بوضعه السياسي وتركيبة نظامه . هذا النظام المستمد من افكار جون لوك لم يترك امام رجل واحد حرية اتخاذ القرار دون ان يرجع هذا الرجل الى الشعب والى ممثليه (أي الكونغرس) والى ما يجيز له الدستور .

النظام الاميريكي منذ مائتي سنة تطور كثيرا مع تطور دور الولايات المتحدة الاميركية في العلاقات الخارجية . هذا التطور قد جعل من النظام الاميركي نظاما يدفع نحو النمو السياسي عند الشعب الاميركي ليشارك في ايصال رجال ينوبون عنه في اتخاذ القرار ويجدر بنا هنا ان نذكر شيئا عما نعنيه بالنمو السياسي .

ان النصر الرئيسي والبارز في عملية الانماء السياسي هو ما يخص المجموعة البشرية وعملية التفاعل التي تصل ما بين ابناء هذه المجموعة ، وعندما نقول التفاعل الذي يدور في حلقة الانماء السياسي نقصد بذلك

نسبة عملية المشاركة الفعلية من قبل المواطنين في صنع القرار واذا لم نقل النسبة فباستطاعتنا القول بأن القصد هو زيادة عـدد المشاركين من المواطنين بالشؤون العامة والقرارات المصيرية من جراء ذلك التوخي بأن تشمل هذه المشاركة القطاع الأوسع من المجموعة السياسية كي لا تبقى المشاركة منوطة برجل واحد أو بفئة معينة من ابناء المجتمع .

المشاركة بالأمور العامة ليست فقط بفعل المشاكسة أو الخصومات الثأرية أو الغرائز العشائرية ، بالمشاركة يتوخى ان تكون الـدوافع نحـو المشاركة مبنية على أسس سياسية سليمة منحاها مبادىء العدالة الاجتماعية والمساواة ما بين المواطنين الا بقدر مساهمتهم في العطاء الوطني والبناء الاجتماعي . ويجب ان لا يغيب عن فكرنا بأن تكون ركيزة الدوافع عند فعل المشاركة هي ركيزة دوافع انسانية وقوانين عـالمية واحتـرام حقوق الانسان اينما كان واينما وجد . واذا كانت البنية الداخلية للنظام تنبع من هذه المبادىء فان صوابية اتخاذ القرار تصبح مطمئنة في الحياة الديمقراطية نجد بأن صنع القرار من قبل المسؤولين وخاصة المرشحين لتولي مناصب عامة يأخذ بعين الاعتبار الوقائع التالية :

أولا :- ان يـربط القيم المتعـددة في الـولايـات المتحـدة : الاهداف ـ الطرق البديلة ـ السياسة ومصالحه ـ مصالح حزبه الانتخابية .

ثانيا : ان يدرس نسبة القوى المتصارعة داخل الولايات المتحدة حول القرار السياسي .

ثالثا : الاعتماد على اتخاذ القرار(١٤) .

إن الدفاع عن القرار الذي اتخذ يجب ان يصب بنظرهم في مصلحة الولايات المتحدة وان يظهر للمسيسين بأن القرار لمصلحة الامة وللحفاظ على النظام السياسي وطبيعته الديمقراطية .

---

(١٤) S. Huntington «The Common DEfnse» Columbia U. Press, 1961, chapter three.

الانماء السياسي :

أولا : هو الإسهام في زيادة دفع النظام السياسي كي يكون قادرا على معالجة الشؤون العامة يحصن ويزيل التنافس . ويتماشى مع المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية .

ثانيا : يجب ان تكون هناك نسبة عالية من الاندماجية لكل المؤسسات والمنظمات التي تساهم في عملية المشاركة عند اتخاذ القرار ودفع النظام للعطاء بأكثر فعالية وسخاء .

ثالثا : مهما تكن عملية الانماء السياسي فانها ترتكز على المعتقد وجذوره لذلك تبقى الثقافة هي القاعدة الاوسع رقعة في الانماء السياسي حيث ان الانماء السياسي يبقى ولدرجة كبيرة متأثراً بعوارض الامور التراثية (يمكن ان نتصور لماذا نجد العقبات الكبرى عند بعض الشعوب كي تقوم بعملية التغيير في صدد الانماء السياسي) .

نتساءل هنا عن العوامل التي تعطي المدى والبعد للسياسة الخارجية الأميركية بعد أن تكون رقعة المشاركة التبعية قد اصبحت متوفرة من حيث تركيبة النظام . الحقيقة هي ان القيم الاجتماعية والتراثية والمصالح الوطنية هي التي تعطي الدفع والعزم والطريقة في اتخاذ القرارات بالشؤون الخارجية وخاصة التي تترجم منها الى غايات واهداف محددة ، وعندما نقول القيم الاجتماعية والتراثية فاننا بذلك نقصد ما يتمخض عن هذه القيم من انماء سياسي يصبح امتدادا لقيم خاصة في حقل السياسة الخارجية .

ان الدكتور ريمون ارون يعتقد بأن عملية الانماء السياسي التي تمخض عنها الغرب هو جعل اليهودية والمسيحية قاعدة ثابتة لهذا الانماء . بمعنى ان الحضارة الغربية ترتكز في مقوماتها على الفلسفة الاخلاقية لهاتين الديانتين وتطويرها في عملية انماء سياسي وخاصة عند النخبة حتى

يصبح هذا الانماء السياسي درعا متينا يحفظ مقومات الحضارة الغربية وابعادها .

مهما يكن التطلع نحو هذه الفلسفة السياسية فإن اصحابها يرون بأن القرارات السياسية للدول التي تؤمن بهذه النظرية لا تخرج قراراتها عن اطار مفهوم القيم المستمدة من قيم الحضارة الغربية . هذا من ناحية الإطار النظري الذي يجعل الانماء السياسي على هذه القاعدة الاطار العام الذي يجب الا تتخطاه القرارات السياسية المصيرية . . .

ومن الناحية العملية فإن القرارات المصيرية الصعبة في الولايات المتحدة وفي نظام يؤمن ولحد بعيد بهذه القيم التي ذكرنا هي القرارات التي تصطدم بحالات معقدة الحل . ممكن ان يكون هنالك قناعة في القيم والأهداف التي من اجلها يجب اتخاذ القرارات ولكن المشكلة الحقيقية هي التي تكمن في طريقة التنفيذ والوصول الى الغاية المتوخاة وهذا يدل على ان توضيح الأهداف مهم في صنع القرارات السياسية وخاصة في بلد كالولايات المتحدة الاميركية لأنه عندما تتوضح الاهداف وتتبلور وتصبح مقبولة ديمقراطيا تتبع ذلك عملية تخطيط تدرس امكانية تحقيق الهدف وتتبلور وتصبح مقبولة ديمقراطيا تتبع ذلك عملية تخطيط تدرس امكانية تحقيق الهدف وبالنهاية يجب ان تكون هنالك خيارات عدة في طريقة التنفيذ .

اننا عندما نقول ان هذه القرارات يجب ان تكون مقبولة ديمقراطيا في الولايات المتحدة فاننا نتعرض هنا الى فكرة المشاركة الشعبية في هضم القرار والقبول به . فلو قام رئيس الجمهورية الامريكية باتخاذ قرار محاربة الكنديين لاحبط هذا القرار شعبيا على أساس أن الشعب الامريكي يعرف بأن النظام الكندي في تركيبته الديمقراطية قريب الى نظامه وان الشعب الكندي في عقليته ورؤيته السياسية لا يختلف عنه ، اضف الى ذلك ناحية العلاقات الاجتماعية والاحتكاك البشري Social Communication

بين الشعبين . ان علاقة الامريكيين في الولايات الشمالية مع الكنديين هي اقرب الى علاقة الاميريكيين مع ابناء وطنهم في الجنوب مثلا ناهيك عن كل ذلك فإن القيم الاجتماعية بين البلدين هي ذاتها التي تدور حول مفهوم الحفاظ على مباديء الحضارة الغربية ونظامها الديمقراطي .

ان القرارات السياسية الاميركية التي تتعلق بالدول التي لم تجعل الحضارة الغربية أساسا لأنظمتها وقوانينها تجد بأن صنع القرار يكون اسهل ولا تصطدم بالقاعدة الشعبية اذا كانت المصالح الامريكية الوطنية تتطلب ذلك . اما عندما يعي الشعب الاميريكي بأن المصلحة الاميريكية لا تتماشى مع القرار السياسي بالمواجهة العسكرية فقد يأخذ الشعب موقفا منها ويحرج الادارة الاميركية بشأن قراراتها ، كما حصل في الحرب الفيتنامية .

يقول الدكتور برنار فول بأن الانتصار الفعلي في الحرب الفيتنامية كان للشعب الاميريكي ضد الادارة الاميركية لأن الرئيس الاميركي ومساعديه لم يستطيعوا اقناع الشعب الاميركي بأن الحرب الفيتنامية هي لمصلحة الولايات الاميركية المتحدة .

الناحية التقنية لاتخاذ القرار وعملية التخطيط :

القرارات عادة تتبعها عملية فعل Action من نوع ما واذا لم يحصل ذلك فان هذه القرارات تبقى حبرا على ورق أو نوع من التنظير الفكري . اما اذا كانت عملية الفعل مقترنة بالقرار فعلينا هنا ان نفترض وبموضوعية علمية بأن عملية الفعل هذه ممكن ان تخلق حالات جديدة لقرار جديد أو ربما تبديل القرار السابق أو تعديله ، وعلى كل حال فان القرار القابل للتنفيذ يجب الا يصبح قرارا قبل دراسة كل الجوانب المتعلقة به .

ان الماكينة الاميركية الموكل اليها صنع القرار تأخذ بعين الجدية المواد الرئيسية التالية التي تسبق عملية اتخاذ القرار :

أولا ـ توضيح الهدف الذي من اجله يصنع القرار ولأي درجة يخدم هذا الهدف المصلحة الوطنية الاميريكية .

ثانيا ـ تعريف المشكلة : ما هي هذه المشكلة التي يتوجب على اميركا ان تنغمس بها وما هي انعكاسات هـذه المشكلة على السياسـة الاميركية .

ثـالثا ـ وصف الحـالات الخـارجيـة التي تحيط بهـذه المشكلة ، جغرافيا ، اقتصاديا ، معنويا ، وعسكريا .

رابعا ـ ما هي الحلول البديلة للأزمة القائمة .

خامسا ـ الخطة التي يجب ان توضع للوصول الى الهدف مع الأخذ بعين الاعتبار خططا اخرى وذلك في حال فشل الخطة الاولى .

سادسا ـ اتخاذ القرار .

ان التخطيط للقرار يمكن ان لا يكون لحالة قائمة انما لحـالات ممكن ان تنشأ . فالتخطيط القومي من ناحية التعريف هو العزم للتطلع الى الامام بطريقة مدروسة وممنهجة خشية وقوع تطورات ومشاكـل مستقبلية تتطلب المواجهة بشكل من الاشكال(١٥) فالتخطيط بحد ذاته يركز على المستقبل ولا علاقة له بالماضي أو الحاضر إلا من ناحية الافادة والصبر .

عدة حالات أو أنواع من التخطيط يمكن ان تتميز عن بعضها البعض ولأسباب عديدة . بعض المخططين في الشؤون الخارجية يعتقدون بأنه من الضروري وضع تخطيط فرضي أو تخميني يحل تساؤلات تتطلب اجوبة مثل : ماذا يمكن ان يحصل ؟ ماذا يجب ان تفعل في حالة انفجار الوضع

---

(١٥) W. W. Rostow «The Planning of Foreign Policy» In E. A. J. Johnson (ed) The Dimension of Diplomacy (John Hopkins Press 1964) PP. 40- 50. Planning is thinking ahead with a view to action.

في الشـــرق الاوسط . . . وكيف يمكن دعم الحليف وامـداده أو حتى التدخل عسكريا لانقاذه ؟ .

انه عندما نذكـر كلمة تخـطيط يتبادر الى الـذهن رأس المؤسسة العسكـرية في هـذا الصدد . ذلـك لأن المؤسسـة العسكـريـة تتحمـل المسؤوليات الكبرى في ترجمة الاهداف القومية الى استراتيجية قومية والى ترجمة هذه الاستراتيجية الى قوة جاهزة لتقوم بوظـائف متعددة وأمـاكن عديدة . وما دامت المؤسسة العسكرية تتحمل هذه المسؤولية فعليها ان تبقى في قمة التخطيط للادارة الاميركية في ميدان شؤون الأمن القومي . فعندما تتوغل الولايات الاميركية في حالات مفاجئة بأنها بحاجة الى خطة مسبقة فرضية كانت أو تخمينية تضعها موضع التنفيذ عند الضرورة . ان التدخل الاميركي المفاجىء في لبنان سنة ١٩٥٨ كان قرارا سياسيا اتخذه الرئيس ايزنهاور وكانت عملية تنفيذ القـرار ومتطلبـاته هي من مسؤوليـة المؤسسة العسكرية ، لذلك فإن هذه المؤسسة يجب ان تتبع خطة دائما جاهزة لحصول قرارات مفاجئة تقع عليها مسؤولية تنفيذها ، والتنفيذ يجب ان يتبع خطة معينة لها جوانب عديدة . هذه الجوانب ممكن ان تكون خططا أخرى تختلف عن الاولى كما حصل بعد اجتياح اسرائيل الى لبنان فقد كانت الخطة بارسال قوات متعددة الجنسيات ركيزتها الاساسية قوة المارينز الاميركية فهكذا قرار يجب ان ينفذ فور طلب الرئيس . لذلك على السلطة العسكرية ان تكون جاهزة وعلى استعداد لتنفيذ أي قرار يتعلق بأمور الدفاع الأمني والتدخل السريع .

مثالا على ذلك فلو حصل تدخل عربي ضـد القوات العسكـرية الاميركية التي تدخلت في لبنان ماذا يمكن ان تفعل الولايات المتحدة لمواجهة عبد الناصر وغيره من العرب وايضا ماذا يمكن ان تفعل لو حصل تدخل سوفياتي وليس من الضروري ان يكون في لبنان فإنه من الممكن ان يكون هذا التدخل في مكان آخر ضد الولايات المتحدة الاميركية . ان كل

ذلك يتطلب اكثر من خطة وما دامت الخطة دائما في صالح المستقبل فعند وقوع الحادث يجب ان تكون الخطة جاهزة مع كل متطلباتها من برامج(١٦) .

إن برامج التخطيط هي عملية تقدم Process بواسطتها تترجم الأهداف السياسية الى برامج فعلية وعملية (على المدى القريب والبعيد) . فعندما تتحرك السياسة الخارجية الاميركية بقرارات سياسية تجد بأن المؤسسة العسكرية تكون ملزمة فورا للقيام بوظيفتها ، وهذا الالزام يتطلب عددا كبيرا من القوى البشرية ـ المال ـ التكنولوجيا بكل وجوهها ـ التسهيلات والوقت المطلوب لتنفيذ الهدف . فاننا والحالة هذه نجد بأنه يجب ان نتوقع قيمة الحاجات الجسيمة التي تعكسها القرارات لبلوغ الحاجة المطلوبة ، يعني بأن على الولايات المتحدة ان تبرمج متطلباتها من المال والمواد الأخرى والتقنين والاختصاصيين على اساس ان الدول الكبرى التي هي في المستوى الذي عليه الولايات المتحدة ، يجب ان تكون لديها برامج مستقبلية وعليها ان تلم بالحاضر ومتطلباته وبالمستقبل وتكهناته(١٧) .

انه من الصعب جدا فصل القرار عن التخطيط . فكل قرار يتطلب اكثر من خطة ويجب ان نعرف بأن القرار بدون تخطيط يصبح نوعا من الأفكار التجريدية والخيالية لذلك فإننا نجد بأن كل المؤسسات الاميريكية التي تتعاطى بنوع أو بآخر الشؤون القومية وتشارك في صنع القرار يجب ان تكون لديها هيئة تخطيط آنية ومستقبلية ذلك لأن القرار هو خطة تصبو الى الامام وتجعل في طياتها عملية تنفيذ اذا ساءت الظروف ان توضع الخطة في حالة فعل .

---

(١٦) Franklin A. Lindsay, Program- Planning: The Missing Element «Foreign Affairs vol. 39 (Jan 61) P. 280.

(١٧) George Morgan «Planning in Foreign Affairs Foreign Affairs 1961 vol 39, pp 276- 278.



نظرية المد والجزر في اللغة السياسية

الرؤيا السياسية هي جزء لا ينفصم عن الواقع بالنسبة للقادة وللذين لديهم استشفاف الرؤيا حول حدثٍ ما او حالة راهنة . يستدعي هكذا حدث وهكذا حال ايجاد تصور ليس من الضروري ان يطابق الحقيقة ، ولكن منطق الأحداث يدل عند اصحاب الرأي في السياسة الدولية بأن الرؤيا هي جزء من الواقع الذي يصور حقيقة قائمة بحد ذاتها . ان الباحثين في هذا المضمار يجدون انفسهم في موقع تقييم موضوعي لنماذج سلوكية ولكنهم ينسون المعاني التي يعطيها السياسيون واصحاب الشأن في تقرير المصير بحيث يكوّن كل من هؤلاء السياسيين رؤيته الخاصة وقلما تلتقي هذه الرؤيا وخاصة عند تضارب المصالح مع بعضها البعض ولكن اذا اخذنا تركيبة النظام الدولي والسياسة الدولية لوجدنا بأن كابوس السياسة الدولية يؤثر على رؤياهم وفي الحالات الصعبة تجعل هذه الرؤيا مبلبلة مضطربة او لحد ما رمادية اللون . ان سياسة وديناميكية النظام الدولي تبدد الرؤيا عند اصحابها وتجعلهم غير قادرين على تفسير العوامل الدولية التي تضطرهم الى تغيير المواقف التي يؤمنون بها ولكنهم لا يستطيعون اظهارها جليا او نفيها .

الرؤى هي الجزء الأكبر من الحقيقة السياسية فإن اصحاب القرار يصوغونها حتى تصبح الدافع والمحرك للحدث بالاضافة فهي دائما مغلفة

بالحقيقة وطرحها للرأي العام هو طرح حقيقة الواقع الذي يجب ان يتم معالجته ، من خلال النهج السياسي الذي يظهرونه للناس وعلى اساس انه هو الحقيقة ولكن الحقيقة يمكن ان تكون قد ضاعت في متاهات الرؤيا السياسية وخاصة في عالم تتحكم فيه القوى الفعلية للعبة السياسية .

فان كان هنالك من حقيقة عند الطوبائيين والمثاليين فيجب البحث عنها في قواميس القوانين الدولية أو التعاليم السماوية ذلك لأن مشكلة الرؤيا السياسية وتضاربها مع الواقع الذي نسميه حقيقة تنحدر من منطلقين رئيسين اولهما بأن الرؤيا عند اصحاب الخبرة السياسية تنجز من خلال تجاربهم الخاصة وبمبررات لا تتوافق مع رؤيا الآخرين ونظرتهم وتحليلهم للواقع هو من ضمن التركيبة الدولية وكيف بالأحرى اذا كان هؤلاء طرفا في النزاع وليس بالمتفرج الذي تبقى رؤياه شبه معنوية بما يخص الحدث القائم .

ثانيا : ان الرؤيا السياسية في بعض الحالات تأخذ خفايا يصعب على الباحث التكهن بها ووضعها تحت المجهر فهناك رؤيا تسمى برؤية الحكم والفئة المسيطرة وتأخذ هذه الرؤيا دهاليز سياسية بعيدة عن الانظار بينما ما يظهر للناس هي رؤيا النظام التي في معظمها استهلاك محلي او دعائي او مصلحي لبعض الدول المتحالفة او التي تنتظر هكذا رؤيا علنية لتبطن وتخفي حقيقة الرؤيا التي تتبناها وتنطلق بها عقلية الحكم والتي ربما تكون في الاحيان معاكسة كليا لرؤيا النظام هذا ما يحصل عادة في معظم الاحيان عند الدول المتخلفة بينما لا نجدها عند النظم التي اكملت مسارها الديمقراطي إذ يصعب الفصل عندها ما بين رؤيا النظام ورؤيا الحكم لأن ديمقراطية العمل السياسي تفضح اي تجزئة او تضارب ذلك لأن سياستها الخارجية ولعبتها الدولية هما امتداد للسياسة الداخلية وان تعقيدات وانفتاح النظام الدولي ومداره السياسي المبهم في بعض الحالات يفرض على الدول تكوين الرؤيا السياسية وربما تغييرها او تطويرها حسب

ما يتماشى مع لعبة الكبار الذين يهيمنون على النظام والا فإنهم يكونون قد تخلفوا عن دورهم في اللعبة السياسية وقبل فوات الاوان حيث تظهر النتائج بأنهم هم الخاسرين .

ان دور الرؤيا قد اصبح أساسي في السياسة الدولية وقد تجلت هذه الرؤيا مكان التنظير لسببين رئيسين :

اولا :النظام الحاضر يتخطى او يحوّل عدة عوامل ثابتة ومقبولة كمركبات للحقيقة ـ بحيث ان هنالك ترابط واضح وجلي بين مقومات بعض الدول المادية وقدرتها على الوصول الى اهدافها . ذلك لأن حالة استعمال القوة ، وربما البعض يسميها شرعية لأمة قد جعلت نسبة الترابط تتدنى وتجعل التقدير وتقييم القوة اكثر صعوبة في الوقت الحاضر وبمعنى آخر فانه عندما تهبط درجة قوة المختبر الفيزيائي فان قوة المختبر السيكولوجي ترتفع . . . . . . بمعنى انه عندما تخسر قوتي بعض تفوقها فإن استعمال سلطتي عليك تصبح نوعا من الفن بشيء يجعلك ترى العالم بالطريقة التي أنا أراها وتجعلك تتصرف بالتوافق مع نظرتي للأمور السياسة الدولية . في الماضي كان مدار اللعبة ساحة صراع لتطبيق القوة دون الاقناع واليوم ربما اصبحت حلبة صراع وحالة اقناع اكثر مما هي حالة تطبيق للقوة تفاديا لاستعمال القوة .

ثانيا : ان قيمة الرؤيا هي ادراك وفهم للواقع مبني على العلم والخبرة (عند القادة والمنظّرين) يضاف الى ذلك طريقة فن الاقناع لتلبية المصالح المشتركة والادراك الحاصل بأن الرؤيا الذاتية للدولة تبقى مغلّفة بالحالة الوطنية والمصالح القومية لذلك باستطاعتنا الاستنتاج للنظرية غير المتكاملة بأن القوة والصراع والفوارق تبقى بحد ذاتها الحقيقة القائمة في لعبة الامم وتبقى مرتكزاتها الرئيسية مصادر القوة البشرية والمادية .

ان تاريخ العلاقات الدولية يظهر بأنه ليس هنالك اعداء دائمون ،

وبما انه ليس هنالك اعداء دائمون فمن المفروض الا يكون هنالك اصدقاء دائمون في « لعبة الامم » . فالولايات المتحدة عبر تاريخها القصير في العلاقات الدولية وقد شنت حروب عديدة منها ضد اليابان والايطاليين والفرنسيين والالمان والاسبان ومعظم دول اميركا اللاتينية وكندا وكل هذه الدول التي كانت في حالة الحرب مع الولايات الاميركية المتحدة قد اصبحت الآن حليفتها وتنضوي تحت لوائها وبنسب معينة اخذنا فرنسا والمانيا والنمسا وانكلترا واليابان وغيرها من الدول فتاريخها لم يشهد بأن عداواتها دائمة وصداقاتها دائمة بل مصالح دائمة ومستمرة مادام مفهوم الأمة باق ولعبة السياسة والمصالح لم تتبدل . فإن دل ذلك على شيء فانما يدل على أن العداوة ممكن ان تتحول الى صداقة والى احلاف عسكرية والحالة العدائية لا يمكن ان تكون سرمدية كذلك الصداقة والتحالفات ، لذلك فان الشعور بالصداقة قد يتبدل كما أن الغاء الشعور بالعداوة قد يتغير ، وقد يتم ذلك ، ليس بأودع خلقية أو مثالية انما بالمصالح القومية التي تملي طريقة التعامل .

من هذا المنطلق نستطيع ان نقول بأنه ليس من الضروري ان تبقى حالة التحالف قائمة بين أي دولة وأخرى ، إذا تبدلت المصالح القومية وتبدلت الأدوات .

ان الأمم تعتمد منذ فجر التاريخ على مصالحها القومية وتحقيق هذه المصالح . وفي عصرنا هذا لا نجد بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعيدتان عن هذه النظرية وكل من هذين العملاقين يعطي المبررات التي يراها ضرورية لتبرير دوره في صداقاته وعداواته . فالولايات الاميركية المتحدة تتهم الاتحاد السوفياتي بأنه نظام فاشي يعتمد اسلوب القمع ولا يؤمن بالديموقراطية ولا بحقوق الفرد ولا بانتمائه الروحاني وسياسته الخارجية مع حلفائه وهي سياسة استعمارية واضحة تعمل لامتصاص خيرات البلدان التي تسيطر عليها ومن منطلق حسي تقارن

مستوى الفرد في الدول التي يسيطر عليها الاتحاد السوفياتي بالدول التي تتحالف مع اميركا كما تبرهن بالدراسات والاحصاءات على مدى القهر الذي يمارس على هذه الدول واهلها بما في ذلك اغتصاب الثروة الطبيعية والقضاء كليا على الثروة البشرية في تلك الدول بحيث تحدّ طموحات الافراد وتقتل فيهم روح المبادرة الفردية . اما الاتحاد السوفياتي فانه يطرح في اعلامه وفي مؤتمراته عن دور الامبريالية الاميركية وكيف توظف هذه الامبريالية نفوذها للسيطرة على الثروة الطبيعية للعالم ووضعها في تصرف وخدمة الامبريالية الاميركية .

كل هذه الطروحات لم تعد مقبولة اليوم حتى عند ابناء هذه الدول ، ان اللقاء الاسرائيلي الاميركي في الوقت الحاضر هو مختبر جيد في صدد بحثنا عن الرؤيا السياسية . كلا البلدين يبدأ من نقطة منظاره للحقيقة السياسية بحيث ان التقارب بين الاثنين هو اقرب من رؤيا دولتين مختلفتين والبعض ممكن ان يفسر هذه الفوارق بأن لا قيمة لها ولكن ما هو للاثنين جلي وصريح ومتضارب للاسباب التالية :

١ ـ ان الصراع القائم بين الجبارين احدهما يسيطر على قسم من العالم والآخر على القسم الآخر فيصبح وضع الدول المنضوية تحت لواء الدولتين العظميين في وضع لا يحسد عليه عند بروز مصالح الجبارين واسرائيل تدرك ذلك اكثر من غيرها .

٢ ـ هبوط الدور الاوروبي بعد سنة ١٩٣٠ والحرب العالمية الثانية في الشرق الاوسط اعطى لاميركا الدور واسرائيل هي حليفتها في الشرق الاوسط .

٣ ـ الحاجة الملحة لاسرائيل ان تربط امنها بالولايات المتحدة واميركا ان تربط مصالحها باسرائيل ودور اسرائيل في الشرق الاوسط .

٤ ـ وضع اسرائيل من قبل اميركا في موضع القوي وليس بدرجة التحكم المطلق والتفرد في لعبة القوى في الشرق الاوسط .

٥ ـ سقوط لعبة الاستعمار الفعلي من قبل الولايات المتحدة مثلما كانت تفعل اوروبا وتحويله الى دور السيطرة التي ترسم معالم الاستعمار بأدوات محلية .

الرؤية السياسية المعاصرة والحق المطلق :

ان رؤية الدول الكبرى والصغرى لمنظمة الأمم المتحدة قد تغيّرت مع المفاهيم الجديدة للنظام العالمي القائم . ان اسس العلاقات الدولية في الخمسينات كانت ترتكز على مبادىء القانون الدولي والنظرة التشريعية الى الشؤون الدولية . اما اليوم فقد تبدلت نظرة المفكرين السياسيين بالتأكيد على السلوكية في معناها التجريدي في تحليل الامور في ما يتعلّق بالقضايا الدولية .

ان المدرسة الجديدة في العلوم السياسية قد اغلقت الباب على القانون الدولي في مفهومه التاريخي وجعلت منه فرعا من فروع العلاقات الدولية لا يحتفظ باستقلاله الذاتي . وما دامت الدول الكبرى تؤمن سلاما عالميا فإن تصرفاتها اذاً تنسجم مع روح القانون الدولي ايا يكن التصرّف في تأمين السلام .

بهذا المنطق نرى ان اكثر الدول ، خصوصا الدول المتخاصمة ، نزعت ثقتها في القانون الدولي من الناحية التطبيقية لكن ليس من الناحيتين الاعلامية والتفسيرية لهذا القانون .

ان عدم ثقة اسرائيل في امكانات الامم المتحدة ومقدرتها على القيام بتنفيذ قراراتها المتخذة بأكثرية ساحقة يسمح لها بأن تدّعي انها لا تقبل ان تعهد الى منظمة الامم المتحدة في امنها وسلامها ولا تضع ما تسميه سلامتها ومصالحها الحيويّة تحت « رحمة » هيئة الامم وكأن الأمم المتحدة

دولة استعمارية تشاء السيطرة على اسرائيل وقهرها في عقر دارها . والواقع هو ان الحركة الصهيونية واسرائيل عندهما الرغبة في عدم رؤية الحق وعندهما القدرة الاعلامية على التشويه في الاسواق الدولية .

ان اثارة عقدة الاضطهاد التي تستعملها الصهيونية في اطار العالم ، خصوصا الولايات المتحدة ، لم تجد القبول في قاعات هيئة الامم وقد ردت هذه الاتهامات الى المتهم نفسه في كل القرارات المتخذة . فقد ادينت اسرائيل مرارا على سياسة الاضطهاد التي تعتمدها في الداخل ضد الفلسطينيين العرب وفي الاراضي المحتلة كذلك ، وكانت لجنة حقوق الانسان المنبثقة عن الامم المتحدة ادانت اسرائيل على معاملتها الهتلرية البربرية للعرب خصوصا للنساء والاطفال .

اما العرب فلم يتهربوا ابدا من قرارات هيئة الامم ولا تنفيذها والتزامهم بمبادئها خصوصا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي يدعو الى انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة وتأمين حقوق الفلسطينيين ، ان هاتين النقطتين الاساسيتين في القرار هما صلب المشكلة الشرق أوسطية وحجة اسرائيل لعدم تنفيذهما يبدأ بمبدأ ضعيف وينتهي بحالات نفسية مضطربة للصهيونية ، اولا ان اسرائيل تتذرع لرفض الانسحاب ، بناء على القرار الرقم ٢٤٢ ، بحجة ان القرار يقول ، بانسحابها من أراضٍ محتلة وليس من كل الاراضي المحتلة ، كما في صيغة القرار الانكليزية . اما في صيغتيه الفرنسية والروسية فإنه يدعو اسرائيل الى الانسحاب من كل الاراضي المحتلة . كما ان مفهوم القرار عالميا يعترف بذلك عكس المفهوم الاسرائيلي - الاميركي المتلاعب على الكلمات . اننا نعلم ان القانون الدولي لا يقر بالسيطرة على اراضي دولة اخرى وضمها بالقوة اضافة الى ان هذا ما نص عليه القرار الرقم ٢٤٢ نفسه . كما ان اسرائيل لا تزال تتخبط بشأن انسحابها من جنوب لبنان وقد اصبحت هذه الدولة المتعنتة لا هم لها في السياسة سوى اشغال العالم بعملية انسحاباتها من

الاراضي التي تحتلها وكأنها الدولة الوحيدة في القرن العشرين المتفردة باعتداءاتها على اراضي الغير .

اما قضية حقوق الفلسطينيين فان اسرائيل والولايات المتحدة تقولان عن الفلسطينيين انهم مجرد تجمعات بشرية وليسوا مجتمعا انسانيا له حق تقرير المصير في وطنه . ان اسرائيل تدعي انها على استعداد لأن تعترف بهم في الاردن كدولة فلسطينية تبنى على هياكل المملكة الاردنية وليس كوطن مستقل في الضفة الغربية ذي سيادة منفردة.

ان منظمة الأمم المتحدة لم تعش مشكلة عالمية بعد كالمشكلة الفلسطينية ولم تتخذ قرارات في شأن أي قضية كالقضية الفلسطينية ، غير أن اسرائيل تعرف ان هيئة الأمم المتحدة ترتكز على مبادىء قانونية لا تستطيع الشذوذ عنها بما في ذلك عدم استعمال سياسة القوة .

ان احتلال اسرائيل للجنوب اللبناني والبقاع الغربي وراشيا هو نهج من سياسة اسرائيل العدوانية فلا قرارات مجلس الأمن ٥٠٨ و ٥٠٩ يردعانها عن العودة من احتلال اراضي الغير . كما ان اتفاقات الهدنة لعام ١٩٤٩ التي يتمسك بها لبنان لحاله من متطلبات الشرعية الدولية هي هدنة لا تعترف بها اسرائيل انما تريد بدل ذلك اتفاقاً يشبه اتفاق ١٧ أيار وليس الانصياع للشرعية الدولية التي هي جزء من اتفاقية الهدنة كونها الطرف الثالث في الاتفاقية بين لبنان واسرائيل .

ويمعنى آخر ان هذه الهيئة العالمية لا تملك الجيوش والمعدات لتنفيذ قراراتها انما هدفها هو ان تخلق قوة معنوية في الأوساط العالمية لتكسب مساندة الرأي العام العالمي لها وبذلك تكون قد اظهرت اسرائيل على حقيقتها امام الضمير العالمي . اما استعمال القوة العسكرية التي يتحلى بها مجلس الامن فانها تقف مكتوفة الايدي عند استعمال الفيتو من الدول الكبرى التي يحق له هذا التصرف وبذلك نستطيع ان نقول ان

مجلس الامن لا يستطيع ان يحرك القوة العسكرية لأن ذلك يحتاج الى ائتلاف الرأي عند الدول . ولو حصل هكذا ائتلاف فإن عملية استعمال القوة من قبل المجلس قد تبطل لأن اسرائيل عندئذ تعرف ان لا مجال لها الا التقيد بالقرارات . وعملية الفيتو هذه تجعل من هيئة الامم جهازا غير كامل في عالم لا يعرف الكمالية .

التفسيرات والتحليلات :

ان هنالك من يدافع عن ، أو يعارض ، تدخل الدول العظمى في قضية الشرق الاوسط وقد اثبتت حروب الشرق الاوسط وعدم الاستقرار في المنطقة ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يريدان التدخل العسكري كما انهما لا يبغيان الانفراج في الشرق الاوسط ويطالبان بأن يكون حل مشكلة الشرق الأوسط نابعا من هيئة الامم أيا تكن الديبلوماسية الأميركية أو السوفياتية في الشرق الاوسط . ومادامت حالة الحرب لا تقرع ابواب موسكو وواشنطن ومادام التصادم المباشر بعيدا عنهما فان الحالة كما يحللها سياسيو المعسكرين هي في مصلحتهما وكل منهما يعطي التحليلات لفريقه عن ايمان منه بأن الحالة هذه هي لمصلحته .

ان السياسة التي اعتمدها كيسنجر واعطى تفسيراتها الكاملة للاسرائيليين ووصفها بأنها لمصلحتهم على أساس انها تعطي اسرائيل الوقت الكامل لاستعادة انفاسها وتضميد جراحها التشرينية وتكون في الوقت نفسه اعطت الولايات المتحدة الوقت الكافي لضمان مصالحها النفطية . وعبر التفسيرات الاميركية فان حالة الخوف واليأس التي يعيشها الاسرائيلي لا توفر له اي ضمانات من الناحية السيكولوجية يضاف الى ذلك حالة الاقتصاد الاسرائيلي المتدهورة وجو الرعب الذي يعيشه الاسرائيلي في الداخل والخارج .

اما بالنسبة الى العرب فان الضمانات المعطاة لهم ، سواء من

الاتحاد السوفياتي او من الولايات المتحدة فانها لا تنكر الامكانات العربية وتأثيرها على النظام العالمي ككل من الناحية النفطية خصوصا اوروبا والولايات المتحدة . والعربي اليوم يشعر سيكولوجيا بمقدرته على القتال والتفوق على الاسرائيلي يضاف الى ذلك قدرة العرب على اضعاف الدول الصناعية اذا ما استعملوا نفطهم كسلاح في معركتهم المصيرية ، وما كان قطعهم للنفط بعد حرب تشرين الا تحذيرا لحكومات الدول الصديقة لاسرائيل وشعوبها عن الخسائر التي في استطاعة العرب ان يجروها على هذه الدول .

المسكن لا الدواء :

اننا نجد ، استنادا الى سياسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ، ان هاتين الدولتين تستعملان هيئة الامم المتحدة كمسكن للاعصاب وليس كدواء تعالجان به المشكلة . كما اننا نشعر بأن المدافعين عن الامم المتحدة يلومون اميركا في عدم دعمها للقرارات المنبثقة من الهيئة الدولية وانطلاقها وراء مصالحها الخاصة والتزاماتها باسرائيل من دون التطلع الى منطق الحق في تقرير المصير وحفظ حقوق الانسان التي وجدت المنظمة من اجلها .

واذا استمرت الحالة على ما هي فان من حق الشعب الفلسطيني ان يقرر مصيره بيده ، ويكسر الطوق الاسرائيلي بعدما سلم قضيته مدة ربع قرن للمنظمة الدولية ولم يجد منها سوى اصدار قرارات لم تنفذ . لقد اثبت العرب ان الخيار العسكري عندهم كان دوما في سبيل تنفيذ القرارات الدولية في حين ان اسرائيل ، بدعم من الولايات المتحدة ، تخرق هذه القرارات وتجعل عدم الامتثال ميزة ترافق كل سياساتها وتصرفاتها .

من النظرية الى التحليل :

تبدأ عملية التحليل عند الباحثين في الشؤون الدولية من القاعدة التي

يختارونها فباستطاعتهم بالمدرسة السلوكية الجديدة لعلم السياسة ان يأخذوا أي من الوحدات الثلاث لدراساتهم الموضوعية ، وفق الآتي :

أولا : ان تكـون وحدة التحليل عندهم النظام العالمي القـائم بعد الحرب العالمية الثانية والتغييرات التي طرأت عليه والتي وضعت الدول الكبرى تصميم بنيته العالمية International Structure وعيّنت نفسها الوصيّة على افرازاته السياسية Political Function التي تصب في خدمة الحفاظ على الهرمية الدولية التي تخدم صالح القيمين عليها تحت شعارات الوفاق الدولي والسلام العالمي .

ثانيا : من الممكن ان يبدأ الباحثون بالوطن كوحدة تحليلية مركزا على وضع البلد التاريخي مستمدا منه حالة الوطن الداخلية ونوعية النظام المعمول به ، مركّزا على تقاليد وعادات المجتمع وما تنطوي عليه من تراث وقيم تؤمن بها المجموعة الوطنية وقد يكون ناقصا اذا لم تدرس الطاقات البشرية والمادية التي يتمتّع بها هذا البلد مع الاهتمام بالنزعات التربوية والانتولوجية والطائفية .

ثالثا : التركيز على دور الانسان البارز وتركيبته السيكولوجية وهذا هو الموضوع ، مع التذكيـر بأن هـذه الوحـدات التحليلية الثـلاث مترابـطة ومتفاعلة مع بعضها البعض ومن الصعب فصل أي واحدة عن الأخرى أو اعطاء الافضلية لوحدة تحليلية على الثانية .

ان التفاعل بين الامم هو القاعدة الاساسية في العلاقات الدولية . فلو لم يكن هناك تفاعل لما كانت هنالك سياسة دولية وقوانين وانظمة تـرعى شؤون الاسرة الـدولية وقضـاياهـا . فمن يوم تكـوين الوحـدات الاجتماعية وتحويلها الى وحدات حضارية وقومية بدء التفاعل يأخذ مسراه وينشّط بين هذه الوحدات . ان التفاعل السياسي والانظمة والقوانين لم تكن تراعى قبل وجود هذه الوحدات الاجتماعية ، ذلك لأن هذه الوحدات

الاجتماعية قد وجدت منذ فجر التاريخ . فالتصويب والحتمية يدلان على انه وجد على رأس هذه الوحدات رجال تتمثّل بهم المجموعة وتحتكم بأمرهم ، ودور هؤلاء الرجال يعزّزه التاريخ . فالرجال هم الذين يحرّكون ويفتعلون ويؤثرون على سير الاحداث وهذا من الناحية القيادية التي يتمتّع بها هؤلاء الرجال . فلا يذهب الباحثون في حقل العلاقات الدولية الى دراسة وتحليل سيكولوجية الرجال العاديين بل يتناولون القادة منهم لأن العاديين من الرجال ليسوا في موقع التأثير على مجرى الاحداث . فالمقالات الصحافية والدراسات العلمية تظهر عن القياديين الذين يمثلون ويقودون المجموعة الوطنية ويتحدثون باسمها ويقررون لها طريق السلام او طريق الحرب .

ان السلاح لا يقرر ولا يفتعل الحرب انما عقلية الرجال هي التي تقرر وتسبب الحرب والسلاح . ان كلمة حرب ليست كلمة رديئة ولا السلاح كلمة رديئة انما ما يجول في تفكير الرجال لتخطيط واشعال نار حرب غير صائبة ولا عادلة على الآخرين لأن دولهم تملك المقدرات العسكرية وتشاء اغتصاب حق غيرهم من أمم الارض هي الكلمة الرديئة في قاموس السلام العالمي واضطهاد الآخرين . فالعلاقات بين الأمم هي علاقات بين الرجال وأي تغيير في هذه العلاقات هو تغيير في عقلية القادة منهم . هؤلاء القادة يتحدثون ويفاوضون باسم الأمة ويتحملون اعباء المسؤولية التي آلت اليهم من ابناء شعبهم فقد كان الرئيس ديغول عندما يقف ليخطب يقول : « ان فرنسا تنطق كلمتها الآن » . يتكلم باسم الأمة والشعب الفرنسي . انه ليس ديغول الشخص الذي يتكلم انما ديغول فرنسا الأمة . وهذا يدل على أن اقوال وتصاريح القادة تنتهي بالأمة كوحدة اجتماعية وبدأت الحلقة تتصاعد عمدا متبنية آمال واهداف هذه الأمة لتصب بالقيادة التي تتحدث باسمها امام ابناء الوطن ومن على منبر السياسة العالمية .

ان القيادات السالفة والقيادات الحاضرة والقيادات التي لم تدخل التاريخ بعد تختلف عن بعضها البعض من نواح عديدة اهمها ناحية التركيبة السيكولوجية والماورائيات الاجتماعية يضاف الى ذلك نواحي القيم الوطنية The national value system التي تملي على القيادة واقعاً معيناً مرتبطاً بعقلية النظام المعمول به داخليا وعقلية الشعب المعبأة بتراث وتقاليد الماضي وعواطف الحاضر وآمال المستقبل . فالقادة يعملون ضمن الاطر الفردية والنزعات الشخصية مع الارتباط بالقيم الوطنية اذا كانت القيادة حكيمة ، كذلك ضمن نطاق المؤسسة وطنية كانت ام دولية . هذه المؤسسة هي التي تحدد الصلاحيات وتضع العرف المعمول به . ومقدرة القائد أن يبقى صامدا في افق تفاعلات متعقدة وعلى مستويات متعددة ولاهداف متنوعة في عالم سياسي يتطلب الرؤية الواضحة للعبة السياسية والمصالح الدولية .

ان استمرارية القيادة الحكيمة هي التي تحكم بين نزعاتها الفردية من ناحية التركيبة السيكولوجية ومفاهيم القيم الوطنية ومركز بلدها في هرمية النظام الدولي القائم . فلا يتفرد بالاولى لأن هكذا تفرد يؤدي الى بداية الانزلاق عن المنصة القيادية ولا يفرط بمفاهيم القيم الوطنية والتراث لأن مردود ذلك اخفاق لدور الوطن والمواطن ولا يتمسك كليا بعقلية نظام ديكتاتوري متزمت لأن دور القيادة الرئيسي هو دور تطوير النظام الى الأحسن وعلى طريق ما يتماشى مع عقلية الرجل المتحضر في القرن العشرين والى دور ما يتناسب مع دور هذا النظام ضمن اطار البوتقة الدولية القائمة مع حث ابناء وطنه على المشاركة الفعلية بالحضارة الانسانية والتفاعل مع حضارات الآخرين ليعطي ما عنده لأخيه الانسان العالمي ويقتبس ما عند الغير من حضارات يراها مفيدة ويضيفها الى ما عنده ويطعم بها تراثه وتقاليده .

ان كتب التاريخ بأقلام المفكرين والسياسيين تشهد بأنه لولا

« اللوفنبرام » الالمانية «L'Auvenbrum» التي تبناها هتلر مبدأ لنزعته الفردية المتطرفة التي تلاقت مع غلواء العنصرية الوطنية التي نادى بها موسوليني ، لما كانت الحرب العالمية الثانية وما آلت اليه من مآس انسانية ودمار مادي وتقهقر اجتماعي وهضم لحقوق الانسان . فإن رجلا باستطاعته ان ينقذ امة وامة ليس باستطاعتها ان تنقذ رجلا والعكس يقال بأن رجلا يستطيع ان يغرق امة ويؤدي بها الى أودية الظلام والتقهقر والتقسيم وهذا ما فعله هتلر بالنسبة للأمة الالمانية ، وحتى تتخلص هذه الأمة من كابوس ما تركته القيادة من تمزيق وتشتيت وتقسيم بين شعب واحد يتطلب ردحا طويلا من الزمن ، والمرارة اليمة في نفس كل الماني لأنه يدفع ثمن ما خلفت وفعلت به قيادته الهتلرية وسوف يدفع اليهود ثمن القيادة الاسرائيلية الصهيونية المتزمتة المنحرفة كذلك افريقيا الجنوبية وروديسيا وغيرها من الدول العنصرية التي تسير على خط النازية والموسولينية في عصرنا هذا .

ان وجود اسرائيل لم يكن حدثا طبيعيا ولا عملا انسانيا فلولا ترومان ونزعته الفردية لما تم الاعتراف بدولة اسرائيل من قبل الولايات الاميركية المتحدة لأن الوثائق تدل على الاختصاصيين بسياسة اميركا الخارجية وبتكليف من الرئيس ترومان ان يجتمعوا بمقر وزارة الخارجية لدرس وتمحيص المصالح الاميركية على ضوء الاعتراف أو عدم الاعتراف بالدولة الصهيونية . وقد توصل المجتمعون وعلى رأسهم وزير الخارجية الى اتخاذ قرار عدم الاعتراف باسرائيل بعد مناقشة طويلة دامت ساعات لأنهم وجدوا بأن هذا الاعتراف يتنافى مع المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ولكنهم فوجئوا قبل تقديم تقريرهم للرئيس وقبل مغادرة مكان الاجتماع بأن البيت الابيض قد اتخذ قرار الاعتراف باسرائيل واذيع قراره على الملأ بواسطة وسائل الاعلام والاعراف الديبلوماسية وذهب جهد وقرار المجتمعين في الخارجية الاميركية سدى . وتتخبط اليوم اميركا الدولة والشعب الاميركي بأعقم مشكلة تواجهها الولايات الاميركية المتحدة في سياستها الخارجية بسبب قرار اتخذه الرئيس ترومان تحت تأثير صديق يهودي له . هذا القرار من

ويلاته تشريد شعب فلسطيني وحروب مدمرة وعدوان اسرائيلي نفاجأ به كل يوم بالاضافة الى ما له علاقة بالمحنة اللبنانية .

انه كما ورد في قاموس الاونيسكو في بنده الاول على « ان الحرب تبدأ بعقول الرجال كذلك مداميك السلام يجب ان تنطلق من عقول الرجال » . اي رجال نقصد ؟ اننا نقصد الرجال القياديين الذين يختارون الطريق - طريق الحرب او طريق السلام - طريق خلق المعضلات كنواة نتائجها الحروب أو حل المشكلات نتائجها وئام وسلام . ان الاختيار عادة صعب جدا لما فيه من وجهات نظر . ففي مجلس الامن القومي الاميركي مثلا تطرح المشكلة او الأزمة التي تواجهها الولايات الاميركية المتحدة في سياستها الخارجية ويقوم الاختصاصيون بوصف المشكلة وتفصيل محتوياتها من جميع الجوانب ثم يصار الى تحليلها ومدى مضارها على المصالح الاميركية كما تطرح الحلول للمشكلة والقرارات التي يجب اتخاذها وفي نهاية البحث والتمحيص يطرح البديل للقرارات التي يمكن اتخاذها في حالة عدم تنفيذها . ويشارك في غربلة هذه الآراء وزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس مجلس الامن القومي مع الاختصاصيين في المشكلة المطروحة برئاسة رئيس الجمهورية الذي عاد فبقي صامتا طيلة الاجتماع الا بتوجيه بعض الاسئلة والاستيضاحات ولكنه في نهاية المطاف هو الذي يتخذ القرار الذي يراه مناسبا كونه الرجل الاول الذي عليه يقع عبء تحمل المسؤوليات داخليا ودوليا . ولكن بعض الرؤساء الاميركيين كانوا يتركون لغيرهم اتخاذ القرار وهذا يسمى ضعف بشخصية الرئيس فان محصلة ما توصل اليه علماء السياسة الاميركية بتصنيف رؤسائهم يدل على مدى دور الرئيس القيادي والرئيس البروتوكولي . فقد كان بيوكنن ومدسون وايزنهاور يريدون القرارات ان تأتي اليهم ليصادقوا عليها ويطلبون من المساعدين والمستشارين اتخاذ القرار بالنيابة عنهم . فقد كان شرمان يقرر لايزنهاور الشؤون الداخلية وكان فوستر دالس يحلق بالصلاحيات المطلقة

في الشؤون الخارجية بينما كان روزفلت وواشنطن ولنكلن وكنيدي رجال القرار يصوغونه ويقررونه على ضـوء المصالـح الاميركيـة بعد استشـارة اصحاب الاختصاص . وكان كنيدي يقول لا اريد ان تأتي الي القرارات لتوقيعها انما اريد ان تأتي الي المشاكل والازمات لأتخذ بشأنها القرارات وعند تولي كارتر رئاسة الجمهورية وهو في بداية الطريق قال اني لا اريد ان اغرق بامضاء القرارات ولا ان اعبأ في عالم الاوراق والتقارير .

فالقائد المؤمن يعمل بما يمليه عليه الضمير والحكمة ولا يكترث بالفولوكلورية السياسية التي تدور من حوله وفي اذنه وهذا لا يعني ان تأتي اليه المشاكل ليتخذ قرارا بشأنها خارج نطاق الصلاحيات الدستورية والآمال الشعبية . انه لا يريد ان يكون رجل الحرف والنص ولا كمبيوتر المعلومات بل رجل الساعة الحاسمة وما يمليه عليه المنطق الوضعي لمعالجـة ما تواجهه امته من صعاب . وكان عبد الناصر القائد الكارزماتي مرتبطا بعاطفة وآمال شعبه ومؤمناً بعمله ولكنه اصطدم بواقع التركيبة الدولية لأنه ظن بأن الاتحاد السوفياتي الصديق لن يتخلى عنه يوم المحنة ولكن تصوراته كانت خاطئة بالنسبة للنظام العالمي ولكنها كانت مصيبة لما آمن به لأنه حول انكساره في حرب الـ ٦٧ الى انتصار لشخصيته عندما اكتسب ولاء الشعب العربي بمصارحته له وتحسسه للعاطفة الجماهيرية واستطاع ان يخلق لحمة الشعب مع القائد وعندما لم تحقق هذه القيادة رسالة الولاء المعطى من الشعب مات القائد شهيد الرسالة لان اخلاصه وتفانيه لتأدية الرسالة اعطياه حق هذا الاستشهاد . فقد كان الرئيس عبد الناصر شهيد صدقه واخلاصه مع شعبه وانكسار شعبه في حرب الـ ٦٧ كان رصاصة استشهاده الذاتية . وقد مات غاندي قائد السلام صياما وجوعا في وجه المستعمرين ليحرر الهند . لقد حارب الاعداء بكلمة عدم اعترافه بهم كاعداء وقد بقي غاندي القائد مدرسة اللاعنف في وجه الطامعين والمعتدين وبقيت الهند وشعبها مدانين لجوع غاندي وسلاحه الانساني الذي كان اقوى بكثير من اسلحة المتعنتين والمغتصبين .

ان دور القائد هو اقناع ابناء شعبه على ما يجب عمله خدمة لهم وللوطن دون استجدائهم واسترضائهم للقيام بواجباتهم كمواطنين والا يترجم المواطن لنفسه كلمة ماذا اعطاني وطني بقدر ما يسأل نفسه وضميره عما اعطى هو لوطنه وصاحب الرسالة القيادية عليه دائما ان ينبّه المواطن ويحثّه على العطاء .

اولا : لأن كلمات القائد تسمع وتدوّن في كل مناسبة دون غموض وابهام بصدد ما تعنيه ، وتصرفاته هي مرآة المجتمع يرى المواطن بها حقيقة وسياسة بلده .

ثانيا : لأن كلمات القائد واقواله تعمّم في عصر الاعلام وتعطى الاولوية في تفسير ما يعني وما يقصد والى ما يرمز .

ثالثا : اوامره تطاع وتنفّذ وتنشر والرجال الذين يتلقّون هذه الأوامر يجب ان تكون عندهم الكفاءة والقدرة على التنفيذ ولا يدخل الشك ولا الريب في عقولهم بأن صلاحيات القيادة من حقّها اصدار هذه الاوامر بوضوح وباسم السلطة التي تتبؤها القيادة شرط ان تكون شرعية وقانونية واخلاقية .

رابعا : القيادة الحكيمة هي التي تحمل ضمن طيّاتها الآمال المنشودة وتحث ابناء الوطن على السير في هذا المضمار للوصول الى الهدف الوطني المنشود .

خامسا : على القائد ان يزيل العقبات والصعاب التي تقف في وجه التغيير الى الاحسن ولا ينهار عند الضرورة في اتخاذ القرار .

ان قوة قرار الملك فيصل باستعمال سلاح النفط في حرب تشرين كانت اقوى من قوة الطاقات البترولية كلها . وهذا القرار كما سمّته السعودية بمثابة انذار يوضّح للشعب الاميركي والغرب والدول المساندة لاسرائيل ولولا قرار العرب من قبل ملوكهم ورؤسائهم في هذه الفترة بالذات

بتوحيد صفّهم مطالبين العالم بسلام عادل وحقوق شعب له حق الحياة وتقرير المصير لما ارتعبت اسرائيل من كلمة سلام وخافت من محاكمتها العالمية في مؤتمر جنيف ولما هلّلت وصفّقت القدس مدينة السلام والاسلام وحبيبة المسيح وعروسه الزاهية .

وعلى المدى القريب وفي اتون المحنة اللبنانية كان قرار الرئيس الاسد قرارا تاريخيا ، كما قال بأن قراره لدخول لبنان كان اصعب عليه بكثير من اتخاذ قرار حرب تشرين .

الذات الوطنية وسلوك القيادة : الذات الوطنية هي وحدة المصير التآلفية ضمن قالب الغايات المنشودة ، والقيادة هي التي تمتن جذور هذه الذات الى ابعد مدى زمني وجغرافي وحضاري ممكن . ان الذات الوطنية هي مجموعة تصرفات ، وقيم وتاريخ يتعلمها الفرد والجماعة ولا تأتي عفوا من قاموس الطبيعة ، فنظرة الفرد والجماعة لانفسهم تعكس تصرفاتهم للغير باسم القيادة التي تتحدث باسمهم . ان مركبات الذات الوطنية والمحافظة عليها بالنسبة للقادة هي الالمام بمعرفة هذه الذات والحفاظ على جوهرها في عالم تصارع القوى والمصالح الدولية .

فالقادة من الرجال بمفهوم القيادة الصحيحة يتمايزون عن الرجال العاديين من ناحية المعرفة السياسية فالمطلع على الامور في الشؤون الدولية يعرف واقع ذاته القومية ويدرك مسراها وهذا ما يسمى بالادراك او معرفة الشيء . اما الرجل العادي غير الملم بالمعرفة فانه ينساق وراء ميوله ورغباته وخبرته الشخصية دون الالمام بالجوهر وهذا ما يسمى بالميل العاطفي او حب الشيء ، مع ان هذا لا يعني بأن القائد لا ينساق وراء ميوله وغرائزه الوطنية انما ما يعطيه المرتبة الرفيعة المنوفة عن الرجل العادي هو حدود المعرفة والادراك لما يدور في افق السياسة والتزاماتها الداخلية والخارجية . فلو تركنا الامور تسير على النمط العاطفي نكون قد خالفنا منطق المعرفة للأمور التي تدور في فلك علم السياسة . اذا علينا

ان نحد منطق العاطفة بالمنطق العلمي والعملي ضمن نطاق المنطق الوضعي للأمور أو حالة الاشياء كما هي عليه ضمن الدائرة الزمنية والمكانية ونترك للقادة ونحملهم مسؤولية تدارك العواقب التي ربما تصيب البلد . فاذا لم يكن لدينا نوعية القيادة المميزة بالناحية المدروسة على ضوء معرفة الامور واتخاذ القرارات الحكيمة في القطاعات الداخلية والخارجية ، فلا شك اننا للذات الوطنية ظالمون .

القائد الملم بمعرفة الشيء يقول لنفسه وللجماعة انا اعرف والمعرفة ليست هي حب الشيء فأنا اعرف وأنا احب ولكن ليس باستطاعتي ان اعمل ما احب انما اعمل ما اعمل لأنني اعرف وعملي السياسي مرتبط بهذه المعرفة المفروضة فانني اود ان اعمل في سبيل ما احب انما الاصطدام بالواقع يفرض علي ما يجب عمله واتخاذ القرار بشأنه وليس عمل ما احب واهوى . فان كانت هذه تصرفات القائد المدرك فان الامور والمشاكل التي تواجه الوطن يصار الى حلها باسم القائد المسؤول على الطريقة التالية :

انا اعرف . . . . . انا احب . . . . . اخيرا انا اعمل (اتصرف)
الوطن يعرف . . . الوطن يحب . . . . اخيرا الوطن يعمل (يتصرف) .

فكيف يشعر ممثلو الامة صاحبة الذات المستقلة وافرادها الواعون بأن امتهم ليست صاحبة سيادة استقلالية بمفهوم الاستقلال الكلي عندما يواجهون حقيقة الامور ويجدون بأن ذاتيتهم الاستقلالية ليست ذات فعالية وضمانة في عالم تتقاتل اممه على السيادة . فمقياس السيادة هو مقارنة هذه السيادة المطلوبة والمرغوب بها بغيرها من الامم . كذلك القوة فقوة الامة لا تقاس كوحدة بذاتها بل يجب ان تقاس بقوة الغير كلما خطت الامة الى الامام في الميادين العلمية كلما ازداد مفهومها لذاتيتها الاستقلالية

ومعنى وجودها بين الامم وهذا يتطلب رعاية قادة يعرفون ما يعملون وأي قرار يتخذون .

دالاس وكيسنجر : نموذج تحليلي للرؤيا عند السياسيين بناء لتراثهم السياسي :

ما دامت الحرب تسكن عقول الرجال ففي عقول الرجال يجب ان تبنى قلاع الدفاع عن السلام ، هذا ما نصّ عليه دستور منظمة الاونيسكو في صفحاته الاولى . اننا دائما ننسى أو نتناسى ان الذين يتخذون القرارات الرئيسية في صدد السلام او الحرب هم اناس يخافون ويخيفون من عواقب قراراتهم ، يتضاربون مع غيرهم لتركيز انفسهم في السلطة ، يقتلون ويُقتَلون ، يقدّمون مساعدات السلم والحرب ويفسّرون كل ذلك للرأي العام بأن ما يقومون به هو في سبيل المصلحة الوطنية ورعاية مصالح الدولة في الداخل والخارج .

الافراد الذين على رأس السلطة عليهم يجب ان يتركّز الاهتمام في تحليل نفسيتهم السياسية والاجتماعية والسيكولوجية لأننا بذلك نتوصّل الى ما ننتظره والى ما يسعى اليه هؤلاء في اهدافهم السياسية في الحق الخارجي .

فلو ائتلفت ضمائر القائمين على الشؤون الخارجية وعقلياتهم لما كان هنالك نزاع وحروب في العالم ولعمّ السلام اطراف البسيطة ولكن مادامت الحكومات تختلف في انظمتها ، والسياسيون يختلفون في الآراء مقتنعين ضمائرهم بأنهم على حق فان الحرب ستبقى ما بقي الانسان .

ان العلاقات الخارجية تنعكس في عقلية القائمين عليها ، واي تغيير في هذا الصدد يعني تغييرا في العقليات والنظرة الى الامور ، فالافراد نتاج البيئة الاجتماعية التي تفتّحت ابصارهم عليها . كان دالس وزير الخارجية الاميركية السابق مثلا : يرى الاشياء بمنظار التربية البيتية والاجتماعية التي

وجد نفسه فيها ، تربية دينية بحتة دائما كانت تحثّه على التقيّد بنواهي واوامر الدين المسيحي كركيزة ووحي للحضارة الغربية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وكان كرهه الشخصي للشيوعية ناتجا عن اقتناعه المبرم بأن الشيوعية سرطان الشعوب وعدوة المسيحية والحضارة الغربية ، فحاول بسياسته الخارجية حصر الشيوعية في عقر دارها وبناء حركة الاعلام الاميركية في وجه الشيوعية كي لا تتسرّب الى مجتمعات « العالم الحر » . وعندما حاولت دول الحياد ان تنزع عن نفسها صفة التحيّز لأي من المعسكرين اكان شيوعيا او رأسماليا انتفض دالس متنكّرا لسياسة الحياد والمقرّرات التي اتّخذت في مؤتمر باندونغ على اساس « ان الذي ليس معنا فهو ضدّنا » موجّها ذلك الحديث آنذاك الى دول الحياد خصوصا دول الشرق الاوسط الذي كان عبد الناصر يلعب فيه الدور الاهم بالنسبة الى الدول العربية . فلم تخف دالس الانقلابات والثورات الوطنية بمقدار ما كانت تخيفه الشيوعية او أي تعاطف مع المعسكر الشرقي .

ان التربية الدينية المتزمّتة كان لها التأثير الفعّال على شخصية دالس ، وتفسيره للأمور كان مستمدا من العامل الديني الذي أثّر على شخصيته والامكانات التي كانت تتمتّع بها الولايات المتحدة في عصره .

فلو جئنا نقارن هنري كيسينجر بدالس لوجدنا ان التربية الاجتماعية تختلف نوعا ما فإن السيد كيسينجر تربى في بيت يهودي وعاش مأساة الاضطهاد النازي معنويا في شبابه وحسيا في طفولته ، وهو مثل غيره من اليهود الاميركيين الذين يرون أن بناء وطن لهم في فلسطين هو تقوية وضمانة معنوية لشخصيتهم يؤول اليهود في حال اضطهادهم .

عندما جاء الرئيس نيكسون بكيسينجر بعد استقالة روجرز وزيرا للخارجية اعطيت التفسيرات ان الرجل يهودي وفي استطاعته ان يقنع اسرائيل بتغيير سياستها العسكرية الى سياسة الليونة التي يمكن التوصل من

ورائها الى حل سلمي في المنطقة يرضي جميع الاطراف المعنية ويكون الرئيس نيكسون محميا من الضغط اليهودي داخل الولايات المتحدة وبعيدا عن وصمات التحيز ضد السامية .

ان التحليلات التي اعطيت لتعيين كيسينجر من قبل السياسيين الاميركيين كانت تستهدف تحويل انظار الرأي العام عن فضيحة ووترغيت الى النزاع في الشرق الاوسط وسياسة السلام التي سوف يتبعها كيسينجر في المنطقة بعدما اثبت للاميركيين صوابية السياسة التي اتبعها في حرب فيتنام وبناء جسور التفاهم مع الصين الشيوعية والعمل لقبولها عضوا في هيئة الامم والحلول مكان الصين الوطنية في مجلس الامن الدولي .

فقد مهد كيسينجر لنيكسون زيارة مصر وبعض الدول العربية كحدث تاريخي جعل الرؤساء والملوك العرب يضعون تفاؤلهم في الرئيس الاميركي ووزير خارجيته . كان الرئيس نيكسون ملما بالشؤون الدولية ، وكان كيسنجر وزير خارجيته منفذ لمآرب الرئيس وسياسته . لقد استقل كيسينجر بالسياسة الخارجية في عهد الرئيس فورد كما استقل دالس من قبله في هذا الشأن وكل ذلك يعود الى عدم المام الرئيسين ايزنهاور وفورد بالشؤون الخارجية واعطاء وزير خارجيتهما الدور الاكبر في تدبير سياسة اميركا الخارجية .

ان كيسينجر الرئيس فورد غير كيسينجر الرئيس نيكسون وسياسة المرونة وعدم الالتحام ، والتفاؤل العربي في عهد نيكسون بدأ ينهار شيئا فشيئا بعد تصريح كيسينجر باستعمال القوة في الشرق الاوسط في حال قطع النفط من قبل الدول العربية المنتجة للنفط ، يقاس ذلك بنهج جديد في سياسة اسرائيل العدوانية اما اليوم فان الادارة الاميركية امام المحك في الشؤون الخارجية بالنسبة للشرق الاوسط فاما ان تنجح والا فان السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ربما تواجه انتفاضات ربما ان تكون قريبة مما يحصل في ايران لانه غير المعقول ان يكون الرهان على انظمة تتحكم بها

قلة من الرجال في الحكم بل من المنطق والحكمة هو ان يصبح الرهان على التيارات الشعبية ومتطلبات هـذه الشعوب . مهمـا يكن فإن رؤيـة الرجال (القـادة) شأن مهم يجب ان يـدرس ويعطي حقـه في العمق والاستقصاء لاننا وبنتيجة نقاد من قبلهم فعقلية شوكتز وعالم الاعمال غير عقلية كيسينجر الاستاذ الجامعي وعقلية دالس صاحب نظرية العالم الحر غير عقلية الاثنين وهلم جر . ومادام السياسيون والقادة من الرجال يملى كرسي القرار فيتـوجب علينا ان نتعـرف بالعمق عن خلفيـاتهم وتراثهم السياسي لاننا معنيون ومتأثرون بقراراتهم .

نظرية التحـالفات السـياسيَة

ان الفريق الذي يرتكز على ارادة ومقدرات هي من نوعية الصراع عسكريا . . . اقتصاديا . . . ام سياسيا هو الفريق الـذي يملي شروطـه ويتحكم بـالصراع ويحـدّد شروط اللعبـة ليحقّق من وراء ذلك اهـدافه الوطنية . هذه الاهداف ليس من الضرورةان تكون على طريق التصويب الانساني **human rationalisation** بل من المفروض ان تكون في حالتها الراهنة تسير على طريق التصويب الوطني (وكم يخطىء القادة ومهندسو السياسة الخارجية في مفهوم هذا التصـويب الذي يخـدم القوميـة على حساب الآخرين ويـدّعون بـأن عملهم هذا يصب في حقـل التصويب الانسـاني وليس القومي فقط) . ففي اكثـر الحالات نشهـد بأن عـالم التصويب القومي في لعبة الامم يأتي عن طريق الطرف الذي باستطاعته ان يتحكم بمجريات الامور السياسية لأنه (في تركيبة النظام العالمي القائم) هو الذي يسن شرعية التصويب ويتطلب بالضرورة الموضوعية من الاطراف الاخرى القبول بها آنيا ومستقبلا » . لانها بنظرهم هي الطريق التي تؤدي الى السلام العالمي المنشود . . .

وقد نصب الفريق القوي (ويمكن ان يكون اكثر من دولة) نفسه وصيا ومسؤولا عن السلام العالمي حسبما يرتئيه هو وترتئيه معه مجموعة القومية . هذه المجموعة في بنيتها التحتية **Sub-Structure** وتركيبة انسانها

التراثية Cultural Background تفرز بدورها معطيات السياسة الخارجية للبلد وهندسة هرمية للنظام الدولي[١] .

ان المفهـوم الكلاسيكي للسياسة الخارجية لا يزال قائما بمعنى ان السياسة الخارجية للوطن تنتهي عند حدود سياسته الداخلية . فالسياسة الخارجية هي امتداد واقعي ومسرى طبيعي للسياسة الداخلية . المفهوم الأول لهذا الامتداد هو ان علم التاريخ قد اثبت لنا بأن الحـدود التي سمّيت بالحدود الطبيعية والقومية ما هي الا حدود الغرور القومي عند بعض الدول التي الغت من مذكرتها الالتزامات الدولية وعلّلت القانون الدولي حسبما تشاء وانطلقت في غرورها القومي مركزة على مقوّمات ومقدّرات ليست في حوزة الآخرين . هذا الغرور القومي هو بحدّ ذاته مشكلة الأمم التي حفلت بها صفحات التاريخ . مشكلة عانت منها النازية والفاشستية وغيرهما وتتبعهما في الوقت الراهن حالة الغرور والتعنّت الصهيوني . ففي حالة الغرور القومي المضلل تصبح قرارات القائد الـوطني قسريـة . . . مناخها دكتاتوري . . . وآفاق حاكمها هي آفاق ذاته واهوائه النيرونية[٢] . فمن جراء تعنّته وسيطرته مع الزمرة الحاكمة يبدو بديهيا ان يتعقّد معه مجتمعه ويتّسم بافكاره الا اذا كانت المبادىء الديمقراطية قوية لإلغـائه والغاء دوره ، وسياسة العدالة العالمية والرأي العـام العالمي اقـوى من الباطل ، ومدرسة التصويب الانساني اسمى واقـوى من الغرور القـومي المعتدي على حقوق الآخرين .

اما المفهوم الثاني القائل بأن السياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية فهذا يعني الصيغة الديمقراطية القائمة في الوطن ، بمعنى ان الشعب الذي يعي دوره في المجتمع ويعي دوره في بلده في هذا العالم

---

(١) See Stanley Hoffmann, The State of war, Essays in the Theory and Practice of International Relations, New York: Frederick 17 Praeger 1965 PP. 22- 53.

(٢) Hans Morganthau, Politics among Nation: The Struggle For Power and Peace 4thed. (New York Alfred Knaph 1966) P. 42.

قد يتوقّف عند نقطة حدود الوعي القومي وليس الغرور القومي فيكوّن او يساعد على تكوين سياسة خارجية تساعده على حفظ كيانه وسيادته دون المس بكيان الآخرين وسيادتهم . ان هذا يتطلّب وعيا عاما عنـد ابناء الشعب يمسح من ذهنه فكرة الأمبراطوريات ويشطب من قاموسه وتاريخه جنون نيرون وعقدة هتلر وهوس موسوليني وتعنّت بيغن وارهابه .

اما المفهوم الثالث لهذا الامتداد في السياسة الخارجية فانه قد ينتج عن مفهوم النخبة الوطنية political elites التي تعيش واقع النظام العالمي القائم وتتكيّف معه ضمن مفاهيمه وقيوده وانظمته[٣] . هذا لأن معطيات السياسة الخارجية وعلاقة الدول بعضها ببعض اخذت مدارها في اطار الوعي العالمي ولم تعد مقفلة الابواب وبسماركية التكتيك . ان العالم المتضارب المصالح يعطي لرصيد التحركات في العلاقات الدولية باعلام اصبح كوني المدار ، لا ابواب مقفلة في وجهه في الربع الاخير من القرن العشرين[٤] . انه لا يترك لأي سياسي حرية اللعبة دون ترجمتها ، نقدها او تصويبها كما يراها بمنظار مصالحه القومية . لذلك نرى ان لعبة الدبلوماسية لم تعد تنطلق في حـرية الـدبلوماسي الغـامضة في محتـوى المتغيرات Variables المعقّدة والعديدة الانواع التي تملي السياسة الخارجية . وكم اخطأ سياسيو العالم الثالث في هذا الصدد لأنهم ظنوا بأن السياسة الدولية هي من بنات العواطف اذا التزمت ومن حدة الفراق اذا احتدمت[٥] .

من هذه المفاهيم الثلاثة للسياسة الخـارجية يتـوجب على الدول

---

(٣) See Karl W. Deutsch «Toward an Inventory of Basic Trends and Patterns in Comparative and International Politics» in Harold K Jacobson and William Zimmerman (Eds) The Shaping of Foreign Policy. Atherton Press Inc. 1969, P. 77.

(٤) Ibid, PP. 43 - 74.

(٥) I. David Singer «The Level of Analysis problem in International Relations» Klaus Knorr and Sidnly Verba eds. The International system: Theoretical Essays (Princeton University Press 1961) PP. 77 - 92. Both Scholars had Stated what they have referred to as Subordinate State System, the Patterns of intractions among states.

العربية والمجتمع العربي ان يقوم بتقييم موضوعي لسياسته وسياسة الآخرين له . لقد كفى العرب عواطف وخطابات رنانة ومتاجرة بقضاياهم المقدسة ، كفاهم في سياستهم المعاصرة وعواطفهم المتهورة خلط الاوراق من قضية ارض فلسطين التي لا تنفصم عن ارضهم . . . الى قضية الشعب الفلسطيني الذي اصبح مشرّدا دون هويّة Statelessness، وليس المقصود هنا التمييز بين الارض والشعب انما الخطر المداهم الذي فرضه العرب على الفلسطينيين وتمثل بأن اصبح هذا الشعب يحس بعنصريته وتحوّل من الارض التي هي القضية الى الكنية التي هي شكل من اشكال العنصرية .

عشرات الاعوام مضت والعرب يتحدّثون عن القضية الفلسطينية وكأنها قصيدة لامرىء القيس يتعلمها المواطن العربي ويعرف كيف يخطب بها في اللغة العربية وليس في لغة التركيبة الدولية المعاصرة . لقد كان على حق فيما يتعلّم ويخطب ، والحق واحد والقضية واحدة ، وقد سار هذا العربي تلك الطريق منذ تأسيس دولة اسرائيل لأنه كان يشعر بأن قضيته هي قضية شعب وارض دون تمييز ولكنه فشل في الدفاع عنها لأنه اصطدم بواقع النظام الدولي وقاموس غير قاموسه العربي الذي استطاعت اسرائيل ان توظّفه لمصلحتها وتقرأ في قواميس لغوية اخرى بالاضافة الى القاموس العبري . لقد كانت قادرة على فهم تركيبة النظام العالمي وافرازاته structure and function[٦] واستطاعت ان تتحرّك دوليا من معطيات هذا الفهم وتفرض سيطرتها على العرب . لقد فشل العرب في التعاطي مع النظام العالمي لأنهم حاولوا ان يتخطّوا الواقع وظنوا ان الحق والواقع اثنان يساويان واحدا في السياسة الدولية . ففي علم النفس نجد أن الذي يحاول ان يتخطّى الواقع فهو اما مثالي او غير علمي . فلا مثاليات في علم السياسة الدولية ، انما لعبة يفرضها الواقع باسم مدرسة المنطق

---

(٦) Ibid Gabriel Almond P. 110.

الوضعي Positive Logic حسبما تمليه الظروف القائمة . بقي على العربي في تقويمه لنفسه ان يعيش الواقع لأنه لا يستطيع ان يهرب منه ، انه مثل الذي يحاول ان يتهرب من ظله . ذلك لأننا من هذا العالم بالحتمية والقدرية وليس بالاختيارية وسوف نبقى لبنة من هرمية هذا النظام شئنا ام ابينا . وعلينا ان نتعايش مع الواقع حتى نستطيع ان نضع الواقع الذي نريد والهرم الذي نبغي ولكن ما دمنا غير قادرين على ذلك فعلينا ان ندرك بأننا لانزال لبنة في الهرمية القائمة العالمية ولكن السؤال هنا هو في أي مرتبة من هذا الهرم تقع هذه اللبنة وبأي حجم وما هو تأثيرها على بنية هذا الهرم وتفاعلها مع اللبنات الاخرى Other Units(٧) وما هي الاهداف التي تسعى الى تحقيقها ؟

ان التحليل الموضوعي للفلك السياسي الذي نعيش فيه يفرض علينا ان نأخذ بالاعتبار الكلي في عصر التكنولوجيا الحربية والحرب النفسية بواسطة تكنولوجيا الاعلام بأن الجغرافيا لم تعد ضمانا للأمن(٨) ، وان كثافة ونسبة عدد السكان لم تعد وافية لردع الخطر الخارجي ولا حتى في تقرير المصير حسبما تراه الاكثرية . بالاضافة الى ذلك فان احتلال الارض لم يعد في وارد الاكتفاء الذاتي اقتصاديا لأنه لم يعد اقتصاداً مستقلا لبعض الدول كما كانت الحالة في الخمسينات وما قبل .

إن العالم اليوم يستند بعضه على البعض الآخر لإنعاش الاقتصاد العالمي الذي من ورائه ينتعش اقتصاد كل دولة ويرتفع مستوى الفرد والجماعة. إن دولة كالولايات المتحدة الأميركية لم تعد ترى أنه باستطاعتها

---

(٧) David Eastom The Political System (New York: Knoph, 1953) PP 130 ff; Harlod Lasswell and Abraham Kaplan. Power and Society (New Haven conn: Yale University Press 1950) P. 176, Robert Dahl Modern Political Analysis (Englewood Cl: ffs, N. J: Prentice Hall 1963) PP. 5ff.

(٨) Stephen B. Jones «Global Strategic Views» Geographical Review XLV (October 1955) 492 - 508. Jones and N. J. Spykman have recommended that the «Rimland» of Eurasia it might prove that it is more important than the Heartland. These theories had been repudiated by the new Technology and the new developments of Weapons.

تبني سياسة الاكتفاء الذاتي، كذلك الاتحاد السوفياتي الذي يضطر من وقت لآخر الاستعانة بالقمح الأميركي والاستفادة من الصناعة الأميركية والغربية. إن اعتماد الدول على بعضها البعض أصبح أكثر من ضروري، فلو أخذنا مثلا الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي وهما العملاقان المتصارعان في لعبة السياسة الدولية نجد بأنه قبل نهاية العام ١٩٧١ صدرت الولايات المتحدة الأميركية أقل من مائة مليون دولار الى الاتحاد السوفياتي بالسنة بينما نجد أنه في حلول العام ١٩٧٦ قد وصلت هذه الصادرات الى قيمة مليارين ونصف دولار في السنة وهي في ازدياد حسب النسب المئوية التي حصلت ما بين عام ١٩٧١ الى العام ١٩٧٦.
إن نتاج الحربين العالميتين قد فرض نوعية هذا التعامل في جو التعايش الدولي، إن هاتين الحربين قد هدمتا كل ما بناه الانسان من حضارة وكل ما حققه على مدى سنين طويلة ومضنية. وجعلته يفتح عينيه على ما ألم به وبأخيه الانسان وعلى الدمار الذي قلص كل ما عملت يداه في بنائه، فعمد الى إنشاء المنظمة الأم «هيئة الأمم المتحدة» كي ينظم علاقاته مع الآخرين وكي يحافظ على نتاجه الحضاري وصونه من الدمار، ولكن لعبة المحاور لم تقف وصراع الأمم والسعي وراء مصالحها على حساب الآخرين لم يهدأ[٩].

إن لعبة المحاور هي من أخطر اللعب إذا نتأت أنيابها لأنها تشجع المحورية والتقسيم وتجعل العالم كتلا متضاربة ومتحاربة، كما أنها تشجع السعي وراء النار والبارود. إننا نرى اليوم أن لعبة اسرائيل المحورية وخاصة بالمحور الأميركي الأكبر يمزق العالم. هذا ما انتظرت أميركا والدول الكبرى التفرج على تعنت حزب «ليكود» ورفضه

---

(٩) Keenneth N Waltz Man The State and war Columbia University Press, N Y and also see Cok, Richard H ed. The state in International Relations, San Francisco, Calif: Chander Publishing co. 1965

لأي تسوية سليمة بعدما أقدم العرب على أقصى التنازلات . إن حرب المحورية الاسرائيلية إذا استمرت فإنها سوف تشكل خطراً واقعاً يهز العالم ويؤدي به إلى تدمير حضارته وإنسانه.

يشهد الربع الأخير من القرن العشرين أن اللعبة المحورية قد حدت من غلوائها بين الكبار وفسحت لنفسها المجال من داخل المحور الواحد الذي يؤثر بدوره على المحاور الكبرى. إن تجميد الانفجار على صعيد القمة المحورية بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي قد تحول الى النزاع بين حلفاء المحور الواحد[١٠] وإذا تطور الخلاف فإن أعضاء من الحلف الواحد بمساندة حلفائه قد يفجر صراعاً على أعضاء من الحلف الآخر كما يحصل الآن في القرن الافريقي. إن هرمية الحلف الواحد قد تشجع بعض الأعضاء سراً للتلويح بالخطر على عضو آخر وهذا للحفاظ على الحلف الواحد والايحاء بأن ضمان نظام هذا الفريق أو ذاك لا يأتي إلا عن طريق الانصهار في المحورية الملتزمة. أما في حالة تأزم الخلاف واظهاره من إطار التهويل بالحرب الى واقع الحرب بين أعضاء الحلف الواحد فإن الدور للقيمين على الحلف قد يصبح أكثر تعقيداً وأكثر غموضاً في تسيير اللعبة[١١]. فإذا كانت الفرضية السياسية تقول بأن أوراق النزاع في الشرق الأوسط بيد الولايات المتحدة الأميركية فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الخلاف قد أصبح ما بين متحاربين يلتحفان عباءة المحور الأميركي. أما قدرة الادارة الأميركية على حل النزاع فهذا أمر

(١٠) See Dinerstein Herbert «The Transformation of Alliance system» where he sees that the present international system is no more perceived in its traditional alliance system. Professor Dinerstien sees that the change which has taken place in the existing international system is the conflict which goes on whithin alliances rather than the United States and the Soviet Union. He sees such judgement on the assumption that the role of ideology is going to decline. «American Political Science Review». 1965, P. 589.

(١١) Charles O. Lerche, Jr. and Abdul A. Said «Concepts of International Politics» In Global perspective Prentice - Hall, Inc. Englewood Cliffs, New Jersy, P. 108 - 9 - 10.

أصبح أكثر من مطلوب وضروري خوفاً من الشد الكبير بأطراف العباءة وزجها في إعطاء قسم منها لغيرها(١٢).

ما هو الدور الذي مثلته اسرائيل في المحور الأميركي وكيف كانت ردة فعل العرب؟

إن اسرائيل لم تتوقف في يوم من الأيام في سياستها الخارجية عن اللعب بأوراق المحور الأميركي والايحاء للادارة الأميركية واحدة تلو الأخرى: أن قوة العرب النفطية والاقتصادية هي قوة فعلية وأن عالم الصناعة الغربية ـ الأميركية بحاجة ماسة الى هذه القوى النفطية والاقتصادية وسوف تعمل اسرائيل جهدها لتكون خادماً أميناً لتأمين هذه الموارد(١٣).

أولا: إن وجود اسرائيل كقوة في الشرق تستطيع أن تضع العرب والأنظمة العربية تحت، وطأة الخوف من شن الحروب على العرب دون أن يكون للدول العربية حتى نوعية الغطاء الأمني من اعتداءات اسرائيل. لذلك يجب أن تبقى الحالة على ما هي بالمعادلة التي تقضي أن قوة اسرائيل العسكرية قوة تستطيع أن تنتصر على العرب في حالة الحرب وتضعهم في حالة الانكسار والتضعضع.

---

(١٢) المقصود بذلك هو اتفاقية كامب ديفيد بين مصر واسرائيل والمساعي الحميدة التي تقدمت بها ادارة كارتر الاميركية للوصول الى حل شامل لقضية الشرق الاوسط، كذلك بما يخص المساعي الاميركية بين لبنان واسرائيل «The good offices» للوصول الى اتفاق هدنة فعلية تنهي حالة الصراع وتتوصل الى سياسة حسن الحوار حسب ما قامت به ادارة الرئيس ريغان بعد الحرب الاسرائيلية على الاراضي اللبنانية مع السوريين والمقاومة الفلسطينية، وقد ابدت تحركات الوزير شولتز في المنطقة مظاهر الاهتمام الاميركي بهذا الشأن ولكن الموقف الدولي والعربي في مشروع الرئيس ريغان لا يزال مغلفا بالضباب.

(١٣) Markel Lester ed. World in Review, the New York times, Rand Mcnally New York 1972, PP. 86 - 89.

ثانياً: إن اسرائيل ما وجدت إلا لتخدم سياسة الغرب وتؤمن مصالحه في منطقة الشرق الأوسط وما هي إلا امتداد للمدنية الغربية وقيمها فإن لحمة التعامل بينها وبين الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأميركية يجب أن لا تؤخذ الشكليات الدبلوماسية بقدر ما يؤخذ التنسيق والتساوق في السياسة الخارجية. يجب أن يكون العمل السياسي بينهم عمل فريق واحد يخطط معاً ويعمل معاً ويخطو معاً. إذاً والحالة هذه يجب أن تكون السياسة واحدة تشرب من ذات النبع، إنما إذا ظهر الخلاف في الرأي فإن ذلك لا يعدو كونه عملاً تكتيكياً لا يتعدى الجوهر.

ثالثاً: إنه في حالة تخطي وجود قوة اسرائيل من قبل الولايات المتحدة الأميركية أو أحد أعضاء محورها الأميركي خوفاً من انقطاع الطاقة البترولية عنهم من قبل العرب فإن اسرائيل والحالة هذه باستطاعتها أن تمسك الأوراق التي بحوزة العرب وتمنع تدفق النفط الى المحور الأميركي وأعضائه. إن اسرائيل واعتمادها على القوى الجوية التي تحت حوزتها تستطيع أن تقوم بغارة جوية وتضرب آبار النفط العربية وتجعل العالم الصناعي عالم الصابوتاج الحقيقي. إن بعض الدراسات دلت على أن اصلاح بئر من النفط في حالات الحريق يستغرق وقتاً طويلا لاصلاحها وترميمها وإعادتها الى ما كانت عليه سابقاً، وقد دلت هذه الدراسات أنه بالنسبة للاستهلاك العالمي للطاقة فإن أي دولة من الدول المنتجة للنفط حتى ولو كانت من دول الامارات فإنها تشكل نوعاً من الاضطراب للعالم الصناعي إذا أقفلت آبار نفطها فكيف والحالة هذه إذا أقدمت على مثل ذلك دولة كالمملكة العربية السعودية(١٤).

فإذا كانت لعبة اسرائيل بالمحور الأميركي قد تحددت نسبياً بالنقاط الرئيسية الثلاث... قوة عسكرية فاعلة... امتداد حضاري... قدرات

---

(١٤) Ibid P. 91.

جدية على وقف النفط.. اذن ما هو الدور العربي بالنسبة للعبة الاسرائيلية بالمحور الأميركي الغربي؟ لقد كان العرب منذ الخمسينيات يتخبطون بسياستهم الخارجية وينتقلون من محور لآخر وقد ظهروا على أنهم لا يملكون استمرارية نظام معين (مهما كان لونه وشكله ونظامه، يملي استمرارية مدروسة في الحقل الخارجي). ولم تكن الدول العربية في الخمسينيات تملك قدرة التأثير على السياسة العربية ولم تكن تسعى الى ذلك قبل الزيت إنما شاءت لها الأرض والثروة الطبيعية أن تصبح محوراً فعالا في سياسة الأمم وخاصة بعد الستينات أثر تأسيس منظمة أوبيك التي تلعب فيها الدول العربية اليوم الدور الرئيسي. إن ثروة البترول كانت محطة الأحداث التي تتفاعل معها السعودية ففي سنة ١٩٦٤، رفض الملك فيصل تأميم شركات النفط السعودية التي كانت يومها حصة السعودية مع الضريبة الملكية ٥٠٪ من الأرباح وكان فيصل يومها في بداية حكمه ولكنه لم يكن في بداية ممارسته السلطة وقد وجد أن التأميم الذي كان العراق يطالب به ليس الكلمة السهلة لأن الدول التي ترغب في التأميم يجب أن تأخذ بالاعتبار امكاناتها التقنية والصناعية، ولم تكن السعودية قادرة على القيام بهذه الخطوة فعمدت الى منطق العلم لاستخراج ثروتها واستعانت بالخبراء والصناعيين. من هنا بدأت الثروة تتفاقم ويتفاقم معها النفوذ السعودي على المحور الغربي. تقول مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs في عددها الصادر في نيسان سنة ١٩٧٧ أن مدخول السعودية من النفط سنة ١٩٧٠ كان ١,١ بليون دولار وفي سنة ١٩٧٦ أصبح ٣١,٥ بليون دولار. أما هذه السنة فإن مدخول السعودية قد يتصاعد الى مبلغ ٤٢,٥ بليون دولار، وتتبنى المملكة العربية السعودية مشروع الخمس سنوات الذي بدأ عام ١٩٧٥ وينتهي عام ١٩٨٠ بمبلغ ١٤٣ بليون دولار.

من هذه القوة الاقتصادية الهائلة استطاعت السعودية أن تلعب دوراً عربياً في السياسة العالمية. ففي سنة ١٩٧٢ ساعدت مصر للتخلص من

ديونها ومن النفوذ السوفياتي فلم تكن سياسة كيسنجر المكوكية هي التي خلصت مصر من الاتحاد السوفياتي إنما كانت السعودية التي قامت بهذا الدور وساعدت مصر على أن تدخل حرب تشرين. إن ذلك لم يكن كافياً بالنسبة للسعودية فقد وجهت أنظارها نحو سياسة اسرائيل المحورية وشاءت أن تكون حربها مع اسرائيل من داخل المحور الواحد وتحاربها بالسلاح الذي تعتمده. فقد عمدت أن تلعب دورها بالمحور الأميركي الذي يحضن اسرائيل منذ ولادتها إذ قامت بدور فعال لتحويل الرأي العام الأميركي وتحسيسه القضية العربية public manipulation بواسطة الاعلام واللوبيست lobbyists[١٥].

كما فرض وجودها على جهاز الادارة الأميركية (السلطة التنفيذية) وحصلت قسما كبيرا من اعضاء السلطة التشريعية لمصلحتها Congress لتحرير صفقة الطائرات ف ١٥ والاواكس. وقد اقامت اسرائيل الدنيا واقعدتها حول هذه الصفقة لماذا؟ «قد يرى بعض المحللين في الولايات المتحدة الاميركية ان ما حصلت عليه السعودية ومصر هو قليل جدا وتريد اميركا ايهامهما بأنه كبير جدا كي تحصل منهما على المطالب الكثيرة والكبيرة» ولكن البعض الآخر يرى بأن صفقة الطائرات ما كانت الا انتصارا كبيرا للعرب بالنسبة للمحور الذي تدغدغه السياسة الاسرائيلية وتحسبه رصيدا مكتوبا على اسمها في بنك السياسة أيضا فقد استطاعت المملكة العربية السعودية من وراء صفقة الطائرات (التي صرّحت الادارة الاميركية يوم التصويت عليها في مجلس الشيوخ بأنها

(١٥) Discussing interest groups «or lobbyists» in the field of foreign policy, Cohen noted that «Since most forgeign policy is by nature designed to deal with large national interests, then it may turn out that the motivations of interest groups, the intensity of their involvement, and the extent to which they can advance legitimate claims to share official powers tend to be more circumscribed in these foreign policy situations then they would be under typical conditions of domestic policy making (Bernard C. Cohen, The political Process and Foreign Policy Princeton N. J. 1957, p. 283).

طائرات دفاعية تحتاج اليها السعودية للدفاع عن نفسها) ان تدحض حجة إسرائيل الرئيسية بأن بمقدورها استعمال الاوراق العربية وبذات المفعول والتأثير في إيقاف تدفّق النفط . اما الآن فانه باستطاعة السعودية ان تدافع بواسطة هذه الطائرات عن منابع النفط وتلغي من قاموس الغرب وقاموس الولايات المتحدة الاميركية بأن اسرائيل باستطاعتها ان تحمي لهم نفط العرب وان سلاح العرب للعرب سوف يبقى لهم اذا ادركوا توظيفه لخدمة قضاياهم المصيرية .

ان هدف اسرائيل الرئيسي لم يكن الا ضرب العلاقات العربية الاميركية من وراء صفقة الطائرات لكي تستأثر اسرائيل وحدها بالنفوذ الاميركي والغربي كما فعلت لمدة ثلاثين عاما خلت . وقد غاب عن فكر الاميركيين بأن اسرائيل لا تسعى الى ضمانات عسكرية لوجودها في الشرق الاوسط لانها تعرف قدرتها وقدرة العرب ، انما تريد ضمانات سيكولوجية وهذا يعني ان تكون مقبولة سيكولوجيا من قبل العرب وتتخلّص من الجدار السيكولوجي القائم . ولكن قوة العرب حتى في الدفاع عن ثروتهم الطبيعية يجعل اسرائيل تحمل الورقة الخاسرة . حتى ان قدرة العرب في الصمود في وجه اسرائيل يجعل من الشعب الاسرائيلي شعبا ممزّقاً سيكولوجيا واقتصاديا وتقوي عنده عقدة النزعة الى اليهودية المسالمة المتعايشة بدل الصهيونية الانفصامية . وهنا تكمن المقدرة العربية في خلق ثورة اليهودي ضدّ العنصرية الصهيونية في قلب اسرائيل .

ما دامت السياسة الدولية المعاصرة هي سياسة « المحاور » وسياسة من يملك المقدرات التي هي من نوعية الصراع عسكريا ام اقتصاديا اذ يتوجب على الدولة ان تلعب لعبة « المحاور » كي تتوصّل الى اهدافها

او الى جزء من اهدافها لأن اي دولة ما في العالم لا تدور في فلك خاص بها انما تتأثر وتتفاعل مع بقية الافلاك في المدار الكوني(١٦) .

ان الغزو الثلاثي من قبل فرنسا وبريطانيا واسرائيل على مصر حمل قمة الحلف الغربي ونعني بها الولايات المتحدة الاميركية على حسم الموقف . وقد جاء قرار الرئيس ايزنهاور في مناخ الحرب الباردة بانسحاب الدول المعتدية قرارا كانت ابعاده لملمة شأن الحلف الواحد وتفادي تصادم المحورين الكبيرين . لقد هدأت رياح الباردة بعد نهاية الستينيات ، ولكن من يعمل في السياسة الدولية يشعر اليوم ان ازمة الشرق والتسابق على ثروة الشرق الاوسط البترولية قد اعاد الحرب الباردة الى الساحة الدولية . ان الاتحاد السوفياتي قد بدأ يتحرك بمحوره قرب الساحة العربية . انها ليست الحبشة والصومال وانغولا هي الهدف انما البعد السياسي هو التأثير المباشر وغير المباشر على ازمة الشرق الاوسط . ان الحرب الباردة سوف لا تأخذ طابع الخمسينيات انما طابعا جديدا في لعبة المحاور لأن الخطر لا يأتي من تفجير الحرب بين العملاقين بعد ان توصلا الى درجة لعبة الصفر Zero Sum Game وان الولايات المتحدة الاميركية تملك اكثر من ٩٥٠٠ رأس نووي «nuclear warheads» وكل رأس نووي باستطاعته ضرب اي مدينة في العالم . كذلك الاتحاد السوفياتي فانه يملك اكثر من ٣٧٠٠ رأس نووي تعطي ذات المفعول بالاضافة الى مائة سلاح نووي nuclear weapoms تقضي على ٣٧ مليون نسمة وباستطاعتها تعطيل ٥٩ ٪ من قوة الدول الصناعية حسب تقرير البنتاغون الاميركي . ريتشارد بارنت رئيس الحركة العالمية للسلام في كتابه الجديد « العمالقة » ان الخطر يأتي من هذه القوى النووية فإذا لم يرتدع الاتحاد السوفياتي بما للولايات المتحدة الاميركية

(١٦) See Morton A. Kaplan. System and Process in International Politics. (New York, John Wiley 1957).

من قوى تدميرية وكذلك الولايات المتحدة بما للاتحاد السوفياتي من هذه النوعية التدميرية فما الذي يردعهما ؟ ان ما يردعهما هو الغطاء الداخلي لمشاكلهما المحلية وحاجة مواطنيهم . الا إن من الآني بالنسبة للاميركي هو ان يوفر حاجاته من الطاقة ويؤمن تدفق الزيت والغاز الى بيته ومصنعه « ان عدد سكان الولايات المتحدة يساوي ٦ بالمئة من عدد سكان العالم . وهذه الستة بالمئة تستهلك ٣٣ بالمئة من انتاج البترول العالمي » . كذلك بالنسبة للمواطن الروسي فانه يريد ان يوفر لنفسه وسائل الراحة التي يوفرها الاميركي لنفسه . لذلك تأتي الحرب الباردة بمحورية جديدة تدعمها السياسة الداخلية للمواطنين وتعطيها الابعاد السياسية في العلاقات الخارجية « ان اهم المشاكل الامنية الملحة التي تواجه العمالقة لا تأتي من بعضها البعض انما من المشاكل والازمات الاقتصادية التي يواجهها كل منهما في الداخل » . فمن تحليل الدكتور ريتشارد بارنت ، يبدو لنا ان الحرب الباردة هي مطلب المواطنين في دول المحاور الكبرى وتأخذ الطابع الاقتصادي ، ويبدو لنا ايضا ان المفهوم التقليدي للسياسة الخارجية لم يتبدل فمن جون فوستر دالس الى هنري كيسنجر يعتقد المنظرون في السياسة الدولية من الحرب الباردة الى « الديتانت » بأن باستطاعة منطق الاقتصاد ان يكون وراء منطق اللاعقلانية في السياسة العالمية والعكس بالعكس .

ما دام منطق الاقتصاد هو خميرة السياسة الدولية فإن للعرب دوراً يجب ألا يجعلونه وهم اليوم في أعلى مرتبة اقتصادية عالمية. إن العالم العربي وعلى رأسه السعودية يقدم الى العالم من ثرواته البترولية ما يجعل هذا العالم قادراً على السير في ركب حضارية متطلبات الانسان العصري. شرط أن يبقى ذهبه الأسود الاطار الحقيقي للحفاظ على الحق وحافزاً رئيسياً في سياق العدالة الاجتماعية.

لقد وقف أحد الأساتذة المستشرقين حاضراً عن الأديان واستهل

كلمته قائلا: «إن العالم يجب أن يفتح أبوابه ونوافذه نحو الشرق لأن النور لا يأتي إلا من الشرق فمن الشرق أتى الأنبياء والمصلحون ومن الشرق أتت إلينا الرسالات السماوية». واليوم يقف العالم الصناعي على المنصة مخاطباً العالم بأن يوجه أنظاره الى الشرق لأن الذهب الأسود الذي ترتكز عليه أسس حضارة القرن العشرين يأتي من الشرق، فمن االشرق يجب مخاطبة العالم بأن الحرب الباردة، «والديتانت»، وحرب المحورية يجب ألا تكون محنة للعرب ونعمة لاسرائيل.

في علم الإجتماع السياسي

ان الظاهرة المميزة لعلم الاجتماع السياسي هي عملية افتراضية . والافتراض الذي يتخذه العلماء في هذا الحقل الواسع من العلوم الانسانية هو نوع من النظريات التي لم تتكامل بعد كي تشكل نظرية واحدة متفق عليها . مهما يكن فان الافتراض «Hypothesis» يدور في اطار النظام السياسي لأي بلد ممكن ان تتسلط الاضواء على دارسيه . ان هذا النوع من النظرية غير المتكاملة يبقى غير واضح وجلي مادام التركيز في البحث يبقى ضمن حدود النصوص التشريعية والاحكام القانونية وبقية المؤسسات لكن اذا اردنا ان نعطي لهذا العلم حقه الاكاديمي في الاستقصاء فعلينا الاهتمام به كأمر اجتماعي وسياسي بِكل ابعاده المتعددة وخاصة في الحقل الدولي وعلاقة انظمة الاسم ببعضها البعض وطبيعة العلاقات في الاوقات الراهنة .

ان الأمر الشرعي والقانوني (الوجه الرسمي لبنية السلطة العامة) كذلك الجماعات السياسية في المجتمع لا يمكن ان تكون جدية وواضحة اذا نظرنا اليها كوحدات مستقلة بحد ذاتها . انما يمكن التوصل الى صلب الموضوع اذا نظرنا الى هذه الوحدات بالنسبة لعلاقتها وتفاعلها مع نظام القيم وطريقة حياة المجتمع . كذلك بالنسبة لعلاقتها بكل المؤسسات ونسبة علاقة المؤسسات بها ، يضاف الى ذلك الفئات التي يتكون منها

المجتمع ، اتنولوجية ، عرقية ، طائفية ، عصبية ، اقتصادية ، أو سياسية وكل ذلك يصب في حقل واحد من العلوم السياسية وهذا ما قد صنف بعلم الاجتماع السياسي .

ان علم الاجتماع السياسي من ناحية التعريف (الشكل والمضمون للنظام السياسي في المجتمع . هذا الشكل وذلك المضمون يتنوعان بالنسبة للدين ، العائلة وغيرها من الانظمة التي يلم بها المجتمع[1] . النظام السياسي هو نظام يحمل ضمن طياته النواحي الاجتماعية المترابطة والمتممة لبعضها البعض ، كذلك حدودا معينة بينه وبين محيطه (المحيط الذي يقع فيه) . عندما نقول النواحي المتممة لبعضها فان بذلك نقصد بأنه اذا تزعزع طرف ما من مركبات النظام فان بقية اطراف النظام تتأثر وربما تتصدع . فلو طرأ عطل ما على موتير السيارة فان هذا العطل ولو كان بسيطا فانه يؤثر على موتير السيارة ككل ـ وحتى جسم الانسان فلو اصيب عضو منه بضرر فأن الجسم يتأثر ككل وحسبما يقول الاطباء فان بعض الاشتراكات قد تحصل[2] .

أما من ناحية حدود النظام فان الحدود تبدأ من نقطة ما حتى تنتهي بنقطة أخرى وتقف لتشكل حدودا واضحة لها النظام السياسي ـ فلو اخذنا بلدا كلبنان فإن حدوده كنظام سياسي ووطن مستقل توضح حقيقته الجغرافية والبشرية ويقول الميثاق الوطني بأن لبنان بلد مستقل وذو وجه عربي ، القصد من الوجه العربي هذا هو أن لبنان يقع ضمن محيطه العربي وهذا لا يدل على انه ليس بنظام سياسي له حدود معترف بها دوليا ذو شأن اجتماعي خاص . وان ادارة هذا الشأن الاجتماعي تتطلب شرعية السلطة التي تحمل خيوط النظام التي تغير كل اجهزة البحر الاقتصادي

---

(١) Gabriel A Almond et al. (eds) The Politics of the Developing Aereas, N. J. Princetion University Press, 1960 P 10.

(٢) See Almond And Powell, Comparative Politics. A Development Approach; Little Brown, Co. (INC) Canada. P. 19.

والاجتماعي والسياسي . فقط السلطة التي تنبثق عن الـدولة هي التي تعطي هذا الشأن دوره وبعده . كذلك تحده وتفرض عليه الطاعة عندما يتخطى الحدود المعطاة له[٣] . هذه الشرعية السياسية قد وجدت كي تبقى الحياة الاجتماعية منتظمة ومتراصة ومنسجمة .

أو كما يقول كاتب علم الاجتماع السياسي المشهور الدكتور « سيمور لبست » بأن علماء السياسة قد ناقشوا . . . على انه من المستحيل دراسة النهج السياسي «Political Process» الا كقضية تبحر في عمق العلاقات السوسيولوجية والسيكولوجية العامة . وهذا يدل بنظر الدكتور « لبست » بأن هذا العلم ليس وجها « شرعيا » وقانونيا بحتا ، انما دراسة سوسيولوجية وسيكولوجيـة للمجتمع والنتيجـة التحليلية تمـعطي البلد الوجـه السياسي والاجتماعي . أو كما قال الفيلسوف اليوناني «أرسطو» في كتابه « السياسة » بأن الدولة يمكن ان تفهم على أسس هذه الدولة وعلاقة هذه الدولة مع الكل الاجتماعي الذي يجعل من الدولة والمجتمع كتلة واحدة .

ان الدكتور لبست في كتابه « الرجل السياسي » لم يدرس السياسة كفن مجرد ، انما سلط بحثه على الديمقراطية السياسية . انه يحاول ان يعطي وصفا للحالات الاجتماعية التي يمكن ان يكمن تحت رايتها اقامة نظام ديمقراطي في تركيبه ووظائفيته ويدعو للحفاظ على رعاية التركيبة الديمقراطية[٤] .

كان ارسطو يحلق في خياله الفلسفي طيلة النهار في الثلج ليرى حكم الطبيعة على الحالات الاجتماعية بينما فكر ديكارت يعمل عندما يكون الطقس دافئا . يستنتج بأن كل الاشياء التي نراها بوضوح وبتحديد

---

(٣) For More Discussion On This Topic See Max Weber «Politics As A Vocation» In his from Max Weber: and C. Wright Mills (New York): Oxford University Press 1946) PP 77 - 78.

(٤) S. Lipset, Political Man: The social Bases of politics, Garden City, N. Y. Doubleday 1960, P. 9.

هي حقيقة ويعترف انه حتى هذه الاشياء التي نراها بعض الاحيان تحمل في طياتها صعوبة معرفة ما هي هذه الاشياء. لقد حاول ان يبرهن ان وجود الله « استنباطا جديدا » لعلم الفلسفة ويريد ان يتحدث عن الافكار بأنها هي الاشياء المعروفة بالعقل اعتقد بأني اجعل العقل اكثر تأكيدا من الشيء «Matter» وعقلي هو اكثر تأكيداً من عقول الآخرين ويقول[٥] . حول كلمة افكار فمنها ما هو بدائي أو طبيعي ومنها ما هو خارجي يأتي من خارج الذات ومنها ما هو مفروس فيه الفكرة الثانية نعتقد بأنها مثل الاشياء الخارجية Outside Objects نعتقد ذلك لأن الطبيعة تقول لنا ان نفكر كذلك لأن هذه الافكار تأتي عن الارادة . . . هنالك ميل لتصديقها ليس لأني رأيتها بأم عيني وما يرى بالعين المجردة فهو ثابت ولكن هنالك ميل للشك ، بما لا تراه العين المجردة[٦] .

بينما ارسطو فقد وجد ان علم الفلسفة يجب ان ينحدر الى البنى التحتية في المجتمع ويجعل من الفكر الكوني الميتافيزيقي فكرا مترابطا مع الاوضاع الاجتماعية وافكارها وكلاهما متمم للآخر .

ان ديكارت جعل للسياسة مدى مستقلاً عن علم اللاهوت وكان يحاول ان يعطي للعلم الصفة التجريدية كي يتمكن الانسان ويصبح سيد الطبيعة . « انا افكر اذا انا موجود » وبمجرد ان تقول « اني افكر » اذا انا موجود فعند ديكارت نجد ان الفكر يرجع الى الانسان المفكر بينما عند ارسطو فانه الفكر الكوني او الألوهي وكلاهما فكر . ادراك الوجود عن طريق الفكر والحدس . يحث على المثالية عن طريق الغد وخاصة الفكر الذي ينظم حياة الجماعة والدولة كما ان القديس اوغستين الذي يرى بأن المثالية هي ان تكون هنالك شرعية وسلطة سياسية كي تسود العدالة فأي

---

(٥) Bernard Russell; A History of Western Philosophy N. Y. Simon schurter, Inc. 563.

(٦) Ibid. P. 565.

حاكم او ملك او رئيس دون عدل فانه عدو ولص . فان جمهورية افلاطون الفاضلة هي مدينة الانسان بالمطلق ومدينة الله عند أوغستين ليست مدينة المادة والشهوات والعنف والكره والانانية ـ انما مدنية الحب المطلق . ان المجتمع الاوغستي في علم الاجتماع السياسي هو مدنية الجماع من كل اللغات والاتنولوجيات تجمعهم وتربطهم بالكمال المطلق مدينة الله . والحكمة كانت سند بداية الكون وعلاقة الانسان بربه ، والرسل جاؤوا بعدئذ لابنائهم بما صنع الله(٧) . اوغستين يصلي للملوك وللذين في السلطة . ويطالب بالسلام الارضي ووجود السلطة ضروري للعدالة والحق اما اذا كان منا من أصبح حاكما « سيئا » فان ذلك ضروري لوضع الفضيلة «Virtue» في محل التجربة . ان ركيزة اوغستين في تحليل علاقة الانسان بالمجتمع المثالي ترتكز على حضارة اليهودية والمسيحية «Jeudo Christian Ethics» اما ابن خلدون وبعد الف عام ينطلق من تحليله للمجتمع على نوعية سلطة معينة ومحددة الاهداف (عكس اوغستين الذي لم يفرق في نوعية السلطة والتشريعات) ويقول بأن الانسان هو غير المخلوقات الاخرى فهو بأمس الحاجة الى السلطة وهذه السلطة هي التشريع الاسلامي والسلطة الاسلامية ونجد ان ابن خلدون غاص في اعماق المجتمع بكل نواحيه الاقليمية والجغرافية والمناخية ولم يجد بأن الانسان بغرائزه الانسانية يختلف من ناحية التركيبة البيولوجية والغرائزية لذلك فان الانسان ميال كي ينساق وراء هذه الغرائز والاهواء لذلك وجد بأن السلطة اكثر من ضرورية للحد من انزلاقه الغرائزي .

السلطة بنظر ابن خلدون بحاجة الى اناس أقوياء يهتمون بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . من الناحية السياسية وجد ابن خلدون وكان من المتأثرين بابن رشد ، بأنه بعد الاسلام استحكمت الفوضى

---

(٧) St. Angustine «The City of God, Marcus Dods, Trans, (New York, Random, House) 1950 P. 347 .

والقلاقل وعوامل الرعب والعنف في ديار المسلمين فأبدى استياءه من هذه الظاهرة الغريبة في عصر الانحطاط العربي وبداية الصعود الغربي فأظهر نوعا من الموضوعية في دراسته عن المجتمعات السياسية «empirical research» .

وقد توصل في بحثه على ان الذين يستولون على السلطة يمارسونها لفترة يعتقد بأن لها جذوراً زمنية تقارب المئة عام ثم تأتي فئة أخرى للاستيلاء عليها ليس بدوافع الكفاءة والاندفاع انما بعوامل الغريزة التواقة الى الحكم .

لقد اعطى ابن خلدون دلائل عديدة حول التطورات الاجتماعية والسياسية وربطها كليا بعوامل اقتصادية وان أي دافع للحصول الى السلطة يحمل في طياته حلولا للديون التي تتراكم على مؤسسات الدولة .

ان سبب ذلك بنظر ابن خلدون يدفع الى التزايد السكاني والتزايد السكاني من طبيعته ان يحمل بذور مشاكله الاجتماعية والاقتصادية . ونجد بأن منهجية ابن خلدون قد سلطت الاضواء على المناخ الاقتصادي كعامل رئيسي يؤثر على السياسة والاجتماع وهذا ما يسمى في وقتنا الحاضر بعلم التفاوت «Linkage» .

وعلى ما يظهر بأن ابن خلدون لم يكن على خلاف كلي مع ارسطو ، الدولة وعلى كل انواعها ليس هنالك من حاكم يحكم لارضاء ذاته وغرائزه انما يحكم لما هو جيد وصالح لرعاياه الذين يتقن فن السياسة من اجلهم . . . هذه الجدلية بين سقراط وثراماخوس «Thrasymachus» قد كتب بها افلاطون في جمهوريته بأن واقع الامر ان ليس الحكام الذين يحكمون فقط لمصلحة المجتمع انما لهم في ذلك المصلحة الخاصة . وثراماخوس يرى بأن الذين يسعون للسلطة ام الذين هم في السلطة لا يرون الا مصلحتهم الخاصة التي عارضها سقراط . . .

ثراماخوس في كل الاحوال يرى بأن القانون يوضع من قبل الفئة الحاكمة وعندما يضعون القانون يضعون ما هو حصة للمجتمع .. ما اقوله في كل الحالات (الحصة) له ذات المعنى وخاصة ما هو لمصلحة الفريق الذي يتربع على رأس السلطة ... واعني بذلك الذي هو الاقوى والعدالة هي للتصنيف ويهاجم الاوليغارشيه Oligarchy كما يهاجم ارستقراطية افلاطون الذي لم ير فيها سوى العيوب بعقلانية معينة ضد الديمقراطية فمن ثراماخوس الى هبز Hobbes وبنثام Jeremy Bentham وماركس كلهم عللوا العقلانية في الوصول الى السلطة وذلك يبقى ضمن اطار مصالحهم الخاصة .

ويرجع هذا الامر الى امور عدة اهمها النزعة التراثية الكامنة في العقل اللاواعي عند الانسان وعند الشعوب واهم الذين قاموا بدراسات حول هذا الموضوع الدكتور « ألموند » حيث صنف عملية التراث كونها شاملة بما يخص القادة والعامة في المجتمعات والنخبة .

١ ـ تراث القادة يختلف عن تراث عامة الناس .
٢ ـ تراث النخبة .
٣ ـ في المجتمعات المتخلفة يلقى العبء على القائد لا دور للنخبة ولا للعامة .
٤ ـ تراث العامة تراث النخبة ، تراث النخبة يتحد في المناطق الصناعية وتراث العامة المتمسّك بالتقاليد في المناطق التي تقل عن الاخرى في طور الصناعة(٨) .

---

(٨) Morton A. Kaplan «Some Problems of International System Research» International Political Committies: An Anthology (New York) Doubleday And Co. INC. 1966. See Also Kaplan «System and Process in International Politics: New York: J. Wiley and Sons. 1962. See Also Munger (ed) «Studies in Comparative Politics». The Article by Gabriel Almond on «The Civic Culture» Crowell and Co. 1967 PP. 5 - 64.

علم الاجتماع السياسي والديمقراطية :

إن لبنان لم يكن بوارد الانتفاضات القومية بقدر ما هو بحاجة إلى نظام سياسي يجمع ما بين المواطنين ويدفع بهم الى التزام الديمقراطية . لبنان بحاجة الى فهم تراثه السياسي بطريقة علمية بعيدة عن العقلية التقليدية وعن العقلية الفولكلورية في مواجهة الامر الواقع .

ان كلمة تراث سياسي تنجز في معتقدات الجماعة ، الخبرة والتجربة التي مرّ بها لبنان عبر تاريخه السياسي . خبرة الافراد والجماعة . وكيف تبقى هذه التجربة أو الخبرة البشرية معبّرة في الجوهر وليس بالشكل عن رؤية اللبناني حول نظامه السياسي ، وتركيبته الاجتماعية.

هناك رموز معبّرة لا يمكن للبناني ألا يتأثر بها ، فإن كانت هذه الرموز شخصيات سياسية تركت أثرها في تاريخ لبنان السياسي أو كانت رموزاً طبيعية تركت أثرها على الارض اللبنانية ، كل ذلك يبقى محرّكا ودافعا للمواطن تدفع به إلى عالم الاحساس والشعور . لكن المؤلم من جراء ذلك هو ان النظام السياسي لم يعمق عند الفرد فاعلية هذه الرموز كي يعمق الإيمان عنده بالنظام السياسي للعمل على تطويره .

« هناك قيم لبنانية مميزة توظف الحالة التي بواسطتها يأخذ الفعل السياسي اللبناني بعده . هذه القيم هي من نتاج ثقافة حصّلتها عوامل التعاطي بين اللبناني واخيه اللبناني وبين اللبناني ومحيطه . هذه القيم بقيت قائمة لم تتجانس كليا مع بعضها البعض لأنها لم تتصاعد بعد مع القيم الوطنية المتوخاة ، سبب ذلك النقص في التوجيه العلمي الصحيح لصقل هذه القيم وصبها في القالب الوطني لتبقى متماسكة تؤدي عند المواطن الى الشعور الحقيقي للمحافظة عليها . يقول ريمون آرون اننا على استعداد ان ندمر العالم اذا تعرضت القيم الغربية الحضارية الى الأنهيار. وهذا يدل على ان عوامل القيم هي القاعدة الصلبة التي يرتكز

عليها النظام السياسي وهي بالوقت ذاته النزعة الذاتية للسياسة التي يعتمدها النظام مهما كانت تركيبته.

وقد حلل الدكتور «لبست» هذا القول في اطار علم الاجتماع السياسي. في كتابه «الرجل السياسي» يناقش بأن الوضع السياسي ممكن ان يكون مستقرا اذا توفر النظام السياسي الذي بدوره يوفر استمرارية الاستقرار على أسس ديمقراطية. اما في حالة استمرارية النظام السياسي على أسس غير ديمقراطية فهذا يدل على ان نوعية النظام قسرية تفرض على المواطنين الصمت والتأييد للحكم دون مناقشة وهنا يتعثّر التفاعل الطبيعي والحقيقي بين الفرد والنظام من جهة وما بين النظام والجماعة من جهة اخرى. ان المجتمعات الدكتاتورية تعيش في أكثر الحالات بتخلّف اقتصادي حيث تصبح الطبقة الفقيرة تمثّل الاكثرية الساحقة من المجتمع - وربما العكس - المجتمعات الفقيرة اقتصاديا تحكم من قبل نظام دكتاتوري كما قال ارسطو بأنه عندما تكون الاكثرية فقيرة فإن النظام ينقلب بسرعة الى الدكتاتورية. كما كانت الحالة بالنسبة لستالين، نكروما وشاه ايران. تحت عقلية النظام السياسي القسري تدل الاحصائيات على ان الشعب بذكاء منه يبتعد عن المشاركة السياسية خشية التعرض للقسرية التي يعتمدها النظام.

ان المجتمعات التي سبقت غيرها صناعياً، ومادياً، وثقافياً، قد خطت أشواطاً بعيدة في مضمار النظام السياسي الديمقراطي. وقد دلت الاحصائيات بأن نسبة الديمقراطية في الدول التي تتمتع بهذه الشروط هي أعلى بكثير من الدول الاخرى.

هذه الاحصائيات هي مقارنة بين الدول الاوروبية والناطقة بالانكليزية ودول اميركا اللاتينية مقسمة الى قسمين الاكثر ديمقراطية والأقل ديمقراطية.

	دخل الفرد	طبيب لكل ١٠٠٠ نسمة	عدد الاشخاص لكل سيارة
الدول الاوروبية والدول الناطقة بالانكليزية ديمقراطية مستقرة	٦٩٥ دولار	٨٦	١٧
الدول الاوروبية والدول الناطقة بالانكليزية ديمقراطية غير مستقرة وديكتاتورية	٣٠٨	٤ ، ١	١٤٣
اميركا اللاتينية ديكتاتورية غير مستقرة	١٧١	١ ، ٢	٩٩
اميركا اللاتينية ديكتاتورية مستقرة	١١٩	٤ ، ٤	٢٧٤
الدول الاوروبية ديمقراطية مستقرة	٤٢٠ - ١٤٥٣ دولار	٧ - ٢ ، ١	٣ - ٦٢
الدول الاوروبية ديكتاتورية	١٢٨ - ٤٨٢	٦ - ٤	١٠ - ٥٣٨
اميركا اللاتينية ديكتاتورية مستقرة	١١٢ - ٣٤٦	٨ - ٣ ، ٣	٣١ - ١٧٤
اميركا اللاتينية ديكتاتورية مستقرة	٤٠ - ٣٣١	١ - ٨ ، ١٠	٣٨ - ٤٢٨

	تلفون لكل الف نسمة	راديو لكل الف نسمة	جريدة لكل الف نسمة
اميركا اللاتينية ديمقراطية وديكتاتورية غير مستقرة	٢٥	٨٥	١٠٢
اميركا اللاتينية دكتاتورية	١٠	٤٣	٤٣
الدول الاوروبية ديمقراطية مستقرة	٢٠٥	٣٥٠	٣٤١
الدول الاوروبية ديمقراطية غير مستقرة ودكتاتورية	٥٨	١٦٠	١٦٧
اوروبا ديمقراطية مستقرة تتراوح	٤٣ - ٤٠٠	١٦٠ ـ ٩٩٥	٢٤٢ - ٥٧٠
اوروبا دكتاتورية	٧ - ١٩٦	٤٢ - ٣٠٧	٤٦ - ٣٩٠
اميركا اللاتينية ديمقراطية	١٢ - ٥٨	٣٨ - ١٤٨	٥١ - ٢٣٣
اميركا اللاتينية دكتاتورية	١ - ٢٤	٤ - ١٥٦	٤ - ١١١

هذه الاحصائيات تدل على أن الخدمات التي يقدمها النظام هي مؤشر كبير للديمقراطية ولكنه ليس من الضروري ان تكون هي المقياس لأن بعض الدول تقدم لشعوبها هذه الخدمات لكنها تفهم من حرية الفكر والمشاركة الديمقراطية في تقرير المصير . لكن مؤشر الديمقراطية الحقيقي هو ما يظهر من ناحية ممارسة الحرية دون تكون هذه الممارسة مجزأة لأن الحرية لا تتجزأ ومن اهم ركائزها ان يكون هنالك تقاليد واعراف في الممارسة فالتراث السياسي هو قاعدة يمكن التركيز على دراستها في هذا الصدد . فالتراث السياسي مبني على الثقة المتبادلة بين المواطن والنظام

ليس بمعنى ان هنالك امكانية في وضع الثقة بالحاكم لأن ذلك يجب ان يكون بديهياً لأن الحاكم ممكن ان يتحرك في حالة الازمات القصوى ويجب ان يكون متمتعاً بثقة الشعب الذي يتحرك باسمه ولأجله . وضع الثقة المتبادلة يرجع الى تركيبة المجتمع والخلفيات القائمة عند افراد المجتمع على أساس :

١ ـ التربية في عدم وضع الثقة بالحاكم .

٢ ـ السعي وراء القوة ، وليس السلطة في النظام . يضاف الى ذلك السلفية والتبعية في الولاء لأن سلطة النظام لها أسس والنظام السياسي يكمن في الطريقة التقليدية للمجتمع . . . روح المؤسسات العامة .

٣ ـ ميول منطق الوحدات الاجتماعية ، نوعية القيادة ، والقيم التي يتحلى بها المجتمع .

إن التراث السياسي هو صفحات من تاريخ الوطن ، وتاريخ الأفراد الذين يتبوأون الحكم وإن عقلية الحاكم والمجتمع تبدو لنا متمازجة مع العقيدة السياسية ، الروح الوطنية ، الشعور الوطني العام ، القيم الرئيسية والانتماء الجغرافي . كل هذا يعطي القاعدة والمعنى للمناخ السياسي العام وبذات الوقت يعطي تفاعلا واندماجية للحياة الاجتماعية . وتفرق بين المفاهيم التراثية للمجتمع والمفاهيم التي يحملها القائد .

وإذا عدنا للعالم العربي تبقى عملية دراسة التراث متجهة نحو تصرفات القادة والفئة الحاكمة ، بينما في المانيا مثلا فإنها موجهة نحو التراث الشعبي . مهما يكن فإن التراث السياسي يصح أن يلعب دور الرابط بين كل العوامل الاجتماعية والاقتصادية وموجهاً للجهد السياسي في عملية التغيير الحضاري لأن التراث السياسي الذي يبقى على ولائه للحاكم يقف جامداً بينما التراث السياسي الذي يقف وقفة الداعم والمحاسب للحاكم في آن فإنه يدفع في عجلة التطور الديموقراطي لذلك يجب الإعتراف بأن السلوك

الانساني يجب ان يكون مقتبسا عن بشر آخرين . وكل سلوك بتعليمه الفرد مع أي جماعة هو تراث هذه الجماعة . ان التراث ليس عملية سلوك فحسب بل اخلاق ومعتقدات تحرك السلوك ، ان التراث يحي البشر والمجتمع العالمي كما نعرفه . التراث هو نتاج المجتمعات الانسانية والافراد الذين يشكلون هذه المجتمعات .

في التراث الانساني نجد ان الانسان فقط يحمل صفة تراث وليس بقية المخلوقات إن بعض الحيوانات تعيش في خلايا منظمة ولكنها لا تستطيع ان تبدع افكاراً نظرية وترسلها من حيوان لآخر أو حشرة لحشرة ولا باستطاعتها ان تبدع خبرة ومعلومات عن عصر لعصر أخر . ان الشمبانزي باستطاعته ان يحل بعض المشاكل البسيطة وايضا ان بعض الحيوانات باستطاعتها ان تتعلم من الآخرين من نوعها . بعض الطيور تتعلم من بعضها ولكن هذا من نوعية التفكير وليس من نوعية توليد ابداع الافكار(٩) .

التراث هو الكامل المتعقد الذي يحتوي على الاعتقاد الفني الاخلاق ، القانون ، العادات Customs وبعض الامكانيات والمتعة Habits التي تمكن الانسان التوصل اليها كونه عضوا في المجتمع(١٠) .

هذا الوصف يحتوي على الانتاج غير المادي للجماعة . انه وصف الاحتكاك البشري البدائي انه وصف رمزي ، التراث كما وصفه الدكتور لسلي وايت « بأن الاحتكاك البشري يبدأ عندما بدأ الانسان يستعمل الاشارات والرموز »(١١) .

---

(٩) A. L. Knoeber Anthropology, New York, Harcourt, Brace Co 1948. 69 - 37.

(١٠) L. E. B. Tylor Primitive Culture (London John Hurray 1871.

(١١) Lealiea. white, Culturological inter Pretations of Humans Behavior «American sociological Revier, 12: 86 - 698 (Dec. 1947) P: 63.

بين هذه الفترة بدأ الانسان يتعلم حيث ان التراث لم يكن ما قبل تركيب الجماعة انما جاء حصيلة احتكاك افراد الجماعة مع بعضهم مبتدئاً بالاشارات والرموز ونعتها باللغة التي كانت ولم تزل قاعدة هذا التراث .

ان تاريخ التراث هو تـاريخ الانسـان . فمنذ آلاف السنين بعض مبادىء التراث لا تزال قائمة والبعض منها قد زال من الوجود وان البعض لا يزال يضاف الى قاعدتها ، فالتراث هو عملية استمرارية وتقدم كما انها عملية استيعاب وعلم لذلك باستطاعتنا القول ان التراث هو نوعية الطرق والمبادىء التي عاشها الانسان من جيل الى جيل بواسطة العلم(١٢) .

ان التـراث ملتصق بالمجتمـع من جهة ومن جهـة ثـانيـة مـرتبط بالشخصية ، بذلك يكوّن الانسان شخصيته على حد كبير أو بعيد بناء على ما يمليه ويتطلبه المجتمع . لذلك نرى ان الشخصية هي وليدة البيئـة الاجتماعية الا اذا كان الانسان عبقريا أو شاذا(١٣) .

ان اللغة كما قلنا هي قاعدة التراث فلا تتخلص جماعة من اللغة الا بهلاك الجماعة ككل عن بكرة ابيها وما دام هذا مستحيلا فإن اللغة سوف تبقى مسجلة ومدونة التراث وبالوقت ذاته المحول الذي يعطيه استمرارية التفاعل Super Organic Product (١٤) .

المفهوم للكلمة تراث هي انها حصاد من الماضي ومناخ يصور الرؤيا المستقبلية للجماعة وبداية انطلاقة جديدة .

ان ما يتكون عن مفهوم هذه الكلمة :

١ ـ انها نتاج انساني للتفاعل الاجتماعي بين اعضاء المجتمع .

---

(١٢) Carlton S. Coon The story of Man (New York. A Knopf, Inc. 1954 Chapter One, Cambridge. Harvard.

(١٣) Talcet Parson and Shils (eds) U. P. 1951 chap 1. Toward A General Theory of Action.

(١٤) Ralph Liatont (the Tree of Culture (New York) Knoff 1955). P. 29. There Are At least 170 definition to the Word Culture.

٢ ـ انها تقدم طرق اجتماعية تلتقي مع المتطلبات الجسمانية والاجتماعية .
٣ ـ انها عصر ما فعله التاريخ في مجتمع معين من جيل الى جيل .
٤ ـ لها معان كثيرة للانسان لانها تحمل في طياتها نوعية رمزية .
٥ ـ يتعلمها الانسان ويمارسها كل حسب طاقاته واستيعابه لها في مجتمع معين .
٦ ـ انها مولدة الشخصية .
٧ ـ تعتمد في وجودها على تفاعل المجتمع .

عامل اللغة ـ الارقام ـ الاحرف :

ان تبادل الافكار يرجع الى عامل اللغة .

ـ قدرة الانسان لاستعمال وتحمل معنى النظريات Abstract Meaning .

ـ القدرة العقلية على الاستيعاب والافصاح عن الافكار فالحيوان لا يستطيع ان يستوعب ويفصح فلو اخذنا السعدان الذي هو اقدر الحيوانات ذكاء فانه لا يستطيع ان يفصح او ينطق لأن تركيبة عقله الفيزيولوجية لا تسمح له بذلك وحسب الكتب الفيزيولوجية التي تقول بأن زاوية ٤٤ من العقل غير موجوده عنده .

ما هي مقومات التراث :

الفولكلور : بعض الفولكلور يتغير ببطء والبعض يبقى قائما لا يزول هناك عادات وتقاليد تشدنا اليها بعض الروابط الاخلاقية Morality ونعتقد بأن الذين يخالفونها هم شذوذ .

ان ما هو سلوكية Norms تعد ضرورية لصالح المجتمع ـ انها ترجع الى الصدق والتعامل الجيد مع الآخرين ـ علاقة الرجل بالانثى ، حرية الملكية الولاء والانتماء .

ما هو الفرق بين الفلكلور والاخلاقية . اذا جاء استاذ في احدى الجامعات الاوروبية والاميركية الى مكتبه وهو يلبس عباءة عربية يعد ذلك خروجا عن القاعدة الفلكلورية ويلام على ذلك ولكنه اذا جاء الى الصف دون لباس يعد مخالفا للاخلاق وخذ قياساً على هذه الامثلة كي تفرق ما بين المفهوم الفلكلوري والمفهوم الاخلاقي عند الشعوب .

دور المؤسسة :

يبدأ هذا الدور من المؤسسة العائلية وينمـو ويتطور الى مستـوى المؤسسات العامة وينتهي في خاتمة المطاف عند المؤسسة الأم التي هي الوطن .

وعندما نقول مؤسسة فإننا نعني بذلك عملية الترابط الإجتماعي من جميع جهاته :

١ ـ انجاب الأطفال وتربيتهم .
٢ ـ الحاجة لكل فرد أن يشعر أنه مع جماعة يعمل معهم ويعرف حده شاعراً بأمنه وسلامته ويعمل بطريق انه يهـدف للتوصـل الى آمال الجماعة .
٣ ـ تأمين النواحي الاقتصادية .
٤ ـ تنظيم الملكية وحفظها .
٥ ـ أن يكون للفرد دولة ترعى شؤونه .
٦ ـ حرية المعتقدات الدينية والسياسية وممارسة الحقوق .

٧ ـ احترام التراث الأخلاقي والمحافظة عليه .

٨ ـ التـواصـل بمعنى Communication الاحتكـاك الاجتمـاعي والجغرافي المتفاعل .

٩ ـ حماية النفس من الإعتداءات الخارجية .

الفوارق التراثية :

يقول الدكتور هوسل ان شخصية الانسان هي محطة نوعية تراثه ، نوعية التجربة التي مر بها ويمارسها من خلال احتكاكه مع البيئة الاجتماعية والعالم المادي ، كما أنها تركيبة هذا الفرد الجسمانية والعصبية .

عندما ينمو الطفل يبدأ التـراجع عن التـربية العـائلية الى التـربية الاجتماعية بمعنى ان ابناءنا هم ابناء البيئة الاجتماعية التي يعيشون بها ويتكيفون معها(١٥) .

ـ تدريب الطفل على مباشرة التعامل مع الآخرين .

ـ تعلم الاخلاق الاجتماعية بما يخص الجنس .

ـ تنمية الضمير العقلاني .

ـ مساعدة الطفل كي يكسب استقلاليته ويحكم العقـل بعيداً عن العاطفة ويخطو مع المجتمـع خطوة التقـدم والرقي ويتـطلع الى عقلية المؤسسة ويبتعد عن العشائرية والهوس العاطفي(١٦) .

مقياس التراث :

الميل الى وضع عدالة تراثية او حكام على التراث كونه لا ينطبق على تراث الآخرين . بحيث لا يحق لأحد ان يوظف نفسه حكما على تراث الآخرين إلا من خلال القيم الاخلاقية .

---

(١٥) David Rues Man, et, al, the Lonely Crowd (New York): double day and Co. 1953) P. 37.

(١٦) Bernard C. Rosen «Conflicting Group membership: Am. Sociological Review 20: 155 - 161 (April 55).

الديانة والقيم :

ان الديانة قد أصبحت أقل سيطرة مما كانت عليه في المجتمع المعاصر ولكن تأثيرها يظل كبيرا . ان مجتمع الكنائس الوطني في أمريكا يظهر بأن حوالي ١١٠ ملايين شخص يترددون الى الكنائس . وكذلك معظم الايرانيين يذهبون الى المساجد . ربما يكون ذلك نزعة الى الروحانيات في عصر مادي .

الحقيقة الوجودية الثابتة هي ان العنصر البشري قد كون لنفسه عبر التاريخ تجمعا فرضته عليه صيغة العيش الجماعي . فاذا كان ذلك من اثر سماوي فقد تم بارادة إلّهية(١٧) . أو من صنع الانسان . ذلك لأن الانسان بحاجة للقوانين والعدالة . هاتان الكلمتان القانون والعدالة نسجا مع بداية الحياة الاجتماعية ولا تزال وصايا حمورابي تدل على ذلك لأن وجود العدالة والقانون هو صون للانسان والجماعة بحيث لا يقهر الانسان ويحرم من حقه . إن صيانة الانسان بحقه هي دعوة يجب تطويرها بحوافز مادية وليس بتوزيع العمل وتوزيع الانتاج كما هو حاصل اليوم في العالم المادي . فإن عودة الاميركيين والروس الى الروحانيات هي ردة على تحديد منهج الانسان بالمادة وليس بالروحانيات التي ينطوي عليها في خفاياه كونه انسان لا اكثر ولا اقل وقد وجد من اجل هدف روحي وانساني قبل الدوافع والنزعات المادية . المجتمع وجد من اجل هذا الهدف وكل نمو وتطوير في الحياة الاجتماعية يجب ان يبقى مخلصا بالروحانيات والا فقدت الحياة معناها الحقيقي وفقد الانسان الكثير من سعادته . البشر في المجتمع يجب ان يعيشوا حياة المجتمع بافراحه واتراحه وهمومه وان يتنادوا جميعا « لاصلاحه وتحسين خدماته للجميع وارضاء للقيم الروحية الكامنة بأبنائه» انه كما يقول آشا فيلسوف القانون والعدالة الارادتشية

---

(١٧) Afnan Ruch: M. Zoraster's Influence on Greek thought. Philisophy: Cal Library, 9nc. 3 New York, N. Y. 1965 P. 333.

وملك القيم في الحياة الاجتماعية بأن « تطور المجتمع ليس هدفه » انما عمل بناء، مهندسوه ومصمموه هم الأبرار والمخلصون الذين يدأبون لخدمة الحق وليس للمنفعة المادية الذاتية أو كما يقول سقراط بأن « متطلبات الناس الجشعة » هي التي تودي بهم في حبائل المادة والبعد عن الإله.

يقول « اهوردا مازدا » بأن المجتمع الذي يتطور ليصبح دولة يجب ان يتطور في روحانياته ويندمج بثقافة عالمية وهذا يؤدي الى التلاحم .

الانسان والتوصل الى فدرالية انسانية وحدة إنسانية . . . ان اوهورا مازدا يحدثنا . في فترة النشأة في الصين ١٠٠٠ - ٧٧١ قبل المسيح كان المعتقد بأن المجتمع الصيني يجب ان يبني ويترابط لان العناصر الطبيعية هي من صنع الإله لأنه الروح والماء والارض والهواء «الشعب هم كالعشب والحاكم مثل الريح وعندما يطلع الريح تنحني الاعشاب . التصرف الحقاني يعطي الحاكم السلطة» .

بداية بناء المجتمع الصيني كانت بدائية وغير معقدة ولكنها حتى في عصرنا هذا فإنها لم تزل الأسس الرئيسية يقول كنفيوسس بناء الطاعة في المجتمع هي ركيزة استقراره وتفاعله ذلك لأن تصرفات «Behaviors» الانسان يجب ان تصنع كي تتلاحم بهرمونية متكاملة مع القول الطبيعي غير المرئي وهنا يأتي دور الحاكم الذي هو تحت السماء وفوق البشر (انتداب السماء) على الارض[١٨] .

هذا الانتداب الإلهي الذي يجعل الحاكم صلة الوصل بين السماء والارض ، صلة الانسان بالطبيعة يعطيه الحق ان يعمل الشيء المناسب في الوقت المناسب ولكن اذا حصلت كارثة طبيعية فان اللوم يقع على عاتق الحاكم لتحمله هذه المسؤولية . منذ ثلاثة الاف سنة كان أبناء الشعب الصيني مقابل الطاعة التي يقدمونها للحاكم يحملونه مسؤولية ما

(١٨) Fairbank John the U. S. A and China Harvard U. Press, Cambridge Mass. 1967) ch. 4.

يحل بهم . ثم تطور فهم المؤسسة الدستورية كثيرا في تحميل المسؤولية في هذا المجال لأن الانسان من طبيعته ان يأخذ مقابل ان يعطي . يعطي سلطة ما بين السماء والارض ولكنه يريد ان يأخذ منها امنه واستقراره ويحملها مسؤولية الفواجع الطبيعية الكبرى .

ان دل هذا على شيء في بحثنا فإنه يدل على ان الانسان مع معطيات الماء والهواء والارض اضطر الى تسيس نفسه بطريقة ما وينصب مع بناء المجتمع واخذ طريقة في ممايلات التطور بنسبة متفاوتة مع تطور المجتمع : الانسان الذي لا يقف على المجتمع فانه حيوان بري كما كان أجداده من البدائيين.

اننا نجد بأنه حتى في حياة المجوس والصينيين بأن الانسان يقدم الولاء مقابل مكافأة معينة من السلطة الحاكمة وعلى رأسها المسؤول الاول هذه المسؤولية يحب الا يظن بأنها سهلة المراس . مسؤولية تحمل الاعباء هي من المشكلات الصعاب التي يتصدى لها القائد بالنيابة عن المجموعة البشرية ويدعي بأنها بارادتهم وبأنها ديمقراطية نظام صنع القرارات حيث يبادر القائد في اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب هذه الصفة التي يحملها القائد هي ان باستطاعته ان يتخطى الذين ليسوا قادة صنع واتخاذ القرار .

كتب التاريخ تحمل في طياتها الكثير من هذه الامثلة ان اتخاذ القرارات لا يأتي بالانتخابات مباشرة ففي حال نظام ديمقراطي يعطي النظام الحق المنتخب حق اتخاذ القرارات بالقانون . اما اذا كان النظام نظام الانبياء والأولياء والرسل فان قرارهم يصدر عن وحي يوحى . أو اذا كان على غرار الصين لمفهوم المملكة الوسطى فايضا يأتي القرار بالتنسيق مع السماء والارض . الانسان عندما طلب التجمع البشري والحياة الاجتماعية فكان لا بد له من القيادة بعد تكوين المجتمع .

في علم الإجتماع السياسي وفي التراث

الحقيقة الوجودية الثابتة هي أن العنصر البشري قد كوّن لنفسه عبر التاريخ تجمعاً فرضته عليه صيغة العيش الجماعي. مهما كانت الدوافع والحالات الغرائزية لهذا التجمع فقد كانت ضرورية ليحمي الانسان نفسه. فإذا كانت اختيارية فقد اختارها لنفسه كي يعيش وإذا كانت من عاداته وتقاليده فقد طلبها ليعيش وإذا كانت ضرورية فاختارها أيضاً كي يعيش، ذلك لأن الانسان لا يستطيع أن يعيش بدون أخيه الانسان. فالانسان وبكل بساطة في التعبير برهن على مدى آلاف السنين على أنه حيوان اجتماعي يطلب العيش بين جماعة البشر. هذا العيش الجماعي كان بذوراً مزروعة أثبتت بنتيجتها وجود الأوطان والأمم، وكان واجباً على المجموعة البشرية أن تحافظ على نفسها وتتعامل مع المجموعات الأخرى (الأوطان). هذا الواجب دفع بهذا الحيوان الاجتماعي أن يتطور كي يضيف الى طبيعته الاجتماعية الطبيعية السياسية التي تتطلب أكثر من عملية العيش ألا وهي عملية التعايش مع المجموعات البشرية الأخرى إضافة الى تنظيم نفسه على أساس التعايش الاجتماعي في بوتقة الجماعة الواحدة.

لقد انتقل الانسان من حيوان اجتماعي الى حيوان سياسي، وهذا يدل على أن الانسان انتقل من طور العيش الى طور التعايش. الدليل على ذلك هو أن هذا المخلوق البشري قد طوّر شؤون مجتمعه الى نظام

سياسي. بالتأكيد لم يستطع الانسان أن يتعاطى مع أخيه الانسان دون أن يدخل في مشاركة التأثير والتأثر بالشؤون العامة وخاصة بعد أن خرج من شريعة الغاب الى شريعة النظام السياسي الذي يجعل علاقة البشر مع بعضهم البعض أكثر استقراراً وواقعية. فمن هذا المنطلق يمكن أن نتجاوب مع أرسطو بأن الانسان حيوان سياسي شاء أم أبى، فرض عليه أن ينظم نفسه داخلياً كي يعيش وأن ينظم شؤونه خارجياً كي يتعايش مع المجموعات الأخرى. لم تكن الغريزة وحدها الشرط الأساسي كذلك لم يكن العلم هو الدافع الرئيسي إنما حاجة التعايش كانت المحرّك Locomotive الضاغط على الانسان كي يتعاطى الشؤون العامة ولو نسبياً. كثير من البشر عاشوا في مجتمع انساني ولكنهم لم يكونوا بحاجة أن يهتموا أو يشاركوا نسبياً في الحياة السياسية، إلا عندما واجهوا عملية تنظيم المجتمع، فعندما يجد الانسان نفسه ضمن حدود نظام سياسي معين فلا مجال له إلا أن ينخرط في الحياة السياسية والشؤون الاجتماعية. البعض من البشر لا ينغمسون كثيراً في هذا المجال إما عن عدم وعي سياسي منهم أو على أساس أن لهذا الحقل أربابه ومهندسوه. والبعض الآخر ينغمسون أكثر في شؤون الحياة العامة ويبقى ذلك نسبياً على مدى الأجيال. أما الفئة الأخرى فإنها تجعل من السياسة دأبها الخاص لأنها تصبو الى مركز القيادة والتأثير على مجرى الأحداث. هذه الفئة ومنذ وعي الانسان السياسي كانت ولم تزل واضعة كل ثقلها للتوصل الى مركز القيادة. ووسيلة الوصول تختلف من جيل الى جيل ومن بيئة الى بيئة وأيضاً من مدرسة سياسية وفلسفية الى مدرسة أخرى. الهدف واحد أما الوسيلة فتختلف على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة.

من حيث تصنيف هذه الطبقات في المجتمع باستطاعتنا القول بأنها على ثلاثة أصناف: الصنف غير المسيّس، وهو يقل نسبياً مع التطور السياسي ووسائل الاعلام، والصنف الثاني هو الفئة المسيّسة التي تراقب

مجرى الأحداث ونتائجها، أما الفئة الثالثة فهي الفئة التي تريد أن تحكم.

إن نسبة المشاركة في الحقلين السياسي والاجتماعي هي عملية الادراك الذهني لنسبة التفاوت الذي يحصل من جراء الاختلاف لنوعية التراث السياسي بين هذه الفئات الثلاث. إن التراث السياسي الذي يتمتع به من يطمحون الى السلطة ويتوصّلوا إليها تصبح الرؤية عندهم مبنية على معطيات ومعلومات يتصرفون على أساسها وباستطاعتهم أن يبنوا استنتاجاتهم السياسية وسلوكهم السياسي على نتائج هم أقدر من غيرهم على توقّعها في معظم الحالات. أما الفئة التي تقع ما بين أصحاب السلطة وعامة الشعب فهي النخبة التي وجدت نفسها في عالم التنظير والتحليل لما يسمّى بالأمر الواقع ويدفعون بأفكارهم لتحسين وتنظيم الشؤون العامة إيماناً منهم بأن الأفكار هي التي تقود العالم.

هؤلاء يعتقدون بأن دورهم تنويري أولا: للقادة الذين على رأس السلطة ويطلبون منهم تبنّي الأفكار التي تخدم النظام وبالتالي تخدم عامة الشعب، وثانياً: يعتقدون بأنهم يؤثرون على العامة التي يجب أن تؤثر بدورها على النظام وعقلية أهل الحكم.

أما الفئة غير المسيّسة فهي عامة الشعب الذي يدفع دائماً ثمن الأخطاء التي يرتكبها القادة من جراء السياسة التي يتبنّونها. الشعب الذي يدفع به الى ساحة المعركة في سبيل غرور قائد معيّن يريد أن يسطر لنفسه أمجاداً تاريخية وأساطير فردية. شعب يدفع دمه كي يضع نجمة ذهبية تلمع على كتف قائد أو وسام شرف يحمله قائد معركة عسكرية.

إن هتلر وموسوليني لم يكونا بعيدين عن هذه العقلية ولا هذه النزعة الفردية في مضمار الغرور الذاتي مهما كان التفسير الايديولوجي والقومي عندهما.

النظام السياسي

يتألف النظام السياسي من الأفراد المنغمسين نفسياً في قرارات الدولة، وهذا الانغماس له عدة وجوه تتفاعل مع النظام وبدرجات متفاوتة وهذا يتوقف على أي مدى يسمح النظام السياسي بحق المشاركة والاندماجية السياسية Political Integration ذلك لأن مصلحة الفرد أن يدوّن ماذا يجري وماذا يحصل لأن ذلك يعنيه، وأن القرارات التي يأخذها النظام تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على وضعه الحاضر والمستقبلي، وبناء على ذلك نجد أن المواطن يشعر بأن من حقه أن يستنير من النظام حول القرارات المصيرية كي يكون شريكاً ديمقراطياً فيها. فليس من المنطق الديمقراطي أن يزج شعب في حرب أو في أزمة محلية أو خارجية دون أن يشارك ويبدي رأيه على طريقة الاستفتاء أو مناقشة المسؤولين أمام الرأي العام. لأن الذين على رأس النظام يأخذونها باسمه لمصلحته، وما دامت باسمه ولمصلحته فإن من حقه الاهتمام بنوعية هذه القرارات، ومن حقه أن يتساءل عن شعوره حول صحة هذه القرارات وما هي الأسباب التي حملت القيمين على النظام لاتخاذها.

عندما نتحدث عن مراحل سياسية التقدم الحضاري عبر التاريخ علينا أن نتعرف على وصف ما نعنيه. إنه نموذج عن موقف ووضع الفرد في المجتمع وتوجهه منه بما يخص السياسة بين أعضاء النظام السياسي. إنه حقل ذاتي ينطوي على معان كثيرة للعقل السياسي. إن توجهات الفرد أيضاً لها مركبات عدة منها:

١ - ابعاد الفرد وادراكه لما يدور حوله في عالمه (إلمامه ومعرفته) عن الوضع السياسي والمعتقدات.

٢ - البعد الانتمائي عند الفرد لبيئة ترابطه الثقافي وتفاعله الحضاري ايضاح اعتراضاته وموافقته على الأغراض السياسية.

٣ ـ دور الفرد وتطلعاته وتقديراته وحكمته ودرايته حول الأشياء السياسية والاحداث.

أما إذا كان النظام منغلقاً على نفسه فإن التساؤلات تصبح باطلة وموضع تشكيك. كذلك نسبة المشاركة تصبح مقتصرة على الذين يشاركون النظام السياسي كأداة لتسييره حسبما تمليه مصالحهم ومصلحة الحاكم وليس مصلحة الشعب، وهذا يدل على أن الأنظمة تصبح مفهومة فقط من خلال ما يتطلبه الحكام. وهنا نجد بأن الرجل السياسي لا يستطيع بجلاء وحرية المشاركة في معارضته ومناقشته للقرار. وهنا يطرح السؤال عند البحاثة عن صحة المشاركة السياسية في أنظمة العالم الثالث. هذه المشاركة إذا حصلت فإما أن تكون من خلال أجهزة النظام أو من المصفّقين للنظام خوفاً من تطبيق عمليات الارهاب عليهم. يتساءل هذا المواطن مع نفسه عن المكافأة التي يحصل عليها إذا لم يشارك. كل ذلك يتوقّف على نوعية النظام، فإذا كان النظام قسرياً فإن المكافأة سوف تكون وخيمة وإذا كان منفتحاً فإن المكافأة هي خدمة المواطن والنظام.

١ ـ المكافأة قريبة للمغامرة أو نوع من المغامرة يدخلها المواطن مع النظام واضعاً عينيه داخل اللعبة. دوافع هذه المغامرة ممكن ان تكون لابعاد الآلام عنه وعن الناس أو لمحاربة الجوع والبطالة وارضاء لطموحاته.

٢ ـ الفرد على أبعد الافتراضات لا يحاول أن ينغمس في السياسة إذا ظن بأن امكانية تأثيره على نتائج الاحداث في سبيل تغيير موازين المكافأة بطرق مشاركته السياسية لا توصله الى هدفه لذلك يحاول أن يعزل نفسه عن التفاعل في الأمور السياسية فيصبح متفرّجاً بدل أن يكون مشاركاً.

٣ ـ لا يشرك في السياسة إذا ظن بأن النتائج التي سوف تأتي هي

لمصلحته شارك أو لم يشارك. هذا نوع من الكسل السياسي حيث يعتقد الفرد بأن النظام السياسي لبلده يعمل للمصلحة العامة، لذلك فالنتائج مضمونة لمصلحته وتقاعسه هو نوع من الاتكالية على النظام وعلى الحظ في أغلب الأحيـان. صراع المتخـاصمين يصب في خدمته.

السعي للسلطة ـ القيادة ـ :

١ ـ كثيرون هم الأفراد الذين يبتغون الوصول للسلطة في سبيل الحصول على التأثير على السياسة والحكم والقـرارات التي تسمى «النخبة السياسية». وهذا يعني بأن هنالك استعدادات وامكانيات تدفع هؤلاء الأفراد لدخول المعترك السياسي بغية الوصول.

٢ ـ التأثير السياسي موزّع بغير مساواة على أفراد النظام السياسي حيث الامكانيات المتوفرة للبعض تقف عائقاً في وجه استعدادات وتحفّز الآخرين.

٣ ـ البعض الذين لا يسعون الى السلطة عادة يحصلون عليها. هذه الفئة هي التي تتربّص فرصة تفاقم الصراع بين المتنافسين فيأتون كحلّ وسط دونِ عناء، وأن العقلانية قد أعطيت من قبل مفكرين وفلاسفة ومعلمي أخلاق. كلهم ترجموا بأن السياسة والوصول الى السلطة هو شيء عقلاني ودافع ضميري للمصلحة العامة. لكن فرويد برهن على أن الأمنية (الغاية) رهيبة وغوغائية وغير مروّضة، وفي هكذا حال فإن المنطق لا يصح عند الدافع. بنظر فرويد السعي وراء السلطة هو دافع غرائزي تتحكّم به عوامل سيكولوجية وأهداف بحت شخصية.

الساعون وراء السلطة كمعنى يريدون أن يعوضوا عن الكبت النفسي. الذي عانوه منذ الطفولة وعدم الاحترام والرعاية في وقت مبكر من حياتهم. النفس التي عانت من الحرمان والاضطهاد والفقر

تحاول الوصول الى الدرجة الأدنى لاحترام الذات، (ذلك بمعنى: الوطن، الأهل، الزوجة، الأطفال، الأصدقاء، أبناء المنطقة، أبناء طائفته، وآخرون). فإذا سنحت له الظروف أن يتبوأ السلطة فإنه يريد أن يغير المفاهيم لمصلحته (وربما تكون هذه دوافع غير ضميرية) وهنا نجد بأن ماركس يقرّ بأن الدافع نحو السلطة هو المصلحة العامة بل دوافع ونزوات شخصية للتعويض عن كبت سابق لحق بهم ويريدون تحقيق الذات الخاصة وإذا التقت مع المصلحة العامة فلا مانع من ذلك وبهذه الحالة فإن المناور السياسي يعطي الاهتمام الكبير والقيم الكبرى للوصول الى السلطة مثل القضايا القومية والمصيرية.

٤ ـ يطلب السلطة ويركز على قيمه وتفانيه للمصلحة العامة ويخفي نزواته الشخصية.

٥ ـ ثقة عالية بأنه سوف ينجح في الحصول على القوة ويعبىء أنصاره ومعاونيه ويزرع فيهم ثقة النجاح.

٦ ـ عنده نوع من القدرة القيادية حتى ولو كان ذلك نسبياً.

إن أكثر الفلاسفة والمفكرين بقوا مع التاريخ وعلى ألسنة الناس أكثر من الحكام الذين حكموا بعصرهم، هؤلاء بقوا مع الانسانية لأن أفكارهم هي التي جسّدت بقاءهم وخلودهم، فقد كانوا دائماً يتحدّثون عن ضمير البيئة التي عايشوها. والسؤال الذي يمكن طرحه هو: هل توصّل هؤلاء الى أن ينجحوا في ادارة الشؤون السياسية والاقتصادية والإجتماعية؟ والجواب هو أن أكثر المفكرين ليسوا قادة بقدر ما هم مفكرون ومنظرون ولا عيب في ذلك لأن أرقى درجات الرقي الفكري هي أن يحلّق الانسان في عالم التنظير التجريدي، أما الناحية التطبيقية فإنها تبقى مع الصنف الثاني في التراتبية الوظائفية. إن رجال التنفيذ هم من القادة statesmen، الذين

باستطاعتهم أن يتفاعلوا مع سواد الناس أكثر من المفكرين والفلاسفة الذين يعلمون علم اليقين بأن نظرياتهم وفلسفتهم هي لفئة مميزة من الناس، وهنا تكمن الأرستقراطية الفكرية أو النزعة البرجوازية في عالم الفكر، ومن جراء ذلك نرى التفاوت المطلق بين المنظرين والفلاسفة وعامة الناس، بينما القادة من البشر هم أقرب الى مخاطبة الناس بلغتهم والتعاطي معهم بالشؤون التي تعنيهم مباشرة من مصالح خاصة وخدمات يؤدونها لهم، وهذا ما يفتقر المنظرون الى القيام به ولو تفرّغوا لمثل هذا العمل لما استطاعوا أن يكتبوا ويتركوا للبشرية خزائن الفكر ومدارس الفلسفة والتنظير.

يقول «أرسطو» بأن عالم السياسة يجب أن يكون قادراً على دراسة دستور معين كما هو قائم وبسهولة مع النظرة في تفسير كيف نشأ وكيف وضع كي يتمتع بأطول مدة ممكنة[1] وهذا ليس من الضروري أن يكون ديمقراطياً أو غير ديمقراطي بينما الدكتور «ليبست» يصف الديمقراطية كنظام سياسي يعطي فيه الدستور العادي الفرصة لتغيير المسؤولين في الدولة وبواسطة الماكينة الاجتماعية التي تخول وتسمح للأكثرية الساحقة من الشعب التأثير على القرارات الرئيسية بناء على اختيارهم ما بين المتقدمين للوظائف السياسية. يصر الدكتور «ليبست» على الديمقراطية التي تعطي فرصة التعديل والتغيير في بنية النظام السياسي. إنه مع أرسطو في جعل الدستور يعيش أكبر مدة ممكنة شرط أن يكون هذا الدستور ديمقراطياً في خدمة نظام ديمقراطي[2].

وحتى يكون النظام ديمقراطياً فإن البنى الاجتماعية والتغييرات التي تحصل يجب أن تجاري التغييرات السياسية، وذلك يتطلب بأن تكون درجة

---

(١) Aristotle. Politics 1788 b 28 - 30

(٢) S. M. Lipset Political Man New York 1960 P. 45.

التغير الاجتماعي متوازية مع درجة التغيير السياسي. حرية النقد والتحرك Mobility هما من الركائز الأساسية لهذا التغيير اجتماعياً كان هذا التغيير أم سياسياً. إن الأنظمة السياسية في الدول النامية تعتقد بأنها في طور التغيير ولكن التغيير الذي يحصل في هذه الدول يعتبر غير متواز من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إن التفاوت الذي يحصل بنسبة التغيير يصبح تقهقراً وليس تغييراً(٣).

أزمة الشرعية عادة تحصل خلال المرحلة الانتقالية الى البنية الاجتماعية الجديدة عند الدول النامية، هذه الأزمة هي أزمة التغيير المطلوب وإذا لم يأخذ هذا التغيير مجراه الطبيعي فإن الأزمة تبقى عالقة لأن وضع المؤسسات الكلاسيكية المحافظة تصبح تحت وطأة الخوف في فترة عملية التغيير البنيوي لأن ذلك يتطلب المشاركة الحقيقية والصادقة في عملية التغيير. والواقع المؤلم في الدول النامية هو أن هذه المشاركة محذورة ومحددة من قبل النظام. إن معظم الفئات الرئيسية في المجتمع لا تستطيع الوصول الى المشاركة في النظام السياسي في الفترة الانتقالية أو على الأقل عندما يتسنى لها تكوين المطالب السياسية أو السعي وراءها. أما بعد إقامة البنى الاجتماعية الجديدة مهما كان طابعها نرى أنه أذا لم يكن باستطاعة العقلية الجديدة للنظام استيعاب آمال الفرقاء الرئيسيين ولمدة طويلة كي تتطور الشرعية على أسس جديدة فإن أزمة جديدة سوف تظهر وتليها أزمات يقف النظام مكبلا في مواجهتها ديمقراطياً فيلجأ لاستعمال القوة وتقف عملية التغيير.

مسألة الديمقراطية :

إن المشاكل التي تعاني منها الدول العربية هي لحد ما مشاكل عانت منها الدول المتقدمة في فترة زمنية خلت... أهم هذه المشاكل هي

---

(٣) Daniel Lerner The Passing of traditional society. New York Free Press of Glencoe INC. p. 78.

امكانية بناء نظام سياسي ينعم باستمرارية البقاء على أسس ديمقراطية ثابتة، أعني كلمة نظام سياسي قد أصبحت اليوم تعبر عن مفهوم وطن أو أمة فدرالية أو كونفدرالية أو ملكية أو دكتاتورية الخ . . .

السؤال هو كيف يكون باستطاعة الدول العربية أن تسعى لخلق نظام سياسي ديمقراطي يتكيف مع بيئته ومع محيطه ومع التغييرات التي قد تطرأ عليه، إن عملية التقدم والسعي للتوصل الى الغاية هي عملية نسبية. فلو أخذنا الدول المتقدمة التي استطاعت أن تتوصل الى حقيقة نظام سياسي ديمقراطي، وكيف استطاعت التغلب على مشاكلها في تلك الفترة الزمنية نجد أن عامل الزمن كان متفاوتاً بين دولة وأخرى. إن بعض هذه الدول قد استطاعت التغلب على مشاكلها بمدة أقصر من غيرها. إذن سبب التفاوت الزمني يرجع لعوامل عديدة وأهمها الاستعدادات المتوفرة عند المواطن لدفع المركب الخشن الى شاطىء الأمان الديمقراطي. كذلك باستطاعتنا الافتراض أن بعض الدول العربية قد خطت شوطاً أبعد من غيرها نحو النظام الديمقراطي وكل شيء يبقى نسبياً، فلبنان مع كل ما يجري فيه حالياً فإنه يتمتع بنسبة أعلى ما بين الدول العربية في سياق النمط الديمقراطي السائد في بعض الحقول.

هناك طرق عديدة لمواجهة هذه المشاكل، منها ما تطرق إليه الفلاسفة وخاصة بعد الثورة الفرنسية، وقد كان الدافع لتحركهم الفلسفي هو كيف يمكن التوصل الى بنية نظام سياسي كانت الثورة الفرنسية هي المتحدي الأكبر لهؤلاء الفلاسفة وهنا تختلف الثورة الفرنسية عن الثورة الأميركية، الثورة الفرنسية أطاحت بكل مؤسسات الدولة وكان التحدي إنشاء مؤسسات جديدة تحمل في طياتها أماني وأحلام الثورة أما الثورة الأميركية فقد أبقت على المؤسسات على حالها وقد لجأت الى تطوير هذه المؤسسات تدريجياً فهي أشبه-آنذاك بالأنظمة العسكرية التي توصلت الى الحكم بواسطة انقلابات عسكرية. الأنظمة العسكرية شبيهة لحد بعيد

بالثورة الأميركية بحكم عسكرييها عملوا على تطوير المؤسسات دون الاطاحة بها كلياً. أما الثورة الايرانية فإنها أشبه بالثورة الفرنسية بإلغائها المؤسسة السابقة وبناء هيكلية جديدة ونظام لدولة جديدة.

لكن كل هذا لم يساعد على بنية نظام سياسي ديمقراطي. سبب ذلك هو أن البحث بقي في مجالات الشكليات دون الغوص في المضمون وفي ذهنية البنية التحتية للمجتمع infra — structure لذلك فإن المطلوب من علماء السياسة والمفكرين في حقل الاجتماع السياسي أن يأخذوا المبادرة ويبحروا في واقع التراث السياسي للمجتمع العربي هذا العلم هو مدخل من مداخل عدة ولكنه في الوقت الحاضر قد أصبح من أهمها وخاصة بعد فتور الانتفاضات القومية والعودة الى النظام السياسي والتطلع الى المشاكل التي يعاني منها النظام والمواطنون.

منذ ذلك الحين بدأ البحاثة يتوجهون الى البنية التحتية للسياسة. المؤسسات التي ليست مرتبطة مباشرة بأجهزة الدولة وتلعب دوراً رئيسياً في القرار السياسي. في هذه الدراسة هي أن تخطو أبعد من البنى الرسمية الى المعتقدات التي تؤثر على الطريقة التي تتصرف بها الجماعة ضمن المؤسسات السياسية القائمة (وحتى الذين على رأس المؤسسة).

إن ميزات التراث السياسي للوطن قد تستمد من خيرة الأفراد في المجتمع مع النهج السياسي في بلادهم... شيء ممكن أن يتعلمه الانسان عن المعتقدات السياسية هو أن يلحظ كيف تعمل البنى السياسية... هذه المعتقدات تؤثر وتتأثر بالطرق التي يعمل بها النظام وأيضاً هنالك دائرة من العلاقة بين البنى والتراث. وهنا يتطلب الفصل في الدراسة ما بين الاثنين.

التراث السياسي يسلط الأضواء على الحياة السياسية وأيضاً يسلط الأضواء على القيم الرئيسية (الادراك) cognitions والأرتباط التي تحمل

الميل العاطفي والانصهارية، الخبرة العلمية التي مرت من جيل الى جيل والتي تحمل في طياتها التراث السياسي والحالات التي يتبدل بها التراث السياسي. وكيف أن الذكريات السياسية تؤثر على المعتقدات السياسية.

إن دراسة التراث السياسي تساعد على فهم وتفسير التغييرات السياسية والحداثة (التحديث)... التراث السياسي (لا يدل على التفاعل بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية للدولة، الأحزاب السياسية القوى صاحبة المصالح (القوى الضاغطة) ولا حتى أنها ترمز الى التفاعل بين السياسيين الذين يتكلمون لمن ومن يؤثر على من ومن يصوت لمن...) التراث السياسي يرمز الى نظام المعتقدات حول نماذج من التفاعلات السياسية والمؤسسات السياسية... إنها لا ترمز على ما يحصل في عالم السياسة إنما على ماذا يعتقد الناس بخصوص ما يحصل. هذه المعتقدات ممكن أن تكون على وجوه عدة.. ممكن أن تكون معتقدات ذات طابع تجريبي حول ما هي الحالة الحقيقية للحياة السياسية.. معتقدات حول الهدف والقيم التي يجب التوصل إليها في الحياة السياسية. هذه المعتقدات ممكن أن يكون لها ضرورة البعد التوضيحي أو العاطفي.

التراث السياسي يكون رابطاً ضرورياً ومهماً بين الأحداث السياسية وسلوك الأفراد ورد فعلهم على هذه الأحداث، كذلك التصرفات السياسية للأفراد والجماعات تتأثر دون شك بقرارات الدولة الرسمية في حالات الحرب والسلم والتحضير للانتخابات ويمكن الاختصار بأن ردة فعل الناس على ما يتصورونه من السياسة وكيف يترجمون ما يرون، إن ذلك لا يرمز الى ما يدور في عقول الرجال وما يدور في عالم السياسة إنما يرمز الى التفاعل ما بين الاثنين.

إن دستوراً جديدا واحداً لدولتين مختلفتين في التراث السياسي يترجم بقوانين تختلف بين الدولتين، ويختلف ربطاً في التطبيق والمعتقدات الايديولوجية تتأثر بذات المعيار بالنسبة للتراث السياسي وحتى

أن حزباً ايديولوجياً واحداً ذا مبادىء واحدة وواضحة يطبق بطرق تختلف وسياسية خارجية وداخلية واقتصادية متنوعة (الصين، الاتحاد السوفياتي).

في غمرات التاريخ إن بدائية التراث السياسي كانت تدل بالتأكيد على أن المعتقدات التي يحملها الفرد ويؤمن بها يعتقد بأن الآخرين يحملونها كذلك. هذه المعتقدات تبقى ثابتة ما دامت دون منازع (وهنا يمكن القول بأن عملية عدم الاستقرار في الدول النامية ترجع الى المعتقدات التي توضع تحت المحك) لقد اعتقد أفلاطون بأن هنالك إلهاً كونياً ولم يفصل بين القيم التي يتطلبها الإله والأديان moral responsibility بينما نجد من جهة المعتقدات البدائية في تاريخ اليهودية بأن آلههم هو آله عشيرتهم وأن المعتقد هو إيحائي وأن هذا الإله يحارب معهم ضد أعداء العشيرة فإذا انتصروا فإن النصر يأتي من الإآله الذي حارب معهم وإذا اندحروا فما عليهم إلا إرضاء الله وطلب الغفران.

الجواب الذي يمكن أن يعطي معنى لمفهوم التراث السياسي هو جمع مدرسة علم النفس (الفرد) مع علم الاجتماع (الموحد) Psychology and collective psychology وقد عمل المفكرون في علم السياسة على الغوص في حقل علم النفس وتطوروا بنظرياتهم الى مدرسة جديدة تسمى المدرسة السلوكية الجديدة التي تحدد السياسة على مفهومين هما: التركيز على تحليل الفرد (القيادي) وتحليل القاعدة الاجتماعية (The macro and micro system analysis)

كيف يفهم البشر التطور السياسي ويعونه؟ يجب علينا تحليل الطرق التي يطورها الانسان وكيف يحافظ عليها ويغير الأسس الرئيسية للسلوك السياسي. وأيضاً بالتطرق الى الاستقرار العام (الاستقرار الجماعي) وعدم الاستقرار للأوضاع في مختلف حقول الوجدانية.

إن الفكرة العامة حول التراث السياسي هي عملية استنباط -Cogni

tion الغرائز السياسية والاجتماعية بما في ذلك التقاليد والقيم والعادات والأعراف التي يستنتجون من خلالها مدى تعلق المجتمع بهذا كله. لأن هـذه العوامـل مجتمعة تشكـل رصيد المعلومـات لدى البحـاثـة بحيث يستطيعون من خلالها صياغة السلوك السياسي للمجتمع كما أننا لا نستطيع أن نقر بأن هنالك ظواهر جديدة يمكن أن تحمـل المعنيين الى تقييم جديد.

التراث السياسي يفترض بأن كل فرد من خلال تاريخه الشخصي يتعلم ويدخل الى شخصيته المعرفة والشعور حول سياسة شعبه وجماعته. كل جيل حسب المفهوم السيكولوجي يتسلم من الجيل الذي سلفه كل يجب أن يتفاعل ضد النهج السياسي ليجد النهج الكلي يجب أن يتماشى مع القوانين التي تحكم تطور شخصية الفرد والثقافة العامة للمجتمع.

إن الدكتور غابريل الموند يقول إن كل نظام سيـاسي هو مغلف بنموذج تراثي معين يتكيف وفقاً للظروف والحقائق التي تكثف ردات الفعل السياسية.

التراث السياسي :

عادات المجتمع ، روح المؤسسات العامة ، والعطف والمنـطق الجماعي للمواطنين ، طريقة ونوعية القيادة يضاف الى ذلك التاريـخ الكلي للنظام السياسي وتاريخ أفراد صنعوا النظام لذلك فإن التراث السياسي مزروع في الأحداث العامـة وفي خبرة الأشخـاص الخاصـة. باختصار فإن التراث السياسي يعطي هيكلية ومعنى للأفق السياسي كما يعـطي التراث قـاعدة للحيـاة الاجتماعيـة ـ التراث يتـوقف على الفهم العقلاني للبيئة الاجتماعية والنظام الذي يحكم هذه البيئة ويمتد في بعده الولاء، وتعريف نفسه بجماعية وجدانية الانسان والترابط الجغرافي ـ هذه

الحالات تكمل عيون البشر بتوقعات معينة حول حقيقة السياسية وتتوق الى أبعد من ذلك في تصور ما يجب أن يكون شأن الحياة العامة.

هناك عدة وجوه للنظام السياسي تستدعي البحث والاستقصاء. فمنذ أمد بعيد ركز علماء السياسة في دراساتهم وأبحاثهم على بنية المؤسسات، وقد استغرقوا وقتاً طويلا في هذا المجال ولكنهم لم يصلوا الى النتيجة المتوخاة. النتيجة التي تهدف الى بناء نظام سياسي ديمقراطي مغلف بالاستمرارية والسعي الى الأفضل، لقد ركز هؤلاء على الدستور ومقارنته بغيره من الدساتير. ودرس النصوص والفقرات ولأي مدى مفردات هذا أو ذاك الدستور تقر بالديمقراطية وبالجوانب المتعلقة بها لقد درسوا كيف توضع القوانين وكيف تلفظ هذه القوانين مبادىء العدالة والمساواة. لقد سلطوا دراساتهم على النظام هل هو رئاسي، برلماني أو ملكي الخ. . وقد ركزوا على كيف اعطاء بعض السلطات استقلالية من غيرها. بمعنى آخر كيف تستقل السلطة التشريعية عن التنفيذية وكيف أن القضاء يتمتع بالاستقلالية كي يكون مجرداً وعادلا في إعطاء الحكم وتطبيقه على الجميع دون استثناء أو تمييز. كل هذه قد أصبحت دراسات تقليدية تعيش في عالم الوصف والتصنيف. لبنان لم يخل من أن يكون في طليعة الدول التي استطاعت كغيرها أن تحلق في هذه المجالات.

النظرية الاندماجية بمفهومها العلمي المعاصر

توحيد الارادة العربية في وجه ارادة التعنت الصهيوني يتطلب الالتفاف والتفاهم العربيين على الوجه الايجابي والعملي وليس على التصريحات والمزايدات والرهان على الدول بشكل مدروس وصريح . ان معظم السياسيين يتحدثون عن الوفاق العربي . . . وفاق الحكام ملوكا ورؤساء وليس وفاق الانظمة لأن العالم العربي بدوله يفتقر إلى أنظمة وليس الى حكم . فالنظام بمفهومه العلمي يرتكز على البنية (Structure) وعلى ما تفرزه هذه البنية (Function) لإدارة شؤون المجتمع في السياسة الداخلية والخارجية . فلو تسنت للدول العربية عجلة الانتقال من صيغة الحكم الى هيكلية النظام لاستطاعوا السير في ركب الاندماجية الوطنية التي بدورها تقدم لهم وحدة الارادة العربية في تقرير المصير دون الوقوع في غياهب اللعبة الدولية والنظام العالمي اللذين يريان من البرج العالي ، ان اضعف الدول هي التي تتبنى عقلية الحكم دون عقلية النظام . فمن عقلية النظام تنبعث فكرة الاندماجية (Integration) كهدف ومصب ، ومن عقلية الحكم تنبعث اللااندماجية والتفكك وتشتيت اللحمة الوطنية .

الاندماجية في الجوهر هي دخول الانسان المعاصر الى خندق المفاهيم الاجتماعية والسياسة والاقتصادية في شخصية وطنية موحّدة فعّالة . تخدم هذه الشخصية البنية الاجتماعية والوطنية ضمن بوتقة متراصّة

وفي اطر جغرافية معينة وعلى أسس نظامية ثابتة . وبدون نظام لا تتبلور هذه الشخصية المتوخاة . البعض يـرى ان الاندمـاجية حـالة situation محدودة ونهائية تفرضها العوامل التاريخية من ثقافة وتقاليد ولون وعرق وانتماء وجغرافيا ويصعب تطويرها بسهولة الا اذا كان مجراها طوعيا وليس قسريا . والبعض الآخر يرى ان الاندماجية هي عملية تقدّم process في اطر حالات محدودة . . . هذه الحالات يمكن قطع عقباتها والتوصل الى الهدف المطلوب ببعث روح الانصهارية . . . وهناك فئة ترى ان الاندماجية هي عملية تقدم تصبو الى أمن الجماعة[١] .

الاندماجية في واقعها هي تسييس جماعة من الناس كي يعيشوا حياة مشتركة وفقا لنظام معين مبني على المؤسسات الشرعية والنواحي المسلكية للفرد والمجموعة . إذ ان الاندماجية ترفض دكتاتورية الحكم لأن هكذا حكم هو اشبه بالبالون القابل للانفجار عند أي لطمة أو موجة عنيفة داخلية أو خارجية[٢] اما مناخ الاندماجية فهو في أروقة هياكل النظام الذي يشبه البالون المرن الذي يتقبل اللطمة ويتمطى معها ولكنه يعود الى حجمه الـطبيعي دون الانفجار لأنـه من المفروض على النـظام تقبل الهـزات والمشاكل لأنها من طبيعة المجتمع الديمقراطي ولكن يجب ان يكون عنده القدرة والمرونة لايجاد الحلول لها[٣] .

ان الدراسات والابحاث في حقل الاندماجية تركز على الولاء القومي للارض والنظام ضد الولاء القبلي والعنصري وهذا يرجع لأسباب متعدّدة ،

---

(١) See The work of Karl Deutsch including the various essays in the integration of political communities; and A. Etzioni including the work on political unifaction.

(٢) Committee on comparative Politics Social Science Research Council Memorandum on the concepts of Modernization Nov 1961.

(٣) Alex de Tocgueville, Democracy in America, Vol, 1 (Newyork: Alfred Knopf, PP. 45 - 250 - 253.

See also Symour Martin Lipest, Political Man: The Social Base of Politics (Garden city 1964) p 88 - 89.

اما الدوافع الرئيسية فهي ثمرة الانتعاش الوطني الذي حقّقته الدول التي استطاعت بالمختبر الاندماجي إكمال بنيتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية(٤) .

ان النمو الذي حققته ـ في حقول شتى ـ الولايات الاميركية المتحدة في صهر الاتنولوجيات والقوميات والاديان المتعددة بقالب اندماجي فدرالي واحد هو مثال حي للمختبر الاندماجي . فقد كانت الناتج لتوحيد ابناء المجتمع عند آمال ما توخّاه مصمّمو هذه المدرسة(٥) . ولولا ذلك لكنا نسمع اليوم عن حرب رعاة البقر مع الهنود الحمر في تكساس وفرجينيا والباما وغيرها من الولايات ولكنا نسمع عن حرب الكاثوليك مع البروتستانت أو الجنوبيين مع الشماليين وبقي الهبوط على القمر امرا غير وارد ولبقيت هالة وجمال القمر حلم الشعراء والهائمين بدل ان يكون محطة هبوط لعربات الفضاء دون التحدّث عن التكنولوجيا والعقل الالكتروني والكومبيوتر . ان اكتشاف مكنونات الفضاء هي من صنع الانسان ولكن اي انسان ؟ انه انسان العالم بمعظم قومياته وطاقاته الفكرية وعمله الانتاجي . . . هذا الانسان الذي إجتمع بقالب الاندماجية في بقعة اكتشفها كرستوف كولومبس اذا لم يكن الفينيقيون ولم يمر عليها الا شهور في احياء عيد المائتي سنة على تأسيسها واستقلالها . وليس الفضل بمنجزاتها لعنصر بشري على الآخر فإنه فكر الانسان أيا كان . فكر الانسان العالمي الذي تجمع في أرض الاندماجية .

ان مختبر الكنتونات السويسري قد اعطى الاندماجية وسام استحقاق

---

(٤) Gabriel Almond, Comparative Political System, Journal of Politics XVIII P 392 - 393 - 398 - 399.

(٥) Karl W. Deutsch, «Toward and Inventory of Basic. Trends and Patterns in Comparative and International Politics», in International Politics and Foreign Policy, ed. by James N. Resenau, PP. 503 - 4.

Those who had Constructed that school did not give any considerations to variables and data. As Deutsch Thought that data and ratio can Indicate at most the background for Possible action. what actually happened had depended on the political actors concerned.

لأنه استطاع ان يصهر المجتمع السويسري بما فيه من اتنولوجيات ولغات مختلفة وقوميات متعددة في قالب وطني واحد . لقد وجد الكنتونات قبل وجود الفدرالية السويسرية ولكن مدرسة الاندماجية جعلت ابن الكنتونات يشعر بأنه ينتمي الى المجتمع الافضل دون الفوضى في القوميات والنزعات العنصرية . فقد استطاعت الفدرالية السويسرية من وراء مدرسة الاندماجية ان تكون الدولة السباقة في بنيتها الوطنية وازدهارها الاقتصادي وموقفها الحيادي في لعبة الامم . فكم من الماني وفرنسي وايطالي يشعر بانتمائه الحقيقي الى سويسرا كونه يراها بوعيه ومقاييسه بأنها ارقى دولة ممكن ان يصب فيها الولاء . وانتماؤه لا شك نابع من موضوعية تحثه نحو الافضل . انه بنظره وبنظر الانسان المعاصر يرى ان سويسرا هي افضل نظام ممكن لأنه تعدى افق القوميات والعنصريات . انه يشعر بقرارة عقله بأن هكذا نظام يدفعه بالانتماء الى مجتمع غير معقّد الا بتحسين نظامه والسير به الى الاتوبية الارضية . فالانسان بطبيعته يرنو الى ان ينتمي الى المجتمع الافضل . انه يرنو ان يكون ذاته وان يتمتع بحريته التي لا نبالغ اذ نقول ان الانسان خلق لأجلها شرط ان لا تتعدى هذه الحرية حرية الآخرين . ان للحرية نظاما خلقيا كان من خلق المجتمع واصبح امانة بيد الدولة التي تنبثق عنه لترعى مدى وبعد هذه الحرية .

ان لبنان هو عكس الفدرالية السويسرية لأنه وجد قبل الاقليات منذ أيام الفينيقيين بينما الكنتونات السويسرية فقد وجدت قبل الاتحاد السويسري . ولا يمكن ان يكون قالب الفدرالية السويسرية صالحا للبنان لأن اسمه وتاريخه وارضه كانت قبل اقلياته وطوائفه . فينبغي على اللبنانيين ان يشعروا ان لا نظام يصلح لهم سوى اندماجهم في البيت اللبناني الواحد الذي آواهم منذ مئات السنين . ان نظام لبنان الذي نريده ان يستمر في المستقبل هو ادراك اللبناني بل الفتنة الطائفية هي مرض هدّام لمدرسة الانصهارية . وان يدرك ايضا بأن لا يسمح للذين كانوا سبب

المحنة ان يستبقوا القصاص ويجعلوا من انفسهم قضاة يحاكمون الذين ارتبطوا بالارض وبلبنان الواحد كما فعلوا بلبنان وكما يفعلون الآن بجنوبه .

لماذا تأخذ الدراسات الاهتمامات الرئيسية عند اساتذة الجـامعات والمفكرين ففي أوروبا والولايات المتحدة رعيل كبير من عمالقة الفكر قد خصصوا معظم دراساتهم وابحاثهم حول فكرة الاندماجية والفدرالية امثال كارل دويتش ، ارنست هاس ، ليون لندبرغ ، ستيوارت شاينفلد ، فرد هيوارد ، هورد آلكر ، جوزيف ناي ، رونالـد بوكـالا ، جيمس روزنو ، وغيرهم من الاختصاصيين في هذا الحقل .

السبب الرئيسي للتركيز على هذه الدراسات هو ان مبدأ ومسرى الفدرالية السابق الذي يهدف الى دمج الشعوب بالقوة العسكرية قد ادحض وطويت اوراقه لأن اوراق التاريخ قد اثبتت عقم هذه الفكرة(٦) . ان مدرسة نابليون وهتلر وبسمارك وموسوليني وكاميليو كافور ، وسيمون بوليفار التي دعت الى الوحدة القسرية قد اغلقت ابوابها لأنها لم تقم للفرد وزنا ولا قيمة اجتماعية حيث ان هذا الفرد هو نكرة عند ذكر اسم الامة والشعارات القومية ـ ان مدرسة التعسف لم تعد واردة في مخيلة الانسان المعاصر لذلك بدأ يفتش عن خنادق التساوق الطوعي بين الانسان ومجتمعه . ان فكرة التساوق القسري لم تعد واردة في خطوات الرؤساء حتى الاقوياء منهم الذين يدعون للوحدة ويؤمنون بالاممية كركيزة نقل وطني وعالمي(٧) . فقد تراجع عبد الناصر عن وحدته مع سوريا بوعي سيـاسي كاف ولم يستعمل منطق القوة لديه مع العلم بأن شرعية القانون الدولي كانت تعطيه حق استعمال منطق القوة العسكرية لكبت حالة اضطرابات داخلية ضمن صلاحيات الجمهورية العربية المتحدة . . . ابى ان يستعمل ذلك وربما

---

(٦) I. S. Nye, Jr. Patterns and Catalysts in Regional Integration, International Organisation XIX (Autumn) 870 - 874.

(٧) Werner Feld, «National- International Linkage Theory: The East European Communist System and the EEC,» **Journal of International Affairs,** XXII, 1 (1968), 108.

لأسباب عديدة اما بالنسبة لهذا البحث فباستطاعتنا على ضوء نتائج ما حصل ان نقول ان مفهوم عبد الناصر للوحدة ما بين قطرين شقيقين هو ان يأتي عن طريق تلاحم الشعوب وتجاوب القطاعات الخاصة والعامة مع بعضها البعض كي يتسنى لها ان تصب في مجرى الوحدة الوطنية . . لقد برهن لنا انه استلهم طرق توحيد المصالح بين الشعبين السوري والمصري لتحقيق الهدف القومي ورفض طريق المسكر لتحقيق الهدف بالأساليب الجبرية .

ان طرق الوحدة القسرية عن طريق العسكر وبقيادة رجال يؤمنون بالعرق والتمييز العنصري في اوروبا وغيرها من القارات في التاريخ قد طويت اوراقها ولم تعد موضوع اهتمام عند الباحثين . اما التركيز فانه ينصب اليوم على الاندماجية الطوعية بين الشعوب دون اللجوء الى منطق القوة(٨) . . . دراسة الاندماجية هي دراسة المواصلات بين الشعوب وتفهم بعضها البعض ، المواصلات المادية والبشرية منها بمعنى ان البريد هو زئبق تقاس به درجة العلاقة بين البلدان لأن مدى كمية الرسائل بين مجتمعات الدول تدل على مدى التفاهم المتبادل . اما الناحية المادية فهي ان يكون هناك بريد مؤمن وسريع بتكاليف طفيفة وان يكون هناك العامل البشري الذي يحقق دور المواصلات .

ان عامل اللغة يحتل المراكز العليا في مدرسة الاندماجية لأنه يسهل تقارب الناس بعضهم بالبعض ويبث مكنون التراث والتقاليد كي لا يساء فهم الآخرين باحكام مفروضة بحكم العادات المستمدة من التراث .

التلفون هو جزء آخر من المواصلات بين الاقطار . الافلام السينمائية . البرامج التلفزيونية ، المجلات والصحف . والتبادل الثقافي فإذا تأمنت هذه العوامل بمناخ سياسي جيد يضاف الى ذلك السياحة

---

(٨) Ernest Haas, «The Uniting of Europe and the Uniting of Latin America» Journal Common Market studies, (June 67) P. 327.

والاصطياف فإن السير في ركب الاندماجية لا شك وارد في المستقبل .

فلو اخذنا مثلا هذه العوامل ما بين الشعب الاميركي والشعب الكندي لوجدنا ان هذه المواصفات تطبق في معظمها لكن توقيت الوحدة لم يأت بعد . ان الشعب الكندي يعرف عن الشعب الاميركي بقدر ما يعرف عن نفسه وكذلك الشعب الاميركي فانه يعرف عن الكنديين بقدر ما يعرف عن الاميركيين . . . الحياة الاقتصادية شبه متساوية حتى ان الدولار الكندي في البورصة العالمية لا يختلف كثيرا عن الدولار الاميركي اما المناطق الاميركية والكندية المتلاحمة فانها لا تفرّق بين الدولارين في التعامل اما عامل المواصلات فوافر جدا بمعنى ان الاميركي في الولايات الشمالية يزور كندا اكثر مما يزور الولايات الاميركية الجنوبية ولا يشعر انه خارج بلده عندما يزور كندا ـ كما انه لا يحتاج الى سمة دخول او خروج ، كذلك بالنسبة للكندي ـ تلفونه يصله بكندا كما يصله بأي منطقة أميركية . . . البرامج التلفزيونية متشابهة جدا والناحية الثقافية لا تختلف في الجوهر عن بعضها البعض . ومع كل ذلك لم تتحقق الوحدة من الناحية القانونية مع ان مواصفاتها جاهزة والسبب يرجع الى ان الشعب الاميركي والشعب الكندي يريدانها ان تبقى على حالها مع ان الشعور العام عند الشعبين لا يدل على ان هناك عقبات رئيسية .

ان زمن الامبراطوريات قد ادبر دون رجعة ولا يستهجن احد اذا سمع ان صوت ابناء الولايات في الحكومات الفدرالية مثل الهند والاتحاد السوفياتي والولايات الاميركية المتحدة يريد حكما ذاتيا متينا تربطه بالحكومة الفدرالية صبغة الاسم والارتباط الشكلي لا اكثر ولا اقل لأن في بعض الحالات ، ما ترتئيه الحكومة الفدرالية يتعارض مع اماني حكومة الولاية وشعبها . ان الدول الإسكندنافية لا تشكل امبراطوريات ولا أمما قوية ذات نفوذ عالمي انما استطاعت ان تبقى خارج لعبة الأمم محافظة على حيادها ومختارة الدور الذي تريد ان تلعب دون ان يفرض عليها من

احد . انها ارادة الشعوب بالخط المصيري الذي تبتغيه وتخطط له بضمير حي يتخطى اللعبة السياسية اما لبنان المأساة الذي نعيش فقد وقع فريسة اللعبة الدولية دون ان يكون هناك عند ابنائه حافز الوجدان الحي لانقاذه . فقد اراد معظم اللبنانيين ان يكونوا منظرين في الشؤون الدولية ومن المتطلعين في صلب الموضوع ومن المناورين في اللعبة السياسية ناهيك عن المناضلين والثوريين واصحاب العقائد القومية ودعاة الطائفية .

ان فئة التعنت الطائفي تلتقي مع الشعوبيين في أزمة لبنان . فأي مواطن مدرك لا ينعت العرب على تقاعسهم حيال القضية الفلسطينية وتركها على كاهل لبنان وحده . . . وأي مواطن مخلص لا يرى الأخطاء التي حصلت من بعض الجهات الفلسطينية لكن كل ذلك يجب الا يسوق اللبناني الى فصائل التعنت الطائفي ودحض صيغة التعايش .

ان صيغة التعايش هي احدى بنات الانصهارية[٩] التي نحن بصدد دراستها دراسة موضوعية تساعد اللبناني على اعادة لبنان الى ازدهاره ، اعادته الى صيغة التعايش التي كانت تسود هذا الوطن النموذجي .

ان الكيان اللبناني هو انسان وارض . فالارض بدون الانسان لا تصلح ان تكون كيانا ولا الكيان بدون الانسان يصح ان يكون وطنا . وازدهار لبنان لم يكن لولا انسانه المسيحي والمحمدي اللذين توصلا الى صيغة فريدة في العالم لصهر الحضارة الغربية بالحضارة الشرقية حاصلاً منهما على حضارة لبنانية كانت موضع فخار لبناني على جميع امم الأرض .

فاذا كانت هذه الانصهارية نوعا من الشعارات فقد باءت بالفشل في حرب السنتين . . لأنها لم تكن موضوعية مع نفسها ولأن السياسيين قد

---

(٩) See in this respect Dr. Robert A. Bernstein and Peter D. Welden, «A Structural Approach to the Analysis of International Relations», **Journal of Conflict Resolution**, XII, 2 (June, 1968), 162. Also see Karl W Deutsch, «Shifts in the Balance of International Communication Flows», **Public Opinion Quarterly**, XX, 1 (Spring, 1956), 149. and Ernst B. Haas, **The Uniting of Europe: Political, Social** and Economic Forces, 1950 - 1957, P. 6 - 7.

اخطأوا في تصميمها واصحاب المدارس الثورية قد مزقوا ثوبها الشفاف .

ان مؤشـرات الاندمـاجية Variables(١٠) المـوضوعيـة المبنيـة على المعلومات الصحيحة يجب ان تأخذ العوامل التالية بعين الاعتبار والجدية لكي يعود الى صحته وعافيته .

١ ـ الناحية الجغرافية :

إن تداخل السكان في مناطق لا تفرقهم عوامل وصعوبات جغرافية تحول دون إحتكاك بعضهم بالبعض هي دلائل عافية للاندماجية . امـا المجتمعات التي تواجه صعوبة في العوامل الجغرافية فانها بحاجة لدولة حديثة وانسان معاصر كي يزيل هذه العقبات ليمهد الطريق للاندماجيـة الوطنية . فلا جنوب لبنان ولا شماله ولا غربه وشرقه يشكل هذا العائق فاللبناني باستطاعته ان يرى وطنه بالمواصلات المتوفرة في يوم واحد دون اللجوء الى الطائرات لقطع المسافات الشاسعة ولا الى المراكب لقطع البحار . ان لبنان ليس باكستان قبـل بنغلادش ولا الجـزائر ، ليبيـا او السعودية في مساحته إنه بلد صغير يجب ان يكبر بانصهاريته وانفتاحه الحضاري .

٢ ـ دور القيادين :

اذا كانت الحرب كلمة ينطقها القادة والسلام كلمة يفرضها القادة فإن مداميك الاندماجية هي عمل القادة يحركها الضمير الوطني الحي عندهم خدمة للشعب والارض التي اليهما يتتسبون ويخدمون فإذا وقعت الحرب الكلامية بين القادة فإنها لا شك تتسرب الى صفوف المجتمع وتشركه بحـرب كلاميـة تنتهي كما انتهى اليـه المجتمع اللبنـاني . ان مدرسـة

(١٠) Finding the Appropriate or Theoretical terms in which to operate is a greater problem in this area of Research than in the... (Many) Variables all have some bearing on the problem. The temptation is to adopt «Grabbag» Approach and Document whatever variables at whatever level of analysis seem to help on our under standing... see John M. Orbell «An Information Flow theory of community Influence, **Journal of Politics** 32, 2 May 1970. P. 325.

المزايدات والتصريحات والاحقاد الشخصية عند القادة ما هي الا سَمٌّ يسير في شرايين المجتمع وخاصة اذا ارتدى الطابع الطائفي . ان فكرة النقد في المجتمعات المتقدمة حضاريا هي حجارة بناء وليست ازاميل تهديم لأن الناقدين المخلصين والوطنيين لا يبغون إلا خلاص مجتمعهم من بؤر الفساد والغبن الاجتماعي ، ولا يهدفون الا المشاركة الصادقة ودفع المجتمع الى اللحمة الوطنية والانصهار الكلي الصادق وضرب صيغة الانصهار الشكلي والعاطفي بعيدين عن المزايدات والنزوات .

٣ ـ المصالح الوطنية والمثقفون :

ان منابر المثقفين في شتى الحقول هي المرجع الصالح الذي يجب ان يركز عليه المجتمع والا فلتقفل محافل التثقيف والعلم إذا لم يعط المثقفون دورهم في المجتمع ـ لماذا في دول العالم يرجع بحث القضايا الجوهرية في الوطن إلى رأي المثقفين للحصول منهم على الدواء الناجع لشفاء علل المجتمع . إن دراساتهم هي بمثابة الوصفة الطبية التي يرتئيها الحكيم لمريضه . السؤال يدور هنا عن مدى دور المثقفين في لبنان وعن مدى رعاية الدولة لهم . فإذا لم يتطلع المجتمع ما يقوله ويكتبه المثقفون فإن الإندماجية الوطنية وأهلها في واد آخر يهيمون أو ببلد آخر غير لبنان يرتزقون ويعمرون .

إن مفهوم الاندماجية عند المثقفين في لبنان تتخطى ربما العالم العربي والسبب يرجع الى الانفتاح الديمقراطي الذي يمارسه اللبناني فكيف والحالة هذه عندما يكون اللبناني متعثرا في هذا السياق للنظر الى وضع المثقف العربي .

عندما نقول المثقف ورؤيته الى مدرسة الاندماجية علينا ان نجدد أولاً هوية هذا المثقف والعالم الذي يعيش فيه فإذا قلنا لبنان كصنورة واضحة بالنيابة عن العالم العربي لوجدنا بأن هذا المثقف قلما يركز على اختصاصه

بحيث باستطاعتنا القول بأن هنالك المثقف صاحب الاختصاص والمثقف غير المتخصص وما هي علاقة هذا المثقف بالتغيير الاجتماعي والسياسي ونظرة البعض منهم الى عملية التجميد واخيرا ما هو دور المثقف الديني في المفهوم الاندماجي التوحيدي والعلماني للاندماجية . انه من الصعب الاجابة كليا على هذه الاسئلة لأن المسألة كما قلنا سابقاً هي اختصاص ومناخ سياسي يعيش به المثقفون . وان جاز النقد فان دور المثقف هو ان يكشف جرم الصمت والجهل والتواطؤ والوصولية ان دوره هو منع الناس ان يوافقوا على ما يجب الموافقة عليه وهنا عليه ان يكون شهيداً في العالم العربي قبل أن يولد أو أن يهاجر ليكتب لغير وطنه وغير مجتمعه وبيئته .

٤ ـ ترابط المصالح الاقتصادية :

هل تستغني منطقة لبنانية عن خيرات الاخرى ؟ هل يستغني ابن الجبل عن حبوب البقاع وعكار ام يستغني ابن البقاع وعكار والجنوب عن فاكهة الجبل ؟ هل تستغني المناطق النامية عن اليد العاملة من ابناء المناطق غير النامية ، مادامت مصالح لبنان بكل مناطقه مرتبطة ببعضها البعض اقتصاديا فإن مسرى الاندماجية هو مسرى طبيعي يجب الا تشوهه لعبة السياسة دولية كانت ام داخلية .

٥ ـ الروابط بين النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية[١١] :

الرابط الحقيقي هو الشعور والانتماء الوطني الذي تفرزه مدرسة

---

(١١) For The Formation of an Amalgamated security commonity, Several condions were found to be necessary: (1) Mutual compatibility of Major values;. (2) A Distigctive way of life; (3) Expectations of Joint Rewards timed so as to come before the imposition of burdens from amalgamation; (4) A Marked Increase in political and Administrative cadabilities of at least some participating units and the development of So-called «Core Areas» Around which are Grouped Comparatively weaker areas; (6) Unbroken Links of Social Communication, both Geographically Between territories and between defferent Social strata; (7) A broadening of the political elite; (8) Mobility of Persons, at Least Among the Politically Relevant strata; (9) A Multiplicity of Communications and Transactions.

الاندماجية وبدون هذا الرابط فان « النفاثات في العقد » سوف يجعلون هذا الرابط خيطا واهيا لا يشكل حبلا وطنيا به نتمسك . ان هذه النواحي الثلاث اذا كانت منسجمة ومنسقة مع بعضها البعض على أسس دستورية ووطنية فإن التفاعل يجب ان يكون هدف كل لبناني ولذلك يجب ان تكون الشرعية بعد حرب العشر سنوات هي الرابط الحقيقي والمرجع الوحيد لكل لبناني .

٦ ـ موظفو القطاع العام :

هذا القطاع هو القطاع الساهر على مصالح المجتمع وليس على ابتزازهم وتحقيرهم ودفعهم الى الواسطة للحصول على حقهم . ان موظفي القطاع العام اذا عملوا بتجرد واخلاص لاستطاعوا ان يدحضوا مدرسة الوساطات والزعامات ويحولوا ولاء المواطن الى المؤسسة الدستورية دون اللجوء الى التزلف والوقوف على ابواب السياسيين ومفاتيحهم كما يقول المواطن اللبناني .

٧ ـ التجارة :

ان رسالة الفينيقيين لم تنته بعد فاللبناني يتقن فن التجارة ويمارسها من آلاف السنين وقد برهن على انه من اربابها . فقد فتح في عقله الماركنتيلي ابواب الشرق على الغرب والغرب على الشرق واستطاعت بيروت ان تلعب دورا حيويا وفعالا في هذا الصدد واستطاعت قبل حرب السنتين ان تجذب اصحاب رأس المال والتجار الى مكاتبها واسواقها . ان التجارة في لبنان كانت عامل تحرك انصهاري واحتكاك بشري مع أمم العالم يبث فيها وحدته وتعايشه كنموذج ومختبر جديد للانصهارية يجب على العالم ان يستفيد منه ويحافظ عليه .

٨ ـ اصحاب المصالح :

ان للبنانيين وغير اللبنانيين مصالح خاصة تتضارب على هذه الارض ولكن هذه المصالح يجب الا تتعدى المصالح الوطنية . ان دول العالم

تتحرك بدافع مصلحي ولا ترى الآخرين الا بمنظار هذه المصلحة ولا يظن لبنان ان مصلحته هي مصلحة أي فئة غير لبنانية أو أي دولة اجنبية . وما هم هذه المصالح اذا تفككت عرى المجتمع اللبناني عند مصالحها وما همها اذا اقتتل اللبنانيون ورموا وطنهم كرة في ملعب المصالح الدولية والعربية .

٩ ـ البرلمانيون :

ان مدرسة الاندماجية لا تنمو الا في جو ديمقراطي(١٢) بعيد عن الارهاب والدكتاتورية وعندما نقول برلمانية نقصد الديمقراطية والتمثيل الشعبي الصحيح كي يتحمل الشعب مسؤوليته من خلال ممثليه لأن مسؤوليات الوطن جسام وليس باستطاعة شخص أو فئة واحدة تحملها لذلك يترك الامر للشعب بواسطة البرلمانيين ليعبروا عن رأيه ويتخذوا المواقف بالنيابة عنه . ولو اخذنا في الوقت الحاضر البرلمان اللبناني لوقعنا في المتاهات ولوجدنا أن هذا المجلس ليس مصباً للاندماجية التي نتوخى ونريد .

١٠ ـ الرؤية الاجتماعية للناس :

الاندماجية ليست حالة مجمدة ولا حالة ثابتة بنظر الذين توصلوا اليها انما هي حركة دائمة وقابلة للتطور والعناية(١٣) . فقد حدثونا عنها في لبنان منذ مئات السنين وكأنها ثابتة بصيغة التعايش . وادخلوا في عقول الناس الرؤية الحالمة بهذه الصيغة التي بنيت على العاطفة وعلى وفاق السياسيين دون ان ترتكز على ايمان افراد المجتمع بهذه الصيغة . فالحقيقة انها كانت حالة مجمدة آن اوانها منذ سنين واليوم تنظر الى الشعب اللبناني ليعطيها رؤيته ويجعلها حالة ثابتة متطورة غير قابلة للتفكك والانهيار .

---

(١٢) Karl Deutsch, et, al, «**Political Community and The Atlantic Area**» P. 5 - 7. Also see E. Haas «**The Uniting of Europe**» P. 5.

(١٣) Leon N. Lindberg, «**The Political Dynamics of European Economic Intergration**» P VII.

الولاء ومفهوم الانصهارية

الولاء في عصرنا هذا ليس الا كلمة تستعمل بمفهومها التجريدي وليس بالمفهوم العقلاني والعملي .

فعند العامة من الناس بالمدلول السيكولوجي والاجتماعي تبدو فكرة الولاء المطلق أو الولاء « المغلق » عقيمة عند البحاثة في هذا الحقل لتعدد العوامل التي يتأثر بها الفرد والجماعة ، تربوية ، عشائرية ، اقتصادية ، اجتماعية أو سياسية .

ان امتداد الولاء عبر حقائب التاريخ نشط في العائلة البيتية ثم نما في العرق العشائري والنسبي ذلك الذي جعل ابن خلدون ينعت العرب بأنهم عصبيون وعشائريون ينتمون الى عصبيتهم وتسلسل عرقيتهم وقد نقشوا تاريخهم بمعلقات الفخر النسبي وافعموها بقصائد المدح والهجاء التي تتسم بالطابع القبلي :

اذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا
أو « وإذا مات منا سيد قام سيد » .

ان عوامل الحسب والنسب بقيت تتفاعل حتى يومنا هذا وتتحكم بعقلية المجتمع وتدفع بابنائه للتغني باصالة الانتماء العشائري أو العائلي ، وكم تسمع في الوطن العربي بأن الطفل أو الرجل الذي لا يعرف اسماء

اجداده السبعة فهو ليس بأصيل بمعنى العظامي الذي يفخر بأهله واجداده عكس رجل القرن العشرين الرجل العصامي الذي يفخر بنفسه ومدى تحصيله وتفوقه الفردي في مجتمعه . حتى ان عامل الزواج لامرىء لا تحمل عائلته حسبا واصالة حتى ولو كان ميسورا ومثقفا فإنه امر غير مرغوب فيه في عالم توصل ابناؤه الى القمر وربما في اقرب وقت الى المريخ ولسنا ندري أي كنز من كنوز الفضاء يحاولون اكتشافه في المستقبل القريب .

كل ذلك يرجع الى عوامل ايمانية تتكون عند الفرد والجماعة بدوافع عاطفية وروابط عائلية مستمدة من مكنون العادات والتقاليد التي تغيرها الأيام لأن التغيير يرجع الى تغيير في العقلية والتربية عند الاكثرية من ابناء المجتمع حتى أن هذه العوامل لا تسمح للمنطق ان يحكم في هذا الصدد الا عند الفئة الواعية العاملة لترجمة وتطوير معنى الولاء من مفهومه التجريدي الى مفهوميه العملي والعلمي . تطويره من مبادىء الالتفاف العائلي والعشائري الى الانتماء القومي والولاء الوطني بمفاهيم الانسان المعاصر والمتحضر وهذا يتطلب مدرسة جديدة من الوعي القومي والمفاهيم الحضارية والأخذ بعين الاعتبار السببية الدافعة في هذا الشأن .

اولا ـ عبر حقائب التاريخ نجد ان الولاء يبدأ بالانتماء الجماعي . فالفرد لا يجد نفسه الا شاذا بنظر الجماعة community اذا لم يتكيف وينضوي تحت لواء العاطفة الجماعية التي تقررها البيئة التي يعيش فيها . فكم كان من أناس ثائرين على هذه العاطفية الجماعية الرافضة للقياس والعقل وهؤلاء هم المفكرون والسياسيون الذين عزلتهم بيئتهم في حياتهم وعبثت بدعوتهم ومجال تفكيرهم ولكنها بعد ردحات زمنية سوف تعود الى قيمتهم والقيم التي آمنوا بها وجبران الكافر في حياته وبين قومه اصبح جبران المفكر تقرأ كتبه في الغرب وتسجل على اسطوانات للإستماع اليها بدل الموسيقى ، أما في بلده فإن احترام مخلفاته الفكرية عند الاكثرية من

الناس لا يرجع الا لكونه كان لبنانيا ويحمل الهوية اللبنانية وليس لكونه جبران الثائر وزارع مدرسة الرفض للطائفية وتجارها والعاملين من شأنها وقد أتت احداث لبنان احداث الفتنة الطائفية البغيضة ملتقية مع رؤيا جبران وتصوراته لنتائج ما زرعه الاستعمار من طائفية وفتنة كانت حصيلتهما دمار هذا البلد وتوسيع رقعة العفن الطائفي[(١)] .

ثانيا ـ الانتماء الفردي والجماعي لم يأت صدفة تاريخية انما له روابط المحبة والشغف للبيئة التي فطر عليها الانسان ليس لكونها مجموعة بشرية على بقعة جغرافية محددة لها مزايا فيزيولوجية وإثنولوجية ودينية ، بل لأنها تشاركه التراث والمبادىء الخلقية والنظم الاجتماعية التي تشكل طريقة حياتية معينة .

هذه الطرق الحياتية لها مقاييس التفاهم والاحترام لمصادر قانونية اقرها ابناء المجتمع سياجا ودرعا ضد المخالفين والمشاغبين ليضمن المجتمع لنفسه عدالة اجتماعية ، سياسية واقتصادية تخول له استمرارية العيش في مناخ غير فوضوي بعيد عن شريعة الغاب وذئابها لأنه في اي مجتمع كان عندما تنفرط عدالة القانون مهما كان نوعه وصيغته وتنهار اصالة تنفيذه تتفكك عوامل الاستقرار والانتماء والولاء لتبدأ حقبة الصراع والحرب ، وهذا يرجع الى امرين إما عدم التقيد بالقانون لأن منفذي القانون قد أساؤوا تطبيقه بأحكام دكتاتورية تتماشى مع شهواتهم وغرائزهم من كبت لحرية الفرد والجماعة الى تجريدهما من حقوقهما مهما كان

---

(١) For An Explicit Attempt To Trace how the international political processes of A society Paralleled Developments in The International system over A century long Period, see J. C. Hurewitz, «Lebanese Democracy in its International setting» in Leonard Binder (ed), Politics in Lebanon (New Yorkiwiley, 1966) and Especially the Table Entitled, «The Growth of Lebanese Democracy. And its Interaction with Changing Regional and International System, on PP 236 - 7 However Dr. Hurewitz did not Conduct his Research at the Present time where Lebanon is Going Through civil Strife Because of many variables in Linkage Politics and Political Loyalties.

نوعها . واما ان تكون الانتفاضة ضد القانون والشرعية لأن وضع هكذا شرعية وهكذا قانون يتنافى مع آمال واهداف الفرد والجماعة وقد ثارت المسيحية المسالمة الداعية للمحبة والوئام والغفران على شرعية النظم الكافرة بشخص نيرون واحرقت روما المدنية في عصرها ، كما ثارت من قبلها اليهودية على قانون طغيان فراعنة مصر وجاء الاسلام ليدمر اصنام مكة ويمزق الرسول محمد عرف الكفرة وقانون الصحراء المهترىء ليحمي ويحافظ ويعمر مهد « بيت ابراهيم النبي » ويمجد قبله مكة ويعطيها نفحات رسالته السماوية ويحررها من قانون القهر ووأد البنات . وثار الغرب على شرعية النازية والفاشستية وحكامها ، ويثور العالم اليوم بأسره على « شرعية » الصهيونية ودعاتها المتعنتين وشرعية أي نظام يهضم للإنسان حقه وكرامته وحريته .

ثالثا ـ ان وصال روابط الانتماء قد تتعثر وتتشنج تحت مناخ نظام سياسي معين تبدأ بتعقدات وتكوين الرجل المادي في القرن العشرين واندفاعه في سواقي البعد المادي ليأخذ اكثر من حقه في البيئة التي هو منها (ما اتخم غني الا من مال فقير) ويكون بذلك قد حرم مواطنه من حق له . وهذا لا يقف على ارض التجمع الوطني فحسب ، بل يتعدى ذلك الى النظام العالمي القائم بين مجتمع ثري وآخر فقير وهذا ما نبّهت اليه الكاتبة الانكليزية « بربارا وارد » في كتابها « الدول الفقيرة والدولة الغنية » اذ انها ترى ان على الدول الغنية ان كان غناها يرجع الى تفوقها البشري تقصد من ناحية الطاقة البشرية المتوفرة من اختصاص في الحقل الصناعي لاستثمار الطبيعة واستخراج مكنونها او من ناحية الصدف الطبيعية في ان تكون هذه الدولة او تلك غنية لما تخبئه طبقات الارض من كنوز تخدم وتتلاقى مع متطلبات انسان اليوم . فعلى الدول الغنية وخاصة العربية منها تقديم المساعدات لدول افريقيا وآسيا لتنعش من وراء ذلك اقتصاد العالم الثالث وتنعش من وراء ذلك الانسان المقهور والمحروم في

غياهب افريقيا وتخطو معه في مضمار التخلص من الفقر والحرمان ، وبهذا يعود الانسان لاعطاء ولائه لانسانيته ولأخيه الانسان . وقد فسرت الصهيونية العالمية بأن خطوة الدول العربية بهذا الشأن بأنها بحت سياسية ودينية وليس لها أي بعد انساني ، فمن الناحية السياسية هي تطويق اسرائيل بحزام اقتصادي من الدول العربية والافريقية في الشرق الاوسط والوقوف في وجه نشاطاتها الصناعية والعمرانية في القارة الافريقية . ومن الناحية الدينية فإن تفسير الصهيونية لهذا العون للدول الافريقية هو حزام اسلامي في وجه اليهودية ، وقد فسرت الماركسية ايضا بأن التطوع لاعطاء هذه المساعدات هو ايعاز من اميركا كي توفر على نفسها هذا العون وتجعل طرفا ثالثا يتحمل هذه الاعباء بالنيابة عنها لأنه بالنهاية يصب في خدمة الامبريالية وامتيازاتها في الشرق الاوسط وافريقيا ، ولم يستطع الديالكتيك الماركسي ان يبارك الخطوة العربية حتى ولو من الناحية الانسانية . وهنا لا فرق بين ما تفصح به الماركسية وبين ما يكتبه « هانز مورغانثو » الاستاذ الاميركي اليهودي المجند نفسه للدفاع عن الرأسمالية وتبنيها في كتاباته السياسية . انه يرى بأن المصالح القومية على أي افق من افق الوحدات الاجتماعية المتفرقة ان كان ذلك وطنا ، امة ، فدرالية او قارة فإن عدم انتماء وولاء هذه الوحدات الاجتماعية الى بعضها البعض وتفرقها الى وحدات عدائية لا يرجع الى كونها تختلف كوحدات تاريخية وعرقية لها الفواصل الزمنية والتعقدات الاتنولوجية والدينية واللغوية بقدر ما هي تعقدات النهم المادي عند الفرد الذي تتبناه المجموعة وتنجرف معه في سياق التحصيل المادي على حساب بقية المجموعات فإن كان هذا هو الأمر فإن الخطوة العربية لتخفيف حدة النزاعات الافريقية بتمزيق الغلاف المادي هي خطوة ومبادرة جيدتين تساعد الدول الافريقية لتخطي هذه العوامل المادية لتبدأ حلقات التماسك والتعاضد اللذين يعطيان الدول النامية ولاء وانتماء لبعضها البعض دون التسكع على ابواب الدول الغنية لتحصل على مساعدات مشروطة ودون الوقوف على ابواب اسرائيل التي

كانت دائما ودوما تطوع نفسها بالوعود الفارغة للدول الافريقية في سبيل تصنيعها ورفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي .

الاندماجية الاقليمية والدولية :

دور المنظمات الدولية والاقليمية في استقطاب الولاء :

اذا كان هنالك بين مجتمع وآخر جدار يفصل هذين المجتمعين عن بعضهما البعض ولا يسمع احد بالآخر فإن هذين المجتمعين لا يتحابان ولا يتباغضان وكذلك فإن الفرد لا يحب ولا يكره انسانا لا يعرفه ولا يسمع به ولكن عند ذلك الجدار وازالته تبدأ حلقة من المحبة او حلقة من الصراع . ان عوامل الاعلام Mass Media Communication وعوامل التلاقي والتخالط البشري بين الشعوب Social Communication خلقت ما نقرأه ونسمع عنه في الشؤون الدولية والسياسية العالمية من خلافات وصداقات ، معاهدات وتحالفات بين مجتمعات وقوميات مختلفة [٢] . من هنا كانت التطلعات نحو المنظمة الدولية الأم « هيئة الامم » لتكون مصب الولاء الاكبر لأمم الارض تحكم بينهم وتعمل على تأدية رسالة السلام العالمي في حل مشاكل الدول ضمن ميثاق مخطوط وتزيل عوامل البغضاء والحروب . كما انه ينبثق عن هذه المنظمة الأم منظمات اقتصادية وثقافية وانسانية لتساعد ابناء البشرية وتخطو معهم في مضمار التقدم والعمران . اما الآن فإن النية تتجه عند المفكرين في السلام العالمي على تحويل هذه المنظمة الى دولة

---

(٢) Karl W. Deutsch «The Impact of Communication. Upon Internation Relation Theory in Abdul Said, ed, Theory of International Relations: The Crisis of Relevance (Englewood Cliffs, N. J: Prentice Hall 1968) P 75.

Karl Deutsch Quoted in His Book «The Nerves of Government» New York the free Press 1964) P. 77 the Following views:

The Existence of social science is based on the ability to treat a social group as an organization and not as agglomeration. communication is the cement that makes organizations. communication alone enables a group to think together, to see together and to act together. all sociology requires the understanding of communication.

عالمية تخط دساتير وقوانين الامم وتفرض شـرعيتها بقـوة السلاح على الجميع حيث لا يكون هنالك امتيازات لدولة على اخرى وبذلك يسود القانون الدولي مدعـوما بـولاء الأمم ويخط سيره في خـدمة المجتمـع الانساني .

اما من الناحية الاقليمية فقد سبقت اوروبا غيرها من القارات ففي سنة ١٩٥٢ انشأت بعض الـدول الاوروبية الجمعيـة الاوروبية للفـولاذ والغازات European Coal and Steel Community حيث اشترطت الدول الاعضاء ان يكون التعامل اقتصاديا بحتا تتساوى فيـه هذه الـدول امام المحكمة تحت مظلة القانون المرسوم للجمعية . وما ان تم نجاح هذه الجمعية حتى تبادر لذهن الاوروبيين انشاء السوق الاوروبية المشتركة(E. E C) سنة ١٩٥٧ حيث يتجه ولاء الفرد اقتصاديا بحيث تستفيد الدولة العضو من انتاج الدولة الأخرى دون فرض التعريفة الجمركيـة وتكون السـوق الاوروبية بذلك عامرة بجميع ما تنتجه الدول الاعضاء وتساهم في زرع نواة التضامن الاوروبي فبدل ان تكون الامة الاوروبية التي كان يرنو اليها ديغول وغيره من قادة اوروبا كانت الوحدة الاوروبية التي يصب بها الفرد الاوروبي ولاءه من الناحية الاقيصادية حيث انه يفيد ويستفيد ويكسر بذلك طوق العزلة الاقتصادية والمضاربة التجارية الخاسرة ، والأهم من ذلك هو ان يكـون المصب الاقتصادي الأوروبي مصبـا اقتصاديـا يستقطب ولاء المكافأة الاقتصادية التي ربما يفيض عن هذا المصب الاقتصادي يحدث ولاء سياسيا يتمم للحالمين بالأمة الاوروبية هدفا اليه يسعون ومن اجله يعملون بالطريقة العلمية المدروسة ، ففي سنة ١٩٦٣ زاد الدخل العام للدول الاعضاء في السوق ٢٦ ٪ وزاد الدخل الصناعي ٤١ ٪ قابل ٣٣,٥ في الولايات الاميركية المتحدة . فمن وراء التعامل الاقتصادي والتنسيق يشعر الفرد الاوروبي بأن ولاءه السياسي ممكن ان يلتقي مـع احلامـه الاقتصادية دون عقد الخوف وتشنج الانتماءات القـومية بعـد ان يكون

احتكاكه وتعامله الاقتصادي مولدا لولاء سياسي أوروبي تنجم عنه اوروبا الواحدة وليس الوحدة الاوروبية الاقتصادية (٣) .

لقد حاولت افريقيا ان تخطو طريق اوروبا فانشأت بعض دولها جمعية التعاون الاقتصادي لدول افريقيا الشرقية East African Economic Community ففي بداية المطاف بدأت كينيا وتانزانيا وأوغندا سنة ١٩٦٧ وتبعتها زامبيا واثيوبيا وبورندي وصوماليا ، وقد ركزت هذه الدول على ان يكون التعاون الاقتصادي الافريقي على نسق السوق الاوروبية المشتركة ، وقد اقرت الدول الاعضاء البنود العريضة لهذا الاتفاق :

أولا ـ احياء القطاع الزراعي في بناء السدود والاستفادة من مياه الري والتخطيط الفني للمدى البعيد .

ثانيا ـ ايجاد بنك الانماء والاستفادة من توظيف القروض في الناحية الصناعية والزراعية والعمرانية .

ثالثا ـ الخطوات المطلوبة في المستقبل لتوحيد الاقتصاد والغاء التعريفة الجمركية والاستفادة من تنويع الانتاج كي لا تصبح المضاربة هدامة بين هذه البلدان . ان عدم نجاح الدول الافريقية نتج عن عدم التعاون الحقيقي لأن الصراع السياسي فيما بينها قد طغى على عامل التعاون الاقتصادي عكس ما حصل في السوق الاوروبية المشتركة التي ابقت التعامل الاقتصادي والتجاري بعيدا عن النزاعات السياسية . ففي السوق الافريقية بدأ الخلاف بين رؤساء هذه الدول على صيغة الحكم فقد كانت تانزانيا تتبنى مبدأ الاشتراكية وتكيف سياستها ارضاء للصين كي تحصل على المساعدات ، بينما كانت كينيا تتبنى النظام الرأسمالي وتشهد هذه الفترة بالذات في هذا الصدد ما جرى بين زائير وانغولا . . .

---

(٣) See the work of Ernest Haas and especially, his article the Uniting of Europe, and the Uniting of Latin America in the Journal of Common Market Studies, V (June 67).

ان عقدة الخلافات الأيديولوجية قد سيطرت على التعاون الاقتصادي الافريقي المنشود المرتجى من ورائه بناء الولاء الاقتصادي الذي ينبلج عنه الولاء السياسي الذي يحقق للوحدة الافريقية آمالها . اما في العالم العربي فالأمل ان نفهم معنى الولاء بغير الكلمات الرنانة ونبني صرح التعاون الاقتصادي على نطاق السوق الاوروبية المشتركة بعيدا عن الصراعات السياسية كما حصل في افريقيا وننتهي من وراء اللحمة الاقتصادية الى التنسيق السياسي والولاء العربي المطلوب الذي ينشده طلاب الوحدة العربية .

دور المؤسسات الدستورية في استقطاب الولاء :

المؤسسات الدستورية في القرن العشرين اصبحت البديل في استقطاب الولاء القومي حيث بدأ الانسان المعاصر في وطنه يحاول التخلص من الولاء العامودي للأفراد الذين سلطوا انفسهم بعامل الوراثة والانتماء لأمجاد آبائهم واجدادهم وعززوها باقطاع مادي وهيمنة على مؤسسات ومصالح الدولة . ومن وراء هذه الهيمنة يتلاقى اقطاع هذه الفئة او تلك مع بعضها البعض في حالات السلم كما في حالات الحرب .

ففي حالات السلم يتقاسمون الغنائم ويوزعونها على ازلامهم ومواليهم . وفي حالات الحرب يحاولون الخروج كمنتصرين ومفاوضين باسم المجموعة الوطنية . ففي الحرب الاهلية اللبنانية افرزت الاحداث بعض القيادات الغوغائية التي كانت تخدم الاقطاع السياسي بطريقة غير مباشرة لأن هذه القيادات قد غاصت في متاهات الخطية والعبث بالاخلاق والقيم الانسانية حتى تراءى للمواطن العادي ان الاستزلام للاقطاعيين السياسيين اهون عليهم من الغوص في اودية الظلام مع فئة لا علم لها ولا شأن بمفاهيم القيادة وتوظيفها في خدمة المواطن ليتخلص من اجحاف لحق به وظلم طغى عليه . ففي كلتا الحالتين فإن هذا لا يعد ولاء موضوعيا انما التحاقا واستزلاما .

فالولاء الموضوعي لا يلتقي مع اللاعقلانية Irrationalism لأن نوعية هـذا الولاء يجب ان تلتقي مـع اهداف وآمـال الجماعـة في المؤسسة الدستورية التي اوجدتها المجموعة الوطنية لخدمة الفرد والجماعة حيث يصب بها الفرد الولاء ومن وراء ذلك تدر عليه هذه المؤسسة الخدمات دون ان يشعر المواطن بأن لأي فرد في هذه المؤسسة فضلا انما ليشعر بأنه يحصل على حق له زرعه في ولائه وخدمته للمؤسسة ليقطف ثماره دون ان يطأطىء الجبين، والقيمين على هذه المؤسسات لا فضل لهم ولا تكرماً منهم القيام بواجبهم المطلوب في خدمة المؤسسة التي يرجع فيما تؤديه خدمة للوطن وابنائه . وعلى النخبة ان تكون دائماً بالمرصاد كي تنور الرأي العام وتخاطب القادة المسؤولين .

فليس الولاء لاقطاب او زعماء في السلطة التشريعيـة بل للسلطة التشريعية كمؤسسة دستورية والعضو الذي يبرز لامعـا من اعضاء هـذه السلطة هو الذي يبرهن انه يحافظ عليها كمؤسسة ويعمل على تطويرها لتكون انجع بتقديم القوانين في بنود تشريعية تخدم الوطن والمواطن . الولاء ليس لرئيس السلطة التنفيذية بل السلطة التنفيذية كمؤسسة . لقد برهن الشعب الأميركي بقضية « ووترغيت » بأن ولاء الاميركيين لرئاسـة الجمهـورية كمؤسسـة وليس لرئيس الجمهـورية الـذي يكن له الشعب الاميركي كل الاحترام والوقار مادام يرعى شؤون هذه المؤسسة حسبما ينص دستورها وقوانينها ، فالرئيس نيكسون كان المع الرؤساء الاميركيين خاصة ومع ذلك فقد انتصرت المؤسسة واستقال من منصبه .

النظريـة الديناميكية للنظـام الدولي

بقدر ما يحصل التغيير الضمني والعلني في شؤون دولة ما ، او رجل يقود هذه الدولة بقدر ما تستطيع العوامل الداخلية والخارجية ان تؤثر على التوجيه والوضع العامين اللذين بدورهما يمليان التغيير . بمعنى آخر ان درجة الحرارة السياسية للانتقال من موقف لآخر تظهر نسبيا على تصرف القادة الذين يقعون تحت وطأة معلومات وحسابات رياضية يعتقدون من ورائها ان التغيير بالنسبة لهذه المعطيات هو لصالح بلدهم وشعبهم .

إن المعادلة السياسية بالنسبة للتغيير تأخذ بعين الاعتبار الموازين الآتية : اذا كان تأثير طرف ألف على طرف باء يساوي درجة معينة من الحرارة السياسية فإن التغيير الحاصل على طرف باء يعادل مقدار التأثير المسلط عليه كما هي الحالة في الحركة الميكانيكية . ان معدل الضغط على دفع بعض أدوات المحرك الميكانيكي لإعطاء سرعة معينة يفرض علينا ان نجد ان الادوات الاخرى للمحرك يجب ان تؤدي الى التغييرات الاتوماتيكية بقدر تحرك الادارة الرئيسية في المحرك . اذا لم يحصل ذلك فيتبادر للذهن رأسا بأن عطلا وشللا للحركة لا شك حاصل ، على وجه المثال تحرك اية قوة عربية (دولة او دول) كأداة رئيسية في موضوع النزاع العربي ـ الاسرائيلي على أساس هذه النظرية، فإنه باستطاعتنا القول بأن عوامل التغيير يجب ان تكون بقدر قوة الدفع القيادية والجماهيرية وان أي

عطل في الحركة ، ربما يوصل الى تعطيل الحركة ككل(١) .

ان نظرية غاليلي في الحركة هي دليل علمي على صحة مجرى الحركة . فاذا ترك جسم ما Body لحالته الطبيعية للتحرك في الفضاء فإن سرعته تبقى منسجمة ومتزنة مع سياقها الطبيعي . وأي تغيير داخلي في هذا الجسم يغير الاتجاه والمسرى المرتقب . كذلك أي تعارض لهـذا الجسم من الناحية الخارجية يعطي تغييرات ملموسة بقدر قوة التعارض . ان مركبات الفضاء عندما تترك الحزام الهوائي وتبعد عن جاذبية الأرض الى الفراغ المطلق فإن مجراها سوف يبقى في السياق الطبيعي الا اذا وجدت تغييرات داخلية في المحرك او تصادمت هذه المحركات مع جسم آخر وعلى نفس السياق النظري اذا كان في نظرية غاليلي للحركـة او النظرية السياسية فإن درجة التغيير يجب ان تكـون بقدر قـوة الدفـع أو التصادم(٢) .

الادراك الفعلي والعلمي هو ان قاموس الطبيعة يبقى على وضعه الخاص وقد ترجم ذلك ارسطو الى القاموس البشري بقوله : « ان الانسان حيوان سياسي » وهو في حالة تحرك مع الطبيعة وتفاعل مع الآخرين . كذلك المجتمعات والدول . اذ ينشأ عن ذلك الجدلية الكلاسيكية في القانون الدولي اذا كان هذا القانون قد وجد قبل الجماعة البشرية أو أن الجماعة قد اوجدت هذا القانون . العرب يقفون مع القانون الدولي الأزلي الذي من شرعية بنوده يطالبون بحقهم المطلق . ان العلم الحديث يدل ويعد التجربة المرة التي عاناها العرب وغيرهم من الدول النامية نتيجة الصراع الدائم بأنه ليس هناك قانون طبيعي ازلي بل هناك قانون دولي ارتأته القوى الكبرى لخدمة امنها وأوضاعها ومصالحها الزمنية الحق المطلق

(١) See Stanly Hoffmann «International Relations: The long Road to Theory» world politics XI (April 1959) and also See Claude, Inis, Power and International Relations, New York Random House, 1962.

(٢) Herz, John International Politics in the Atomic Age, Columbia University Press 1959.

لم يعد إلا تعاقدا قابلا للتغيير حسبما ترتئيه السياسة الدولية وتفاعل الامم بعضها مع البعض الآخر[٣] .

وما دام التفاعل قائما بسنة الطبيعة البشرية فإن منظمة ما يجب ان تنشأ عن هذا التفاعل بين الفرد والسلطة . وبذات المعيار نرى انه بحكم التفاعل الدولي يجب ان تكون هناك هيئة دولية ، وقانون دولي . ولكن شرعيتها تأتي من التفاهم السلوكي Behavioral Understanding بين الكبار وليست من مشيئة الدول الصغيرة وحقها حسبما تدركه مؤسسة القانون الدولي الكلاسيكي .

ان هرمية النظام الدولي تشكل حركة السياسة الدولية وأي واحد (دولة) من اركان هذه الهرمية تصلح ان تكون عامل تحرك يؤثر على بنية الوحدات في التركيبة العالمية ، ويرى بعض المحللين والأكاديميين بأن هذا التأثير على بقية دول النظام يبقى منوطا بقدر التفاعل والارتباط بالقوى الفاعلة في تيارات السياسة الدولية[٤].

ان عوامل التحرك من قبل دولة ما ، دون الرجوع الى سببية هذا التحرك ، تؤدي الى الاستنتاجات التالية :

١ ـ ان يصطدم هذا التحرك بحركة اخرى ولا شك بأنه اذا حصل ذلك فإن تصارعا سوف يبدأ وهذا الصراع سوف يملي صيغة مختلفة الانعكاسات الضوئية على الهرمية العالمية في التعاطف السياسي مع الوحدات المتحركة او التعارض الذي عادة ما يحصل . اذا والحالة هذه فإن التحرك في الفلك السياسي العالمي فيها تساوق وتصادم مع بقية

(٣) The Industrial revolution has produced a new understanding of International law in both negative and positive effects in that field. For more details See mainly Friedman, Wolfgance. «The changing ctructure of International law», New York: Columbia University Press 1964 and also Kelsen, Hans Principales of International Law (2nd dition) New York Holt, Ruehart and Winston 1966.

(٤) Talcott Parsons and Edward A. Shils (eds) Toward A General Theory of Action (New Yorkiharper and Row 1962) P. 53.

الوحدات الدولية ، بمعنى ان قسما معها وقسما ضدها . وهنا يبدو لنا ان ملامح الصراع قد تبرز بين الوحدات الرئيسية التي تشكل قمة الصراع المتكامل لأنها تدعم نفسها بالوحدات المساندة لها والمستندة عليها(٥) .

أزمة الدول الصغيرة والنامية وخاصة الدول العربية أنها تقع في أتون الصراع والمصالح الدولية.

٢ ـ اذا كانت كل الوحدات تعارض الوحدة (الدولة) المتحركة فإن حالة التجميد هي محصلة التفاعل كما هي الحالة في الدول المقسمة مثل المانيا وكوريا وغيرها من الدول بينما هي في حد ذاتها تشكل وحدة اممية بتركيبتها التاريخية والجغرافية والاجتماعية والتراثية . وهذا ما يرفضه العرب الا وهو الا يقعوا في حالة التجميد الدولي بمعنى حرب شرق اوسطية لا يسمح النظام العالمي ولا المقدرات العربية ان ينتصر بها العرب . كذلك الخروج من حالة اللاحرب التي اصبحت عبئا على كاهل دول المواجهة(٦) .

٣ ـ اذا كان التحرك في تساوق متكامل مع جميع الاطراف وخاصة القوية منها فإن هذا التحرك قد ينتهي في سدرة إلسلام العالمي في الشرق الاوسط(٧) .

هذه العوامل الثلاثة هي لحد ما الحتمية التاريخية المنبثقة عن منطق الواقع بينما هي في واقعها منفصمة عن منطق الحق المطلق في زمن يعتبر فيه من يتجاهل الواقع غير علمي ولا يستطيع ان يتعاطى السياسة كفن ممكن .

كثيرون من المحللين والاكاديميين يرون بأن منطق القوة يسود لعبة

---

(٥) Mortion Kaplan, System and Process in International Politics (New York: John Wiley and Sons 1962) P. 4 - 5.

(٦) Fred Khoury; The Arab Israeli Dilemma Syracuse U. Press 1968) PP. 317- 318.

(٧) Ibid. PP. 346 - 355.

النظام الدولي وهذا ليس بجديد فمنذ ما بدأ الانسان يتعاطى شؤون الأمة والمجتمع وعلاقتهما مع الآخرين ، بدأ يصطدم بواقع الحالة الراهنة التي هي من صنع ومشيئة الدول القوية أو ما يسمى بالامبراطوريات والمصالح الدولية، فكان التعاطي ومن البداية مبنياً على المصالح القومية فمن الاستعمار الذي كان ينشد الثروة الى لعبة الامبريالية (التي هي اقل التكاليف) في عصرنا الحاضر والمحافظة على مكاسب اكثر من خلال السيطرة بالواسطة من خلال تحركات متعددة الوجوه ومعادلات تفرض صراع اخرين لمصالح الكبار . فلو اخذنا الغريزة البشرية من الناحية الواقعية لوجدنا بأن ترابط التجار والاقتصاديين بعضهم بالبعض الآخر هو امتن اذا كانت أسسه مبنية على مصالح تهم الاطراف المتعاملة فيما بينها لأن الافادة قائمة بالنسبة للجميع ولو نسبيا ولو اخذنا مقابل ذلك الاكاديميين فلا نجد بينهم إلا روابط فكرية أو اجتماعية وقلما تكون متضاربة ولا تجمعهم مصالح مادية أو مصلحية . فبعض الدراسات التي وضعت في هذا الشأن تدل على ان المصالح المادية هي دائماً أمتن بين البشر كذلك الدول . ومن هذا المنطلق نرى بأن الدول الصغيرة أو النامية كتب عليها ان تكيف مصالحها لحد ما بحيث لا تتصادم مع مصالح الكبار الا اذا استطاعت ان تلعب دورا آخر[٨] .

الدور الآخر :

النظام الدولي كما هو معروف ومفهوم هو نتيجة حرب ينتصر بها من ينتصر (من قوى) ويتربع بقدرته على رأس الهرم ولا تغير تركيبة النظام الا قوة اخرى تنتصر عليه .

لقد جرت محاولات عدة في عصرنا الحاضر بهدف القيام بهذا التغيير قابلة للبحث في عمق تحركها ، ولكن معظم هذه التحركات كانت

---

(٨) Kaplan, System And Process in International Politics, PP 22 - 23.

تصب في نهاية المطاف في تركيبة النظام الدولي فإن لم يكن ذلك في المعسكر الشرقي فحتما في المعسكر الغربي بحيث انه لم يتوفر البديل عن الجبارين .

ان التحركات التي قامت بها بعض الدول لم يكن بامكانها ان تتخطى لعبة النظام الدولي. لقد حاول عبد الناصر ان يلعب دورا قوميا مميزا ولكنه اصطدم بلعبة النظام ووجد بأن لا خيار له الا ان يكون مع احد المعسكرين ولكن آياً منهما لا يقبل ان تجسد حقوق دولة صغيرة على حساب مصالحهما المشتركة . وان كان عبد الناصر قد حالف الاتحاد السوفياتي فإن ذلك لا يدل على انه خروج عن لعبة النظام الدولي ودور الجبارين كما ان التغيير الذي حصل من قبل السادات في مصر حول الانتماء الى المعسكر الغربي لا يدل على انه خروج او تحد للنظام الدولي ما دام هذا التغيير يصب في أحد رافديه الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي .

الحرب الفيتنامية وما كان لها من اثر سياسي في العالم ان تؤثر على موازين القوى ، بل استطاعت ان توظف احد الجبارين للوصول الى اهدافها القومية المشروعة ولكن كل ذلك يبقى ضمن استراتيجية الاتحاد التي لا تخرج عن نطاق تراتبية النظام الدولي . واذا حاولنا التدقيق نجد بأن الجبارين بعد أزمة الصواريخ في كوبا تعلما بأن اللعبة يجب ان تبقى محدودة بينهما ولا يستغلها الضعفاء لضرب الجبارين ببعضهما البعض . هناك كثير من التحركات قد حصلت في اتجاه زعزعة النظام الدولي ولكن القيمين على شؤون هذا النظام استطاعوا استيعاب كل هذه التحركات والانتفاضات ونستنتج من ذلك بأن أي تحول من معسكر الى معسكر شرقي او غربي يبقى ضمن اللعبة الدولية وشروطها .

ان تغيير النظام الدولي هو كما قلنا استبدال جبابرة النظام بغيرهم . وفي هذا الشأن تمت محاولات عدة نذكر منها :

ـ الدور الذي لعبته الصين من تحالفات دولية وتحرك ايديـولوجي داخلي لم تستـطع بدورهـا وتحركهـا هذا ، ازاحـة النظام الـدولي بل استطاعت ان تؤثر على موازين القوى لدرجة معينة استطاعت من خلالها ان تحسن اوضاعها في هرمية النظام .

ـ الدور الذي قام به ديغول لاعطاء اوروبا دورها في هرمية النظام ، لم تنجح كذلك انتفاضة عدم الانحياز التي شاء مؤسسوها من نهرو الى ناصر الى سيكارنو ان يحصلوا على شيء من الاستقلالية لمعسكرهم ايضا باءت محاولتهم بالفشل لأن اعراف النظام الدولي لا تسمح بذلك .

ان اكبر تحرك يشهـده العالم اليـوم في وجه النـظام الدولي هو انتفـاضة الثـورة الايرانيـة ومنطلقـات الامام الخميني . هـذه المحـاولـة الايديولوجية وخاصة تصدير الثورة الى الخارج هي حرب على النظام ككل ولا تصب في أحد رافديه الكبيرين ولا روافده الصغيرة .

كل هذه أمثلة حول مقدرة النظام الدولي على حـل مشاكله ولـو اخذت منه الوقت والجهد المطلوبين . وتبقى الامور منـاطة بـالأحداث وحجم هذه الاحداث وتطوراتها . فإن لم تفلح كل هذه المحاولات في عملية تغيير النظام الدولي لكنها ولا شك تفلح في تهذيب طريقة التعامل ودفعها الى ما هو احسن(٩) .

نموذج لحالة تحليلية للنظرية : A Pattern to a Case Study :

كان السادات يعتقد بأنه يتعاطى فن الممكن وقد أدى تحركه الى منعطف يعتبر من أدق المراحل التاريخية التي مرت وتمر بها منطقة الشرق الاوسط . إذ احدث ارتجاجا فكريا وعقائديا وسياسيا ، ان دل هذا التحرك على شيء فإنما يدل على ان شيئا مهما وخطيرا قد حدث . وما يترتب

---

(٩) In This respect Morton Kaplan made a deep analysis of the international system and the way it functions at our time. See his research «Some Problems of International Systems Research», An Anthology (New York: Doubleday And Co. 1966).

على هذا الحدث من محصلات فانه مازال في حالة التوغل المستمر والترقب والحذر الشديدين ، لأن التساوق والتعارض قد اصبحا قائمين ليس بين اسرائيل والعرب انما تمدى ذلك الى الطرف العربي في الصراع .

ان بعض المجموعات العربية لم تجار السادات في رؤياه للعالم المحيط به ، ولم تشاركه في مناهجه الفكرية ، ولا اختياراته السياسية لأنه بنظرهم قد اجهض الثورة الدائمة المستمرة في وجه الصهيونية لتحرير الوطن المغتصب . وهناك فريق آخر من المجموعات الاسلامية المؤمنة التي رفضت زيارته لمدينة القدس بصورة خاصة حيث أدت بنظرهم الى الاعتراف بيهودية المدينة . ولم يترك مجال النقد للعاطفة الاسلامية فحسب انما تعدى ذلك الى الفاتيكانية التي تبقى القدس بنظرها طريق السلام العالمي . المدينة التي اقسم الله بها رمزا لأحد الاديان السماوية الثلاثة « والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين » التين والزيتون في القسم خص مدينة القدس مهد الرسالة المسيحية وينبوع الخلاص الانساني الذي جاء من اجله المسيح . ولكن المدرسة الساداتية ترد على ذلك بأن السادات لم يتنازل عن مدينة القدس وما زيارته لها الا تثبيت للحق العربي في المدينة .

يرى بعض المحللين ان تحرك السادات في رحلته التاريخية قد وضع العرب أمام محك القبول ببيئة غريبة عن التراث والتاريخ العربي في بنيتها السياسية ونزعتها الحضارية المقلصة بالجاذبية اليهودية والمتوسعة بالاحلام الدينية ووعود التوراة .

ـ وبنظرة موضوعية تحليلية يرى اليسار العربي والعالمي بأن تحرك السادات ما هو الا تجسيد للخط الرأسمالي في المنطقة ودعم للبنى الاقتصادية التي سوف تهيمن على الخط اليساري ، وهذا من ناحية الاحتمالات وليس من ناحية المحصلات .

ـ ان مدرسة الرفض ترى ان السادات قد مزق لنفسه وللبعض وليس

للجميع كل الكتب التي حثت الشعب العربي على النضال والتحرير وقد الغى لنفسه وللبعض كل المحاضرات والمؤتمرات التي طالبت بازالة الدولة العنصرية وابدالها بالدولة العلمانية المعاصرة وقد اتت احداث لبنان لتلغي المدرسة العلمانية التي استغلتها اسرائيل اعلاميا ، لتثبت مداميك دولتها العنصرية قبل تحرك السادات . ولم يستوعب السادات التجربة الفيتنامية حينما لم تستطع اميريكا مع كل قوتها ان تنتصر في فيتنام الا اذا اقدمت على ازالتها من الوجود باستعمال القوة النووية ولكن ماذا تكسب أمريكا من جراء ذلك سوى الدمار والخراب للغير منذ سنة ١٩٦٨ حتى نهاية الحرب الفيتنامية كانت اميريكا تصرف ما يقارب ٣٠٠٠ دولار على كل كلم مربع من الارض الفيتنامية وترمي حوالي ١٠٠ طن من القنابل على كل كلم مربع ولكنها لم تربح الحرب . انما عندما عادت عن خطأها فقد ربحت السلام وربحت فيتنام .

ويرى العرب بأن كل الاعتداءات الاسرائيلية واحتلال جنوب لبنان لا تفيدهم فقد وقفت الدول العربية مع لبنان صاحب الشأن بإلغاء اتفاقية ١٧ أيار وكان ذلك رداً صريحاً وواضحاً على اتفاقية كامب دافيد والمنحى الإنفرادي الذي قام به السادات . كما ان القنابل الاميريكية لم تفد اميريكا في فيتنام لأن الحق لا تلغيه القنابل والتسلط .

إن قرارات المقاطعة لم تكن قرار دولة عربية معنية إنما جاءت كلها بناء على توصيات الجامعة العربية بكل اعضائها . وقد جاءت هذه القرارات على ثلاث مراحل :

اولا : قبـل انشاء دولة اسرائيل حاول العرب ايقاف فترة انشاء دولة اسرائيلية فعملوا الى وسائل المقاطعة الاقتصادية ففي ديسمبر ١٩٦٥ قرر مجلس الجامعة العربية بأن على جميع العرب رفض شراء البضاعة التي تنتجها الشركات الصهيونية في فلسطين . وقد وجد مكتب يختص بهذا الشأن كي يراقب عدم تهريب الانتاج الى الاماكن العربية .

ثانيا : بعد ان ساءت العلاقات بين العرب والغرب بالنسبة للتطورات في فلسطين . ففي تموز سنة ١٩٤٦ اجتمع مجلس الجامعة العربية في جلسة طارئة وقرر : التشديد على مقاطعة البضاعة الصهيونية ، كي توقف شراء الأرض العربية ولكن دور الاعلام العربي في الغرب بالنسبة لفلسطين ضعف .

ثالثا : بعد قرار الجمعية العمومية بايقاف الحرب قامت عملية هدنة بين الدول العربية المجابهة واسرائيل سنة ١٩٤٩ وقد فسر العرب أنهم لا يزالون في حالة حرب مع اسرائيل ومن الاسلحة التي استعملوها هي سلاح المقاطعة ومنع اسرائيل من استعمال مياه نهر الاردن ـ منع اسرائيل من استعمال قناة السويس وخليج العقبة .

بعد انشاء دولة اسرائيل قامت جامعة الدول العربية بحملة مقاطعة اقتصادية ومادية وشخصية وقطع كل العلاقات وتشجيع الشركات الاجنبية بعدم التعامل مع دولة اسرائيل بأي طريقة ما .

فمنذ تأسيس الدولة اليهودية كان تحرك العرب كل العرب في تساوق بالنسبة للصراع بما يخص جوهر القضية والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . . . تحرير الارض . . . اقامة الدولة الديموقراطية التي يتعايش فيها المسلم والمسيحي واليهودي . اما حدث السادات التاريخي فقد خط فصلا جديدا في التحرك العربي . . فصلا غيّر نوعية الصراع من الحق المطلق والشر المطلق الى ما يسميه السادات الواقع العالمي المطلق . ففي علم السياسة التحليلية المعاصرة يستند البحاثة في موضوعيتهم الى تعيين الطريق بمعنى الخط المصيري وما هي السبل الواقعية لتقصير المسافة والوصول الى الهدف بأقصى سرعة ممكنة . وهنا ينبت لب المشكلة الا وهو « الهدف » .

الهدف بمنظور الرفض العربي هو التحرك الدائم لإطاحة إله الشر وتكريس شرعية إله الحق . . . شرعية الحق الفلسطيني في تقرير مصيره

على أرضه . لذلك ترى جبهات الرفض العربي ان الواقع العالمي المطلق ما هو الا قسرية مرة لإرادة الشعوب ولهذا السبب يرى ان تهديم البنية الدولية الحالية شيء ضروري لا بد منه . انهم يرون ان هذه التركيبة لا تقف على اعمدة الحق لذلك يجب تقليصها وإنشاء البنية الدولية التي يرونها في تطلعاتهم بأنها الأصلح . لكن اصحاب المدرسة الساداتية يرون ان المنطق الوضعي للعالم لا يقر بذلك الا من الناحية المثالية لأن الهندسة الجديدة لنظام جديد لا تأتي الا عن طريق مهندسين أقوياء يتحلون بالمقدرات التي اصبحت عملية حسابية اكثر مما هي نظرية .

اما الهدف بالنسبة للأنظمة التي تشكل وحدات فوقية ، أو وسطية أو تحتية في بنية النظام الدولي فإنها تتفاعل مع هذا النظام كواقع مادام هذا النظام هو الحتمية لبعض الاطراف وليس الاختيارية . فكل من هذه الوحدات تعمل للتسلق الى القمة بقدر ما عندها من طاقات وقدرات للاندفاع ، ولكنها لا تتنكر للنظام العالمي القائم لأنه يؤمن لها حق الوجود والتحرك .

شاء السادات بأنه أراد الإفلات مع العرب من جاذبية العاطفة ، والخروج من جاذبية العصبية العربية . كما ادعى بأنه تجاوز الاقلاع عن المد المكيافيلي للانظمة العربية . والانتقال الى جو حضاري متخطيا داحس والغبراء ، وتاركا عقلية عنترة وحصانه . وادعى بأنه اراد التحرر من العشائرية التي لا تثمر وقد جربها العرب مع الخصم اكثر من ثلاثين سنة . ولكن كان من الصعب على رجل حتى ولو بحجم السادات ان يتخطى التاريخ ومكنون الباطنية العربية بالسرعة الزمنية التي يشاؤها . ولو استطاع العرب هذا الاقلاع - في ظنه - لما كانت اسرائيل ولا كان العرب عرب اليوم .

اعتقد السادات بأنه يقود قيمة ثورية جديدة في القرن العشرين . يطلب السلام العادل « بقدمين ثابتتين » حسب تعبيره في الكنيست

الاسرائيلي ويغزو اسرائيل في عقر دارها بكلمات السلام التي حاربت بها العرب اجيالا واجيالا . ورأى ان قيمة ثورته الجديدة هي في المدار العالمي والاعلام العالمي لوقف اسرائيل عن اعتداءاتها واغتصابها الارض العربية . . .كان يرى أن الرأي العام وخاصة الغربي الذي يحضن اسرائيل قد تأثر منذ تأسيس اسرائيل بالأطروحات الصهيونية المنادية بالسلام وحق اليهود ان يعيشوا كجماعة فرزتها النازية والفاشستية . هذه الاطروحات تطالب ان يدفع الغرب ثمن الغبن الذي لحق باليهود وان يحتضنهم كجماعة مكونة حديثة باسم الصهيونية ليكفر عن ذنوبه وعقدة نقصه التاريخية هنا يقف العرب بصرخة ضميرية مغزاها هل يكفر الغرب عن ذنوبه ، لما ارتكبه بحق اليهود فينزلق في ذنب اعظم الا وهو حق الشعب الفلسطيني في ارضه وحياته ووجوده .

لقد كان الغرب كدول يحسب أن هنالك موقفين عربيين لكنهما بنظره متممان لبعضهما البعض . موقف الانظمة العربية المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الامم ٢٤٢ و٣٣٨ وموقف آخر يدعي الثورة الدائمة لتقليص بنيان اسرائيل . واذا كانت السياسة الكسنجرية تدعو الى الخطوة خطوة في حل النزاع خدمة لاسرائيل فإن العرب يسلكون ذات الطريق انما باسلوب آخر وباهداف مختلفة . انهم يطالبون بانسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة في حرب الـ ٦٧ كمرحلة اولى والانتقال منها الى الخطوة الثورية الاخرى لتقليص البنيان الاسرائيلي . وقد جاء السادات ليفهم الانظمة العالمية وخاصة المتعاطفة مع اسرائيل بأنه لا يريد تقويض دولة اسرائيل ، انما التعايش معها كواقع . وبهذا فقد حرك الرأي العام العالمي الراكن بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط لدعم موقفه والتيقظ للمغامرة التي قام بها . ان السادات لا يستطيع ان يعترف باسم شعب مصر باسرائيل ، فمصر هي شعب له مكنونه التاريخي العربي .

اننا لا نستطيع الدخول الى عمق مناهج السادات الفكرية الا بقدر

التكهن فاذا كان زوال اسرائيل قد لا يحتمل بالقوة العسكرية في هذه الفترة الزمنية فلربما تكون « رحلة السادات » والانفتاح العربي هو كامتصاص للعقدة الصهيونية وتذويب اسرائيل وانصهارها في المناخ العربي العام . ان عقدة النقص لا تزول بعقدة نقص اخرى انما المرجح ان تزول بتفكيك هذه العقدة والانفتاح الكلي عليها كي تدرك ولنفسها عقدة التعنت وتسلك طريق الخلاص الحقيقي من العقد التاريخية والاجتماعية . . .

انه من الصعب على العرب ان يكونوا مصحا نفسيا الا اذا تحرروا من عقدهم ، ولا يرتجى من طبيب معقد ان يشفي مريضا معقدا . وادعى السادات بأنه طبيب القرن العشرين الماهر غير المعقد الذي اقدم على اصعب عملية في العالم . انما في مصح الشرق الاوسط الذي لا تصلح ادواته للقيام بهكذا عملية ، وهنا تبقى قدرة هذا الطبيب على اصلاح الادوات بعدما اقدم على العملية دون تراجع على حسب تعبيره وقد أطلع ادارة المصح على خطوته دون البحث مع معاونيه مسبقا في هذا الصدد .

ان الطبيبين الكبيرين الولايات الاميركية المتحدة والاتحاد السوفياتي يقفان خارج غرفة العمليات لحد ما ، مع تقديم بعض الادوات ، منها ما يصلح للجراحة ومنها ما يترك المريض دون شفاء ودون استئصال الداء الرئيسي لأن بذلك خدمة لهما لبيع الدواء والمعدات التي تدر عليهما في حالة عدم شفاء المريض . وبكل وضوح نرى ان تحرك العملاقين الكبيرين في الشرق الاوسط يضع نصب اعينهما مصالحهما القومية فوق كل اعتبار . ولم يعد خافيا على احد المصلحة الاميركية في المنطقة من الناحية الاقتصادية وحاجاتها الى الطاقة البترولية من المملكة السعودية ودول الخليج العربي . ويبقى الغموض للبعض على ان الاتحاد السوفياتي يخطو خطوات بعيدة في حقل التصنيع بمساندة بعض الشركات الاميركية وسوف يحتاج الى النفط في الثمانينات وعليه ان يفتش عن المصادر . هل العراق هو حلم الاتحاد السوفياتي بما يخبيء هذا البلد في مكنون تربته من كمية

بترولية هائلة وهي بنظر بعض الخبراء تعادل الاحتياط السعودي ولكن ليس بنظافته ، ان بعض الدراسات تدل على ان هناك بئرا بتروليا يبدأ من بغداد وينتهي في البصرة ولم يستثمر بعد وتبقى عملية الامتيازات شأنا سياسيا اكثر مما هي شأن تقني واقتصادي .

يقف العرب اليوم على منعطف تاريخي خطير . ان تدارك هذا المنعطف والعودة الى ارادة عربية موحدة في وجه التيارات التي تعصف بهم وبأرضهم . ولا يجوز ان يكون تحركهم في معقل التضارب والتصادم بل التساوق والتضامن في مواقفهم السياسية . لقد خص الله الشرق الاوسط بأجل وأسمى ما عنده من وحي ليتحرك فاتحا ابوابه على العالم بنفحات الاخلاق المضخمة بأريج الأمل والإيمان للإنسان أيا كان وللعالم كله . ان يتحرك هذا الشرق وتكون ثروته النفطية متممة لرسالته الانسانية والمبتغى ، وهو التحرك الطبيعي الذي يتساوق مع طبيعة الرسالة .

ولو كان في نيته الاعتراف الفعلي باسرائيل لكان عليه ان يدرك ان الاعتراف يتم على عدة وجوه . منها ما يحصل تجاوبا مع الشرعية الدولية De Jure ومنها ما يحصل بحكم الواقع Epso-Facto بمعنى انه قائم بذاته ، وتأخذ هذه المرحلة من الاعتراف الطابع الاعلاني والبياني ومنها ما يحصل أيضاً بحكم De Facto اعتراف كامل وهذا النوع من الاعتراف يعد اعترافا شاملا لا جدل حوله .

ان المقاييس الدبلوماسية والعرف القائم بالنسبة للاعتراف هي :

أولا : عندما يقوم بلد ما للاعتراف ببلد آخر فانه يصدر تصريحا رسميا في هذا الصدد .

ثانيا : يصار الى التبادل الدبلوماسي .

ثالثا : وضع المعاهدات والاتفاقات والتبادل التجاري والثقافي الخ .

رابعا : الاعتراف بالرمز الوطن للدولة المعترف بها ويقصد من ذلك العلم الذي يجسد السيادة الوطنية .

اذا اخذنا حالة مصر واتفاق ، كامب ديفيد ، فإننا لا نجد أنها تنطبق على شيء اسمه « اعتراف » بل كان ذلك هوس « ساداتي » في اللعبة الدولية . هنا يجب لفت النظر الى ان هنالك فرقاً بين الاعتراف بحكومة ما ، والاعتراف بوطن «State» الاعتراف بحكومة بسبب تغييرات في الحكم اصبح شيئا ملموسا ينص عليه القانون الدولي في حق تقرير المصير واختيار النظام الذي ترتئيه المجموعة الوطنية . لقد انتقلت فرنسا من سنة ١٧٩١ الى سنة ١٨٧٥ من ملكية الى جمهورية الى امبراطورية ، ثم الى ملكية ، الى امبراطورية ثم الى جمهورية ولكنها لم تفقد صفة الاعتراف بها كأمة تتفاعل مع النظام الدولي والقانون الدولي . كذلك الاتحاد السوفياتي فقد تغير النظام الامبراطوري في ثورة البولشفيك سنة ١٩١٧ ولكنه لم يفقد (الاتحاد السوفياتي) صفة الشرعية الدولية مع ان الولايات المتحدة بقيت متحفظة بحق الاعتراف الى سنة ١٩٣٣ . وكثيرا ما حصلت هذه التغييرات في الدول النامية :

ان الاعتراف بوطن أو أمة جديدة فإنه قلما يحصل في وقتنا الحاضر وفي حالة حصوله فيجب تحديد مفاهيم هذا الاعتراف على انه أساسي وله معطيات الوطن Constitutive Recognition . هذه النوعية من الاعتراف على صفة معينة على صحة اتحاد عناصر المجتمع مع بعضها البعض لتشكل مركبا بشريا على بقعة جغرافية معينة يخوله ان يحصل على اعتراف الدول الاخرى ، وهنا تكتسب هذه الدولة شخصيتها الدولية وتتمتع بحقوقها وتقوم بواجباتها حسبما يمليه العرف الدولي .

ان عصر ما بعد السادات قد نحا نحوا جيدا من العقلانية بحيث ان قوة الدفع الساداتية والاتجاه الذي قام به في السياسة الدولية والاقليمية حمل الرئيس مبارك وحكومته على اعادة النظر بهذه المبادرة ووضعها تحت المجهر السياسي ان كانت من ناحية قوة التحرك الشعبية او من ناحية المصالح المصرية عربيا ودوليا مضاف الى ذلك التغييرات التي حصلت

بعد مبادرة الدفع الساداتية . فإذا كان السادات وبالهوس السياسي الذي قام به ينوي التأسيس للتحالف الأميركي مع العرب بشيء من الواقعية السياسية كي يعزل اسرائيل من الاستراتيجية الاميركية فإن حسني مبارك لم يجد فيما كان يتوخاه السادات عملا واقعيا في السياسة الدولية والاقليمية لذلك نرى بأن مصر قد وضعت هذه المبادرة في حالة التجميد على أساس ان نظرية التأثير في الحركة والتحرك قد تصلح في التحليل على النهجين الساداتي وما بعد السادات بحيث :

١ ـ يصطدم التحرك بحركة اخرى علنية أو ضمنية لها سلبيتها وايجابيتها من حيث المدلول السياسي . فالسادات وجد بأن تحركه ايجابي ودافع عن هذا التحرك على اساس انه قد جعل لمصر وحدات دولية مساندة (اميركا والغرب) قد تستند عليها لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي فيما مصر ما بعد السادات قد وجدت بأن الايجابيات في هذا التحرك غير واضحة كما هي السلبيات لذلك جعلت من قوة الدفع في هذا الاتجاه تحركا بطيئا ولحد ما مجمدا .

٢ ـ اذا كانت كل الوحدات (الدول) تعارض الوحدة المتحركة فإن التجميد هو محصلة تحرك ما قام به الغير في اتجاه معين كي تتسنى له دراسة جهة التحرك من جديد . وربما ترى مصر ما بعد السادات ونهجه بأنه اذا كان التحرك في تجاوب مع الوحدات المؤثرة فإن السلام ممكن ان يحصل ، لذلك يقود مبارك عملية تحرك متوازن يجمع ما بين الناصرية من جهة والساداتية من جهة اخرى في اللعبة الدولية والاقليمية .

وتبقى مصر ما بعد السادات متأرجحة سياسيا ما بين النهج الناصري والنهج الساداتي حتى تتبلور المواقف الدولية والاقليمية بخصوص قضية الشرق الاوسط والسبل الآيلة الى حلها حلا شاملا تقبل به كل الاطراف المعنية .

نظرية المختبر في سياسة الأنظمة

لقد اضافت دول القرن العشرين مختبر الفيزياء والكيمياء الى قاموسها العسكري وشعرت أن تفاعل الفيزياء والكيمياء في هذا المختبر يزيد الى قوتها الكلاسيكية في المجال الحربي شيئا من الضمانات لوجودها واستمرارها بين الأمم .

إن وجود الأوطان لا يعني الذاتية والاستقلال الا اذا استطاعت هذه الأوطان أن تبني لنفسها سيادة تكون ركيزة لذاتيتها واستقلالها في عالم بدا صراعه على نوعية ما ينتجه هذا المختبر من اختراعات تؤثر على موازين القوى وعلى نوعية السيادة الوطنية . يقول الاستاذ الاميركي هانس مورغانثو « ان السيادة كالمرأة فاما ان تكون حاملا أم لا ، وسيادة الامة ان تكون سيادة (مطلقة) او لا تكون » . معنى السيادة هو أن تستطيع هذه الدولة الحفاظ على نفسها من الغير بقوة السلاح . وهل باستطاعة الولايات الاميركية المتحدة أو الاتحاد السوفياتي الادعاء بأنهما اصحاب سيادة مطلقة وهما صاحبتا المختبر الفيزيائي والكيميائي الأول في العالم ؟ وكيف يكون ذلك إذا شن أحدهما حربا نووية على الآخر؟ وأين تصبح هذه السيادة حيث لا يكون فيها منتصر بل دمار سيادة الارض وفناء سيدها الانسان وطمس حضارته ؟ . .

الواقع هو أنه مادام هناك منذ مئات السنين جماعات في وحدة

جغرافية تطلق على نفسها دولة ذات سيادة لعدم وجود سيادة عالمية مطلقة بمعنى الدولة الجامعة لكل البشرية ، الدولة العالمية التي تحل مكان الدول المتعددة . لذلك نرى أنه لهذا السبب تبقى كلمة سيادة بالنسبة للاوطان كلمة قائمة بالنوعية وليس من الضروري بالتساوي بين الأمم . هذه السيادة ضرورية ورئيسية بالقانون الدولي . كذلك بالمفهوم المعاصر للعلاقات الدولية ، يضاف الى هذا الاستنتاج التاريخي بأن الدولة ذات السيادة هي الدولة التي يجب أن تعي دورها بين الأمم وتعي مفهوم هذه السيادة في الفترة التاريخية التي تعيشها ضمن الامكانيات والطاقات التي تتمتع بها كي تضبط بذلك وضعها الداخلي والخارجي وتضمن استمرارية بقائها واستقرارها ، وعندما تتوصل هذه الدولة إلى ذلك فعندئذ يحق لها أن تستلهم الشعور وتفكر بأنها دولة ذات سيادة حتى ولو كانت نسبية وينقصها المختبر الفيزيائي والكيميائي . السيادة ليست هبة تعطى من الآخرين إنما هي نضال ايام وصراع وتحد للعقبات مقرونة بالحكمة والوعي السياسي عند المسؤولين عن السيادة الوطنية والساهرين على شأنها .

السيادة ليست السيطرة على حقوق الغير إنما موقعها الحقيقي هو الحفاظ على حقوق الغير بالاضافة الى قدسية حقوقها وليس التعلل بأن الخطوات التي يخطوها الوطن هي دائما على حق ، فلم يكن الاتحاد السوفياتي على حق لتدخله في تشيكوسلوفاكيا وأوروبا الشرقية وكذلك الولايات الاميركية المتحدة فلم تكن على حق في حربها الفيتنامية وقد اعترفت بأن تدخلها في فيتنام كان امرا لا مبرر له ونكسة في سياستها الخارجية . لم تندحر الولايات الاميركية المتحدة بقوة الثوار الفيتناميين فحسب انما بقوة الغلواء السيكولوجية التي هبت داخل الولايات المتحدة ضد الحرب ، وهذا التراجع الاميركي في فيتنام لم يكن الا تحت تأثير الوعي السياسي عند الاميركي وشعوره واحساسه بأن بلده ليس على حق في حرب لا مبرر لها . لقد خمدت اصوات بعض أعضاء مجلس الشيوخ

الاميركي والمغالين بالحرب باستعمال الرؤوس النووية المحدودة الهدف tactical nuclear weapons وانهاء هذه الحالة المقلقة لأميركا . وهل كان ضمير أميركا الانساني يخولها ان تكون البادئة في الربع الأخير من القرن العشرين باستعمال السلاح النووي الفتاك وهي لا تزال نادمة في قرارة قلبها لاستعمالها هذا السلاح سنة ١٩٤٥ . هل كان باستطاعتها توظيف هذا السلاح لتعود منتصرة في الحرب أو أن تتراجع عن خطأ ارتكبته في سياستها الخارجية وتعود منتصرة مع الانسان لأنها لم تستعمل كل ما ينتجه مختبرها الفيزيائي والكيميائي .

إن نظام الحرب يدعم نظام الدول بناء على ما خطه لنا التاريخ ، فلولا نظام الحرب لما كانت هنالك انظمة دولية ولكن أي حرب وأي مبررات عند الاطراف المتحاربة ، ونحن نعلم إن كل طرف غارق في الحرب يبرر حربه بأنها عادلة وأنه على حق إنما ضمير الانسان المعاصر واطلاعه الكافي بواسطة الاعلام يدرك أن الحرب العادلة هي حرب الدفاع عن الارض والمصير لتبقى السيادة ، وليست حرب اعتداء واغتصاب لأرض الغير وحقوق الغير كما تفعل اسرائيل اليوم والتي تسرب بدورها الى الاعلام العالمي من فترة لأخرى بأنها تملك السلاح النووي وتضمن بذلك لنفسها التفوق على العرب وتفرض سيادتها عليهم شاؤوا أم أبوا . تقول مجلة « رولنغ ستون » نقلا عن محققين أميركيين وعن عميل سابق للمخابرات الاميركية المركزية بأن مجموعة من الاسرائيليين بالتعاون مع إدارة جونسون الاميركية وحكومتي فرنسا والمانيا الغربية قد قامت بعملية تهريب خمس عشرة قنبلة نووية وهي الآن في حوزتها . وقد تنسى اسرائيل بأنها لا ترعب جيرانها لأن الغبار النووي يؤثر عليها كما يؤثر عليهم ، ويبقى وضع الدول العربية البعيدة عن خط المواجهة ان تحذر نفسها من رعونة اسرائيل وتفكر مليا في اقتراحات وزير الطاقة الاميركي السيد شليسنغر وعما تعنيه حول المسؤولية العسكرية الاميركية بمد غطاء أمني على آبار النفط في الخليج العربي .

ان منتجات المختبر النووي قد غيرت الكثير من موازين القوى بحيث لم يعد الصراع اليوم صراعا على نفوذ الدول فحسب بقدر ما هو سباق حول تكوين رؤية المستقبل ونتائج حرب نووية ربما تقع حرب ابادة complete destruction ان العالم اليوم يدير حربا ليست قائمة ولا يشاؤها أن تحصل . ومن يرد ان ينتحر فليفكر بجدية هذه الحرب . الحرب النووية هي عملية تهويل بإسم الاسلحة الذرية ، والكثير من المنظرين في العلاقات الدولية يعتقد ان هذه الاسلحة ضرورية لمعادلة القوى إنما بحد ذاتها لا تجدي غير ذلك فتيلا لأن انفجارها هو عملية انتحارية لا تكسب من ورائها الدول والعائلة البشرية سوى الدمار والفناء .

اذا كانت هذه الأسلحة جيدة ووجودها جيد بالنسبة لمن يملكها فهذا ليس الا ارضاء للجموح الوطني وسيادة الامة . ولكن مادام هناك فرقاء يحصلون عليها وفرقاء يتعطشون للحصول عليها فهنا يشهد العالم الصراع بين الذين يملكون والذين لا يملكون . الذين يملكون كونهم اعضاء في النادي النووي يطلبون من بعضهم البعض وبمفاهيم اصبحت كالدستور العالمي القائم الذي خط شفهيا ولعقبات كثيرة لم يتسن له ان يصبح ميثاقا مكتوبا يفرض على الجميع وتتبنى بنوده الاسرة الدولة . . . الذين يملكون يدعون بأنهم اصحاب العقلانية ويطلبون من بعضهم البعض تخطي نظام اللاعقلانية كي لا يتوصلوا مع العالم الى نظام الانتحارية ، لأن ما يجب ادراكه عند الجميع أن وجود هكذا سلاح يجب استعماله لإبعاد شبح الحرب والرعب وليس ان يكون المسبب ولا الأدوات التي ترعب الانسان بحرب يخاف مجرد التفكير فيها .

ان اعضاء النادي النووي قد اخذوا يزدادون في أواخر القرن العشرين فهناك دول عديدة قد أصبحت تقرع أبواب النادي وبمستندات شبه واضحة في الحقل الذري لأنها تملك الخبرة والعلم والإلمام بصنع القنبلة الذرية انما العائق الرئيسي الذي يقف حجر عثرة في طريق هذه

الدول هو التكاليف المادية الباهظة التي يترتب عليها انشاء الافران الذرية . هذه الدول هي افريقيا الجنوبية ، الهند ، سويسرا ، اليابان ، ونجد ان ايران قد ابدت رغبتها بجدية للانتماء الى النادي النووي متحملة كـل التكاليف بالاتفاقية التي خطتها مع فرنسا لإنشاء الفرن النووي في ايران .

السؤال يدور هنا عن مدى تساهل أعضاء النادي النووي بتسهيل مهمة من يرغب في الانتماء الى النادي . المبررات كثيرة ، أهمها أن هذه الطاقة يمكن استخدامها في سبيل المصالح العمرانية والاستفادة منها في حقول الانماء الزراعي والاقتصادي الخ . . . هذه المبررات صادقة في الجوهر لكنها مقلقة حيث أنها ممكن ان تتحول الى أداة حربية وتزيد من عوامل الرعب النووي وخاصة عند دولة كاسرائيل التي فقدت العقلانية في سياستها المتعنتة واغتصابها حقوق العرب .

الكثيرون من المنظرين بشأن الطاقة النووية يطالبون إما بإزالة القنبلة كليا من الوجود أو تسليمها لهيئة الأمم المتحدة حيث تقوم هذه الأخيرة بتوظيفها في المجالات التي تخدم العائلة البشرية بدل ان يكون وجودها شبح رعب دائم يهدد العالم بالفناء ويزعزع ايمانه بالوجود والبقاء . وقسم آخر من المنظرين في هذا الحقل يقترح أنه يجب أن يسمح لكل دولة من اعضاء الاسرة الدولية اقتناء القنبلة الذرية حيث تصبح المعادلة معادلة ردع كاملة تكون محصلاتها ان وجودها أو عدم وجودها يساوي الشيء ذاته لأن الاضداد من النوع الواحد تلغي مفاعيل هذه الاضداد اذا كانت متساوية وتخلق حالة اللاوجود لهذه الاضداد من الناحية العملية والسيكولوجية . اما ان يقتصر المختبر الفيزيائي والكيميائي على فئة معينة من اعضاء الاسرة الدولية فهذا يدل على عدم التكافؤ والمساواة ويضع سيادة الامم التي لا تملك في درك الهرم العالمي وتجعلها تتألم عندما تفكر بمعنى سيادتها . ان حجة العملاقين النوويين بالنسبة لبقية الامم وخاصة التي لا تملك هي انهما هما القيمان على السلام العالمي اما ادعاء الدول الصغيـرة بنزع

السلاح النووي فإنه لمصلحة من لا يملك ، وفكرة اعطاء السلاح النووي للجميع فإنه ايضا لمصلحة من لا يملك ، اما نحن فإنه ليس من مصلحتنا اقتسام ما نملك مع الآخرين والدلائل كانت واضحة عندما اختلفت فرنسا مع الولايات المتحدة لأنها لم تزودها بالقنبلة النووية كما فعلت مع انكلترا كذلك نقمة الصين على الاتحاد السوفياتي الذي رفض تزويدها بهذه الطاقة .

ان معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية التي صادقت عليها الجمعية العمومية لهيئة الامم لم تظهر حتى الآن الى حيز التنفيذ وهي بانتظار محادثات (سالت) للحد من الأسلحة النووية بين الاتحاد السوفياتي والولايات الاميركية المتحدة كي تطبق وتخفف من وطأة السباق حول التسلح النووي . واذا توصل الفرقاء في محادثات (سالت) الى اتفاق بهذا الصدد في أخطر فترة زمنية يمر بها الإنسان وتتخبط بها علاقات الدول وخاصة ازمة الشرق الأوسط المتفجرة فيكونان قد حققا هدف تعاليمهما في سدرة النظام العالمي . اما السلبيات التي يمكن ان تنتج عن هذا الاتفاق فهي ان الدول الاعضاء الذين ليسوا بمستوى العملاقين تكون قد جنت على نفسها بالتخلف اذا قبلت بهذه المعاهدة لأن مضمون المعاهدة يرمي الى المحافظة على فوقية الاتحاد السوفياتي والولايات الاميركية المتحدة وحلفائهما الاقوياء . ولكن المعضلة الحقيقية في وجه هذه المعاهدة هو انه مادامت الدول النووية تحفظ فقط لنفسها حق اقتناء هذه الطاقة فإنه لا شك بأن السباق والسعي حاصل عند الدول الأخرى للحصول على هذه القوى اما بصنعها او تهريبها غير عابئة بما تنص عليه معاهدة الاقوياء . ان عدم التوصل الى اتفاق بين اميركا وروسيا حول الحد من الانتشار النووي يضر بمصالحهما على الشكل التالي :

أولا : الاعباء المادية التي تترتب عليهما في السباق النووي وازدياد نسبة البطالة وتحويل الطاقة الانتاجية الى التصنيع العسكري والحربي . ان

العالم اليوم ينفق ما يعادل الـ ٣٠٠ مليار دولار سنويا وعلى رأسه العملاقان في حقل التسلح وتدل دراسات معهد لندن الاستراتيجي على ان الميزانية العسكرية تتصاعد وبنسبة عالية في كل الدول مع ان تكـاليف المعيشة والبطالة اخذت تتصاعد وبسرعة اكثر في جميع انحاء المعمورة .

ثانيا : عليهما تعليق نشاطات التجارب الذرية والحد من انتشار مادة اليـورانيوم ولـو ادى ذلك الى ابعـاد بعض الحلفـاء المهمين لهمـا في علاقاتهما الخارجية لأنه في نهاية المطاف اذا تكاثر انتشار اليورانيوم فسوف يشكل لهما هبة رماد ذرية تؤثر على موازين القوى والاستقرار العالمي حتى ولو كان من الناحية السيكولوجية اذا لم يكن من الناحية العملية . نقول من الناحية السيكولوجية على الأرجح لأن الشعور بعدم امكانية الدول صاحبة المختبر الفيزيائي والكيميائي على استعمال منتجات المختبر النووية يرجع الى روادع عقلانية ووجدانية تدل على عدم قيمته من الناحية العملية الا في حالات الجنون الانساني الذي تهدد به اسرائيل .

ان العالم لم يشهد بعد الحرب العالمية الثانية بأن الدول النووية تميل الى الغاء هذه القوى انما العمل للحفاظ عليها وتطعيمها بمفاعيل اقوى ولكن في سبيل الحصول عليها فقط ارضاء للسيادة القومية . واننا نقرأ اليوم بأن الحوار الذي شهدته محادثات (سالت) قد اصبح نوعا من الجدلية حول الهدف واستراتيجية الصواريخ عبر القارات وهذا امر يخصهما وحدهما فقط ويرتبط بالنسبة لهما بالمعادلة التالية :

ـ القوى النوويـة المعاديـة ضد القيم المعـادية تسـاوي التمحيص الاستراتيجي في عمليات حرب لا يحلم أحد بأنها سوف تقع لأنها اذا وقعت ستكون قاضية .

ـ انضباطية التصرف والعقلانية في عدم اطلاق الطلقة الاولى ضد تصعيد الحرب النووية اللاعقلانية تساوي عملية حرب باردة لا اكثر ولا اقل

لأن الانسان يمكن ان يقبل فئة من الناس تقتل فئة اخرى ولكنه لا يريد من أي فئة اخرى ان تقتله وكذلك الانسان لا يقبل شيئا يقتل الجميع لأنه واحد منهم .

ان حرب الاعصاب الناشئة عن هذه المعادلة تدل على حالة التفوق الذي بلغه العملاقان وكون هذه الحالة تعطيهما اليد العليا في هرمية النظام العالمي الذي هو من صنعهما وهندستهما فلا يبغيان ورتبتهما هذه الغاء حالة التشنج الدولي ولا يشاءان التغيير لأنه ليس لمصلحتهما وذلك لإدراكهما الحقيقي بأن نوعية القوة حتى ولو لم تستعمل تقرر نوعية الموقع والاستعلاء بين الأمم .

ويعلم العالم اليوم علم اليقين بأنه اذا تخلص من كلمة حرب والاستعداد للحرب فان كلمة أمم وأوطان سوف تزول من الوجود ولكن كلمة حرب سوف تبقى مادامت هنالك أمم وأوطان ومصالح متضاربة تجر الدول للوقوف في وجه بعضها البعض وتدعوها للتحالفات والاستعداد ، ولو ذهبنا بحلمنا الانساني بعيدا في خلق دولة عالمية فيجب ان نبقي في خفايا مخيلتنا بأن القوي هو الذي سوف يسيطر ويقرر سياسة هكذا دولة . البعض ممكن ان يقول بأن هذه السيطرة غير واردة في حالة نزع السلاح ولكنه يبقى في غريزة الانسان وقومياته كلمة حرب يقودها بالعصي والحجارة لأن ذلك من نزعته وتقليده التاريخي .

يعتقد بعض السياسيين ، بأن وضع الشرق الأوسط قد أصبح بيد الولايات الاميركية المتحدة والاتحاد السوفياتي بعدما اتفقا على صيغة الحل وما علينا الا الانصياع للاتفاق الثنائي الذي تم بينهما لأن ذلك هو حتمية يمليها علينا النظام العالمي برأسيه الاميركي والسوفياتي :

أولا : لأنهما يسيطران على مصدر ونوعية وكثافة الاسلحة .

ثانيا : وقوفهما في وجه انتشار التسلح النووي الا في سبيل تنفيذ

سياستهما يدل على ان معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية هي عملية عدم المشاركة ولا احد يريد ان يشارك ما يملك مع الآخرين وخاصة اذا كانت هذه المشاركة تقليصا لنفوذه .

ثالثا : الدول القوية تدعي بأن حفظ السلام العالمي كما تريده هو مسؤوليتها الاولى وأنها غير مهتمة بتاتا للتخلص من المختبر الفيزيـائي والكيميائي إنما الحفاظ عليه وتقويته لأنه جيد وعلى بقية اعضاء الاسرة الدولية ان يطعموا افكارهم السياسية بوجود هذا المختبر ولا ينسوا بأنهم يعيشون في مناخه وتحت تأثيرات ما ينتج من السلاح النووي المرعب .

ان العالم في حالة الرعب هذه يرى أن الانسان أيا كان يمد يده الى السماء ، الى التجلي الإلّهي ويتضرع الى مجيء نبي مخلص يتوق اليه والى مهدي به يحلم وينتظر لتنقية النفوس من هول الرعب النووي ، ومن حالات انفجارات داخليـة وحرب اهليـة قذرة ، ومن رعب عـالمي فيه الاغتيالات وخطف الطائرات والافراد وقتل الابرياء . ولا فرق ان يكون هذا الانسان في دولة متخلفة او دولة متقدمة لأنه انسان قبل كل شيء ونزعته الحقيقية هي ان يحافظ على انسانيته ويعصمها دائما بأريج أمله وايمانه .

الفصل الثاني

في السياسة العربية

القضايا العربية
أمام القانون والنظام الدوليين

ان تمسك الامم بحرمة القانون الدولي هو أمر مبدئي يعطي الانسانية وجهها الحضاري ويؤثر على سلوك الانسان في مجالات تربيته الاخلاقية والسياسية . هذا السلوك اذا انطلق فيه فيجب ان ينطلق من قواعد الحقائق المجردة وليس من غزل المفردات القانونية التي تشبه الحق وهي ليست من الحق في شيء . والانتصار كل الانتصار هو ان يحكم القانون الدولي الأمم من دون ان تتحكم مصالح الأمم بجلال هذا القانون وهيبته .

ان رسالة القانون هي رسالة الضمائر المؤتلفة التي ترفض الريب والشك في هالة الحق وتقف لتحكم بأن عظمة الدول ليست في أن تتخطى الحق معللة ذلك بالمصلحة القومية بل عظمتها في ان تقف خاشعة أمامه تقطف من ثماره العدالة الاجتماعية وتبني من شرائعه اعمدة سلام دائم لإنسانية كفاها ما تعذب من اجلها المسيح وما ضحى وتفانى من اجلها محمد .

المحكمة الدولية ونظرة القانونيين :

الاختصاصيون في القانون الدولي طالما راموا ان تكون هنالك محكمة عدل دولية تعمل في تجرد لإبراز عدالة القانون وتطبيقها وتبعث حركة اعلامية وتربوية تصبو الى توسيع رقعة الشرعية القانونية في النظام

العالمي عازلة كل حل للمشاكل العالمية خارج نطاق المحكمة الدولية لكونها المكان الوحيد لإعطاء الحكم المجرد في نظام يتبنى شريعة القانون ضد غوغائية الغاب . وقد اثبتت المحاكم القانونية التي تعتمدها الدول الديمقراطية ضمن نظامها الداخلي في محاكمها العدلية حسن الفعالية في انصاف الحق وتطبيق القانون . وان التقيد بالقانون الدولي لا يمكن ان يتم قبل ان تتخلص بعض الدول ذات الانظمة العنصرية (كاسرائيل وافريقيا الجنوبية وغيرها) من التمييز العنصري والطائفي في محاكمها وتنطلق وراء انصاف الحق في بلدها امتدادا وسعيا الى بناء سدرة العدالة العالمية حيث تقدس حقوق الانسان ويرفع عن المضطهدين كابوس الظلم والطغيان لا رحمة بهم بل انصافا وحقا لهم جاءت الاديان السماوية والقانون لتقديسه .

ان عدم التقيد بصيغة القانون الدولي هو عدم القبول بصيغته التجريدية وعدم فعالية التطبيق كما يحصل في المحاكم المدنية علما ان المحكمة الدولية لا تملك القوى القادرة على عمليات التطبيق وكل ما تملك هو ان ترشد العالم والفرقاء المتنازعين الى حكمها الصادر تاركة لمجلس الامن الدولي حرية التطبيق وتحمل المسؤولية . ذلك ان محكمة العدل الدولية هي فرع من فروع هيئة الامم وقد نص ميثاق هيئة الامم في المادة ٣٨ البندين الأول والثاني على صلاحيات اعطاء الحكم وارشاد مجلس الامن الدولي لاتخاذ الاجراءات اللازمة حفاظا على السلام العالمي كما ان هذه الصلاحيات المعطاة للمحكمة الدولية قد حددت بالمادة ٥٨ التي تعطي الحق للدولة ذات الطرف في النزاع في الانسحاب من حكم المحكمة لكن ذلك لا ينفع لأن الدولة التي تنسحب من حكم المحكمة تكون قد ادانت نفسها واثبتت سوء نيتها .

القضية الفلسطينية ومحكمة العدل الدولية :

عندما أقدمت بعض الدول الكبرى على تقسيم فلسطين ، تقدمت الدول العربية (على رأسها سوريا) وعدد من الدول الصديقة بمشروع قرار

رقمه أ ـ س ـ ٤٠٥ طلبت فيه من المحكمة الدولية تقرير الناحية القانونية والشرعية في تقسيم فلسطين ضد رغبة الاكثرية الساحقة من سكانها العرب اذ لم يكن في فلسطين الى حدود العام ١٩٣٩ اكثر من ٥٥٠,٠٠٠ يهودي مع مليون ونصف عربي كذلك لم يكن اليهود يملكون اكثر من ٥٩٤,٠٠٠ دونم من مساحة الأرض . لكن مشروع القرار سقط بصوت واحد في الجمعية العمومية (٢٠ صوتا مع و٢١ ضد و٣ دول امتنعت عن التصويت) . وقد عملت اسرائيل واصدقاؤها لاسقاط القرار لانهم كانوا على بينة من ان المحكمة الدولية ستقف مع الشعب الفلسطيني داحضة نيات الصهيونية العالمية حيال اهالي البلاد الاصليين وتطبق المادة ٩٤ من الميثاق التي تعطي الصلاحيات لمجلس الامن لتنفيذ حكم المحكمة .

مضيق تيران وقناة السويس :

مضيق تيران يبلغ حوالي مئة ميل طولا وبين ثلاثة وسبعة اميال عرضا . مدخل هذا المضيق يبلغ حوالي تسعة اميال ويضم جزيرتي تيران وسنغارا . هذا المضيق بالنسبة الى قانون المياه الدولية يخص المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية ويشكل حدا فاصلا بين هاتين الدولتين . لكن السعودية تنازلت عن حقها في مضيق تيران لجمهورية مصر وبناء على ذلك استعملت مصر حقوقها الشرعية والدولية للسيطرة على المضيق (جدير بالذكر ان اسرائيل احتلت منطقة ايلات بعد اعلان الهدنة بين مصر واسرائيل غير عابئة بقرارات مجلس الامن ووقف اطلاق النار) .
وبما ان عرض المضيق لا يزيد في اكبر فجوة فيه على ١٢ ميلا فإن من شرعية القانون الدولي ان يكون ملكا لمصر والسعودية ولم يقر القانون الدولي ان يكون المضيق مياها دولية . وفي تموز ١٩٥١ اقرت بريطانيا رسميا بحقوق مصر في السيطرة على المضيق وصرحت بأن قضية المضيق ليست في يد مجلس الامن ولا الجمعية العمومية واذا كانت هنالك حقوق

لاسرائيل فلتذهب الى المحكمة الدولية . ولو كانت اسرائيل مقتنعة بحقها لكانت اثبتت هذا الحق ضمن جدران المحكمة .

اما تمسك مصر بحقوقها في ما يخص قناة السويس فهو عرف وحق لأن القناة هي من صنع مصر وفي ارضها وملك شرعي لها بعدما قامت بواجباتها الدولية بدفع التعويضات المنصفة والمحقة لمحتكري شركة قناة السويس . وقد رفضت مصر بعد تأميم القناة مشروع الـ١٨ الدولة الذي يطالب بأن تكون قناة السويس مياها دولية يفرض على مصر السماح لكل السفن بما في ذلك اسرائيل بالمرور فيها ، وكان موقف مصر واضحا وصريحا اذ تحدت الدول صاحبة المشروع ان تعرض القضية على المحكمة الدولية وتقبل بأي حكم يصدر عن هذه المحكمة لكن انكلترا وفرنسا واسرائيل استبعدت العرض الذي تقدمت به مصر لعلمها مسبقا ان حكم المحكمة سيكون لمصلحة مصر . وهنا لعبت الوساطات الدولية دورها للتأثير على مصر من اجل السماح لكل السفن بالمرور ما عدا السفن الاسرائيلية وغض النظر عن السفن المحملة الى اسرائيل . وسمحت مصر فعلا بين العامين ١٩٥٧ و١٩٥٩ بمرور ٤١ باخرة اكثرها محمل الى اسرائيل . وفي اواخر العام ١٩٥٩ اخذت مصر تحقق لمعرفة ما يشحن الى اسرائيل ووضعت السفن المحملة اليها تحت الرقابة .

حرب حزيران ١٩٦٧ :

وجاءت حرب ١٩٦٧ تحمل تحديا مطلقا للقانون الدولي ولهيئة الامم وميثاقها :

اولا : ان مهاجمة اسرائيل لمصر في الوقت الذي كان مجلس الامن الدولي في انعقاد دائم والوساطات الدولية قائمة لتهدئة الوضع وايجاد تسوية بين مصر واسرائيل ، يعطي الدلالة الكافية على دور اسرائيل في عدوانها وفي تدمير الطيران المصري على الارض غير متقيدة بالمادة

الثانية والمادة الثالثة والثلاثين من ميثاق هيئة الامم اللتين تفرضان على الدول الاعضاء حل كل الخلافات في ما بينها بالطرق السلمية فقط .

ثانيا : ان تذرع اسرائيل بالمادة الحادية والخمسين من الميثاق لا يعطيها حق استعمال القوة لأن المادة تنص على انه عندما يحصل على دولة ما اعتداء مباشر بقوة السلاح فعلى هذه الدولة ان تقاوم الأعتداء دفاعا عن نفسها . ان اغلاق مضيق تيران لا يعطي اسرائيل ذريعة الاعتداء على مصر واذا فعلت كل دولة ما فعلته اسرائيل بتفسيرها للمادة ٥١ فإن ميثاق هيئة الأمم ينهار قبل قراءته .

ثالثا : ان وجود المراقبين الدوليين في الاراضي المصرية كان نتيجة اتفاق بين مصر وهيئة الأمم وهذا الاتفاق يعطي مصر الحق في الاستغناء عن خدمات المراقبين ساعة تشاء . واذا كانت مصر طلبت ذهاب هؤلاء بناء على الاتفاق فليس من شأن اسرائيل ان تفسر ذلك بأنه تهديد لأمنها وسلامتها واذا كانت هذه حجة اسرائيل فلماذا رفضت اسرائيل عرض الامين العام لهيئة الامم يوثانت قبول المراقبين في ارضها ؟

ان تحليل العرب لقضاياهم العالقة امام العالم وخصوصا هيئة الامم هو انها قضايا حق لا يتهربون من تحكيم المحكمة الدولية والقانون الدولي فيها لأنهم يؤمنون ان الحق والقانون تـوأمان لا ينفصمـان ولا يرتبـطان بالمصلحة ، سواء أكانت فردية أم جماعية أم قومية ، ويتنزهان عن كل هذا خدمة للحق ، ومتى استوت المصلحة على سرمديـة الحق وقف الحق شهيدا في محكمة الباطل .

الانطلاقة الجديدة والنظام الدولي :

لقد علقت القضية الفلسطينية على ابواب المحكمة الدولية منذ العام ١٩٤٨ وكان حكم المحكمة الضمني هو ان يتوجه العرب والفلسطينيون الى لعبة النظام الدولي سياسيا وثوريا . فكانت حرب ١٩٦٧ بداية هذا

الانطلاق ، انطلاق الثورة الفلسطينية كحركة لا تؤمن بالنظام الدولي القائم لأنه وقف في وجه الحلم الفلسطيني كما سماه ياسر عرفات في هيئة الامم لبناء الدولة العلمانية في فلسطين . وكما ان الدول والحركات الثورية المعادية للنظام الدولي تدرك ان تهديم الهرم العالمي كما هو قائم اليوم يخدم من لا يستفيد منه ، وبما ان الفلسطينيين لا ينتمون الى هذا النظام شرعا بصفة دولة في هيئة الامم ، فانهم غير مسؤولين تجاهه وغير مرتبطين بمبادئه وميثاقه لايمانهم بأن هيئة الامم وجدت لتخدم القائمين على النظام الدولي والمنتمين اليه لا لتخدم المتمردين والثائرين عليه .

لم ينسَ الفلسطينيون قول جون فوستر دالس ان من قدر الفلسطينيين ان يكونوا « عقبات انسانية » تذهب مع الريح . بمعنى ان النظام العالمي قادر على ان يستوعب عقدة الفلسطينيين ورؤياهم المستقبلية في خلق الدولة الفلسطينية العلمانية ، الا ان حيوية الشعب الفلسطيني والدعم العربي لها ربما كانا اجريا تحويلا فكريا واقناعا سياسيا لدالس لو كان حيا ليشهد واقع ما يجري من تغييرات شرق اوسطية واعباء ثقيلة على اكتاف العالم الحر الذي طالما تحدث عنه دالس ولكان اخبره خلفه كيسينجر عما حصل في اجتماع القمة الاسلامية وطرد اسرائيل من الجمعية العمومية لهيئة الامم ولكان اخبره عن أزمة النفط والكفاح الفلسطيني وعن كثير غيرهما .

ان الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي يعلمان اليوم ان الوضع الحالي يهدد بالخطر ولا يقف عند نظرة الاسرائيليين بأن ما لنا هو لنا وما لكم نحن على استعداد للتفاوض عليه . الوضع خطر لأنه في طريق الانزلاق نحو الحرب مادامت اسرائيل تصر على حدود آمنة في توسع جغرافي على حساب جيرانها وهي تعلم ان الحدود الامنة هي التي يقبلها جيرانها ويضمنها النظام العالمي في جنيف ويفرضها عليها وان هي تعنتت فلتعلم بأن ذلك ليس لمصلحتها لأن العالم على بينة من ان تقدم العرب

في سرعة في حقلي التكنولوجيا والعلم على مختلف انواعه يضمن لهم المستقبل ويضمن ايضا ان معادلات القوى ستكون في وضوح لمصلحتهم اضافة الى ازدياد ثرواتهم الطبيعية . فالأحرى باسرائيل ان تمهد لمؤتمر جنيف من دون مـراوغة وتشعـر الفلسطينيين بـأن لهم الحق في تقريـر مصيرهم .

متى ينعقد وعلام ينتهي ؟

ان مؤتمر جنيف الذي دعت الى انعقاده هيئة الامم المتحدة تحت رعاية الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي هو المنفذ الـوحيد لحل أزمة الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ . ان موازين القوى والمعادلات الدولية التي تسيطر عليها الى درجة قصـوى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ترفض زوال اسرائيـل وتدعـو الى ديمومتها ، وفي هذه الحال لم يبق امام الدول العربية التي تشكل بعض نواة النظام العالمي وتنتمي الى اسرته الا ان تقوم بدورها ضمن ما يسمح به هذا النظام . كذلك لم يبق امام الفلسطينيين بعد تدويل قضيتهم التي كانت قبل انطلاق الحركة الفلسطينية الثورية بعد حرب ١٩٦٧ في عالم النسيان الا ان يتصرفوا في موضـوعية وجـدية حيـال ما يـدور في افق الديبلوماسية العالمية ، وتجاوبا مع ذلك فقد اقر مؤتمر المجلس الوطني الفلسطيني في حزيران ١٩٧٤ اقامة حكومة وطنية فلسطينية فوق أي جزء من الارض الفلسطينية يمكن تحريره من الاحتلال الاسرائيلي،لا فارق ان كان ذلك التحرير تحت وطأة الضغوط السياسية أو العمليات العسكرية .

ان هذه الفترة التاريخية العصيبة التي يمر بها الشرق الاوسط قبل انعقاد مؤتمر جنيف اظهرت للعالم نظرة العرب المشروعة نحو السلام ولم يبق سوى عقد النقص الاسـرائيلية . عقـد الأقلية المغلقـة على نفسها الرافضة للسـلام ضمن جدران عنصـرية معينـة . عقد الخـوف من ان المستقبل يضمن للعرب اذا بقيت نهضتهم في ثرواتهم الطبيعية والبشرية

في ازدياد ان يتوصلوا الى مركز القوة بحيث يستطيعون استيعاب عقد النقص الاسرائيلية وهضمها في اجواف العالم العربي ما نعين على الصهيونية العالمية الاستفادة من عقدها التاريخية في عالم الاعلام العالمي . وهكذا فان نظرة الدبلوماسية العربية المستقبلية تدعو الى استيعاب عقد خوف اليهود عن طريق السلام والاستقرار في المنطقة لا عن طريق الحرب الا اذا فرضت عليهم فرضا من وراء تعنت اسرائيل وعدم انصياعها لقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ .

أميركا والعرب الغائبون

بعد كل حرب عالمية قام نظام دولي تزعمته الدول المنتصرة واشرفت على توازن معادلاته . فالحرب العالمية الثانية افرزت نظاما دولياً اعطى الولايات المتحدة المرتبة الاولى في النظام العالمي السائد اليوم . والمتعامل مع الدولة الاميركية هذه لا بد من ان يأخذ في الاعتبار هذه الحقيقة شاء ام أبى .

لقد فرض على جميع الدول في عصر التكنولوجيا والمواصلات الحديثة ان تتأثر بعضها ببعض من خلال لعبة النظام الدولي القائم . وما يهمنا ، هنا ، وفي ما يتعلق بدور الولايات المتحدة ، هو مركز الرئاسة الاميركية التي تقول عنها المادة الثانية من الدستور الأميركي :

« إن السلطة التنفيذية يؤتمن عليها رئيس الجمهورية » . وهذا البند يفترض ، او يقرر ان على رئيس الجمهورية تطبيق القانون بكل تفاصيله وعلى الجميع . أيضاً يعطي الدستور الاميركي الحق لرئيس الجمهورية في ادارة السياسة الخارجية الأميركية . وهذا الحق يعود اليه ، لكونه المؤتمن على السلطة التنفيذية .

في هذا الضوء برز في تاريخ اميركا رؤساء اقوياء استطاعوا من خلال ممارستهم الحكم ان يعطوا رئاسة الجمهورية دورها الحقيقي ، امثال

واشنطن وجيفرسون ولينكولن وروزفلت وكينيدي . كما برز رؤساء كايزنهاور الذي اقتبس عن ماديسون وهاملتون مبدأ يقول بأن رئاسة الجمهورية يجب ان تبقى في اطارها التشريعي . لذلك سمي هؤلاء الرؤساء الذين لم يتصرفوا إلا بناء على ما ينصه الدستور ، او احكام المحكمة العليا ، او تشريعات الكونغرس بالرؤساء المحافظين ، او المتحفظين . وعندما جاء كينيدي الى الرئاسةصرح بأنه واجه صعوبات ثلاث :

ـ اولا : ضغوطات الكونغرس .
ـ ثانياً : صعوبة ضبط الاحداث والسيطرة عليها .
ـ ثالثاً : كيف يمكنه ان يعطي اميركا دورها الأساسي في السياسة الخارجية . غير ان الرئيس كينيدي استطاع ان يكون صاحب القرار في السياسة الخارجية والدولية . وهو لم يعط دوره لوزير خارجيته بعكس الرئيس ايزنهاور الذي كان يوافق ، بصورة آلية وطبيعية ، على آراء وخطوات وزير خارجيته دالاس .

المهم في الامر ان كينيدي صنع قرارات سياسته الخارجية بنفسه . وهو بذلك تخطى السياسة السائدة والمعروفة .

وفي نظر اساتذة العلوم السياسية الاميركيين ان الرؤساء الاقوياء في الولايات المتحدة تخطوا الامور الآتية :

ـ أولاً : انتزاع المبادرة من يد الكونغرس في الحروب المحدودة التي واجهت اميركا في عهودهم . وحسب الدستور الاميركي : « لا يحق لرئيس الجمهورية ان يعلن الحرب على أية دولة من دون موافقة الكونغرس سلفاً » .

ـ ثانياً : المبادرة في المجال الاقتصادي وتقرير مبدأ المنافسة خصوصاً مع الاتحاد السوفياتي كي تبقى اميركا في موقع الهيمنة والتفوق .

ـ ثالثاً: ان يعمل الرئيس على تصدير الديموقراطية الاجتماعية ، الى العالم (وهو مبدأ من الادعاءات) . وهنا يأتي الدور الاميركي في التدخل تحت هذا الشعار .

طبعاً الرئيس الاميركي القوي في استطاعته ان يلعب هذا الدور لأنه المسؤول عن السياسة الخارجية وعلاقة اميركا بالعالم ، وكذلك هو قائد القوات البحرية والجوية والبرية ، كما هو ، آلياً ، رئيس لحزبه .

* * *

السؤال هنا هو كيف يصنع القرار السياسي في الولايات المتحدة ؟

إن مجلس الامن القومي يتألف من رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس وكالة الاستخبارات ورئيس مجلس الامن القومي نفسه . ويلتئم هذا المجلس لبحث القضايا المصيرية خصوصاً الشؤون الدولية . ويتم فيه تبادل المعلومات ووجهات النظر . كما يدور النقاش بين الاعضاء من دون تدخل من رئيس الجمهورية . وفي نهاية الامر يعلن الرئيس القرار مصراً على خطة بديلة في حال فشل القرار ـ الخطة المتخذ .

هذه التركيبة السياسية هل تسمح للغير بأن يتدخل في الشؤون السياسية وبالذات مسألة الانتخابات الاميركية ؟

بعض التصريحات التي تصدر في موسكو ، ليست مثلا للاستهلاك المحلي ، انما التأثير بشكل او بآخر على مجرى الانتخابات يقول خروتشيف انني سوف اعمل على اسقاط نيكسون في الانتخابات الاميركية وذلك بعد « حوار المطبخ » . وبالفعل اخذ خروتشيف يتصلب في محاربته كينيدي بعد ان تناسى انتقاداته لنيكسون . وبالطبع هذا ما اعطى كينيدي المرشح قوة اضافية لدى الرأي العام الاميركي ، والاسباب طبعاً معروفة .
ماذا بالنسبة الى كارتر وريغن ؟

مهما الوضع مختلف لأن تطوراً مهماً حدث على صعيد العلاقات الاميركية ـ السوفياتية ، والمعادلة السياسية الدولية التي نشأت منذ منتصف الستينات . ومن هنا ننظر الى الرئيس كارتر على انه « الرئيس المعتدل » ، والى ريغن على أنه الرئيس الذي يحاول انتزاع المبادرات في حقل السياسة الخارجية . وطبعاً هذا يخيف اوروبا والاتحاد السوفياتي معاً . لأن ريغن يعتقد ان مصاريف الميزانية الحربية والتطور التكنولوجي العسكري يجب أن يقوى ويزداد بينما كان كارتر يؤمن بما يسمى بمعادلة «لعبة الصفر» حيث ان كلا العملاقين في استطاعته ان يدمر الآخر حتى ولو تلقى الضربة الاولى . ولا نستطيع الحكم بأن هذه العقلانية بعيدة عن ريغن . فالتطرف في المجال العسكري وتنميته ممكن ان يكون للاستهلاك المحلي الاميركي .

اما اسرائيل ، وهي السرطان الذي يتحكم في الجسد السياسي الاميركي ، خصوصاً وزارة الخارجية الاميركية ، فانها تلعب لعبة التحريك الشعبي . وكأنها تأخذ السلاح من يد رئيس الجمهورية لتستعمله هي في سياسة اميركا بالذات بمعنى اوضح سلاح اقناع الرأي العام الاميركي بسياسة خارجية معينة تخدم مصالحها .

يقول الرئيس الاميركي ترومان ، وقد رددها من بعده ايزنهاور : ان اهم وظيفة ملقاة على عاتق رئيس الجمهورية هي اقناع الاميركيين بأن يعملوا ما يجب ان يعملوه هم بأنفسهم خدمة لمصالحهم وحفاظاً على الديمقراطية الاجتماعية .

* * *

اين العرب من كل هذا ؟

الغياب العربي المطبق عن لعبة الانتخابات الرئاسية الاميركية هو شيء غريب يدل على عدم ادراك ووعي لدور الرئاسة الأميركية

والضغوطات التي تستعملها اسرائيل على اقوى سلطة في العالم ؛ سلطة رئاسة الجمهورية .

ويجب الا يغيب عن ذهننا ان الاميركيين يحترمون رئيسهم ، ولهم كلمة يقولونها دائماً : ان الرئيس تكلم . أو مهما يكن « فإنه الرئيس » .

ايضاً ماذا عن العرب ازاء الانتخابات الاميركية ؟

في الولايات المتحدة نحو ٣٥ صحيفة تعالج القضايا السياسية الخارجية اهمها ١١ صحيفة يترأس تحرير الاقسام المتعلقة بالشرق الاوسط فيها يهود اميركيون ، او انصار لاسرائيل . فهل يؤثر العرب في الاعلام ، او في وزارة الخارجية ، او في اي قطاع اساسي في الولايات المتحدة .

في سنة ١٩٨١ يترأس العرب قمة الاقتصاد النقدي العالمي . واي تضخم مالي عالمي تتحمل مسؤوليته الدول العربية . كذلك فان اي تقدم اقتصادي في العالم ستكون البلدان العربية هي المسؤولة عنه . واذا كان لدى العرب هذه القوة الهائلة والفريدة فماذا تنقصهم ؟ هل نقول ان الرؤية السياسية المبرمجة والواعية والمنظمة والمسؤولة هي التي تنقصهم ؟؟ هذا اذا لم نذكر غياب المثقف العربي عن لعب دوره الضروري داخل اميركا . وهذا الغياب تتحمل مسؤوليته الدول العربية نفسها وكذلك المثقف . ولو ان جهازاً عربياً مؤهلا وجد للاهتمام بشؤون السياسة الاميركية التي تبدأ بالانتخابات ، يدرس ويخطط بامكانات عربية ودعم عربي ، لاستطاع العرب ان يكونوا قوة ضاغطة تؤثر من دون شك على مجرى الانتخابات الاميركية انطلاقاً من ان المجتمع الاميركي هو « مجتمع منفتح » يسمح بحرية التحرك . . . والتحرك في اتجاه الاعتدال وانتزاع الاوراق التي تلعب بها اسرائيل . غير ان هذه اللعبة العربية في المحور الاميركي لا تستطيع ان تأخذ موقفا لها لأن اكثرية العرب اصبحوا اسرى شعارات دوغمائية لا يستطيعون التحرر منها .

نظام الطائفيـة والحـدود القوميـة

كانت الطائفية بمضمونها الميثولـوجي في حياة الاغـريق القدامى تلتقي في نهاية المطاف في مصب السياسة الذي كتب عنـه أفلاطـون ووضعه في سدرة الفنون وقيمه بأنه أرقى الفنون وأجملها على الاطلاق. إن شواهد تاريخ سبارطا وأثينا وكريت تدل على أن هذا الفن الأفـلاطوني يطغى على ميثولوجية الدين ويخط لها الطريق أحياناً. هذا اذا لم يكن هذا الفن هو المكتشف الحقيقي لهذه الأديان. ومدارس أرسطو وسقراط وغيرهما من الفلاسفة ما كانت إلا لتتوج هذا الفن وتعطيه المرتبة والمنصة العالية. مع أن هذا لا يعني أن السياسيين اليونانيين لم يغمروا أنفسهم بنفحات الخوف من اللامعلوم وما تخبئه الآلهة وعلى تعدادها وتصنيفها من آلهة الخير والحب والحرب والخمرة في تقرير المصير. فقد لعب آلهة «دلفي» دور المستشارين السياسيين لدول الاغريق وحكامها. وكانت رسل الحكام تذهب لتستشير الآلهة في «دلفي» بالنسبة للقرار وما تخبئه طيات الغد. ولم يكن فراعنة مصر أقل تأثراً من الاغريق بطلب رضا الآلهة على السياسة المتبعة وعلى الشعب المصري لتدر عليهم الخير بمواسم الحنطة والصيف وتدك لهم مداميك الوقاية من غزو الغزاة وطمع الأباطرة الطامعين بأرضهم وملكهم.

لقد كان لقاء الآلهة مع السياسة أمراً طبيعيـاً ليس عند الاغـريق

والفراعنة فحسب بل عند الكثير من الشعوب التي حققت لنا حضارات الأمس. وفي رأي تويمبي المؤرخ الانكليزي أن الواحد والعشرين حضارة التي مرت على سجل الانسان كانت كلها تتفاعل مع اللامعلوم بديانات ونواميس إلّهية بطرق مختلفة ومتعددة وكان فلاسفة السياسة هم الـذين اهتموا بهذا الموضوع وجعلوه أداة من ورائها يحكمون. فمنذ القدم كانت علاقات الانسان وانتماءاته الى الجماعة السياسية تعطي مدلولات قيمة عن قلق الانسان النفساني وخوفه بما يخص علاقاته مع من هو أكبر وأعظم من نفسه. قلقه وخوفه من شعوب وقبائل كانت بنظره بربرية اللغة واللسان والتقاليد. لكنه مع تقدم الفلسفة السياسية لتحـل مكان شـريعة الغـاب وبطش الأباطرة المتألهين، وهبوط الأديان السماوية لتحل مكان الميثولوجية الطائفية والسحر ووأد البنات، أخـذ الانسان يعمـل ليبني لنفسه أنـظمة سياسية ويخط لها معراجـاً دينياً تـرتقي عليه للتخلص من عقـد القلق والخوف حول ما يحيط بها من القدرة الكونية. ولم يكن هذا الانسان في معظم الحالات منفرداً بمعتقده السياسي ولا محتكراً لمعراجه الديني.

عندما خلق الله الانسان ولدت معه صرخـة الخوف والقلق ولكي يتخلص منها بقدر الامكان كان انتماؤه الى البيئة التي حـوله ضـرورياً وقسرياً، وإيمانه بالقدرة المطلقة أمراً محتوماً. من هنا بدأ منعطف اللقاء التـاريخي بين السياسـة والأديان. المنعـطف الحقيقي والخلقي لهـاتين الكلمتين «السياسة والأديان» اللتين لا تبغيان في الجوهر إلا مسيرة الانسان على طريق أخيه الانسان شاء أم أبى لأن درب الحق واحد وطريق السماء واحد. هذا المنعطف هو بداية طريق الانسان من موقعه السياسي والديني في دنياه كي يدفع بنفسه للقيام برحلة النفس المغمـورة بعقد الخـوف والتشنج من عقر ذاتها الى محورها الحقيقي الذي هو محور الانسـانية الأكبر. والديانات السماوية تصر على الرحلة الكبرى التي هي رحلة ما وراء النظام الكوني. وهذه الرحلة بنظر كل الديانات مبنية على الغبطة

والخير والعطاء بعلاقات الانسان مع أفراد المجتمع والانسانية. فمن وراء النظم السياسية والقوانين يبني الانسان لنفسه سلماً يرتقي عليه للوصول الى جوهر انسانيته. ومن هذا المنطلق يصح القول أنه لو ائتلفت ضمائر البشر حسبما تطلبه الأديان وما تنص عليه الدساتير السياسية بالنسبة للعدالة الاجتماعية والحرية والمساواة لكان سلم الخلاص أمتن والصعود عليه أسهل وأجمل. ولو تمسك الانسان بحبال دينه أي دين كان لدبت الطمأنينة على الأرض وانطفأت غرائز الانسان النتنة المبنية على اغتصاب حقوق الغير.

إن تجارب الانسان عبر التاريخ وخبرته وتحديه للطبيعة جعلته يجد الرابط الحقيقي بين سياسته ومعتقده وبين المطلق عن طريق العلاقات الاجتماعية بالمفهومين السياسي والديني. فالسياسة المعاصرة خصت نفسها بعلاقات الأفراد والجماعات مع بعضهم البعض وأقرت القوانين التي ترعى شؤونهم وتحافظ على حقوقهم كما أنها ربطت علاقة الفرد مع الأنظمة السياسية من خلال مؤسسات دستورية وهيئات شرعية ليكون التعامل أفقياً وعامودياً. ناهيك عما خصت السياسة نفسها به من القوانين الدولية لتنظيم علاقات الأمم بعضها ببعض وتقديس ذاتية واستقلالية كل الشعوب. مع أن هذه السياسة لم تنس أن تصون وتعمل على تحصين حقوق الانسان. وما انتفاضة العالم والأسرة الدولية حول حقوق الانسان أياً كان إلا تصويباً لمبدأ السياسة الحقيقي.

الديانات السماوية خصت نفسها بطريقة الحياة والقيم الانسانية وطريق الخلاص من الخطايا وطلب الغفران ومخافة الله وتقواه. لقد حمل رجال الدين هذه الرسالة وطافوا بها ما بين البشر لهدايتهم ومساعدتهم. إن المشاكل مهما كان لونها فهي رسالة رجل الدين ما دامت هذه المشاكل تهم الناس وتتفاعل فيما بينهم. إن الحقل الانساني هو حقل رجل الدين ورسالته هي خدمة الناس لأن أقرب الناس لربه هو أقدرهم خدمة لعباده.

إن المحراب والصومعة ليسا المقر الوحيد لرجل الدين إنما حقل الانسانية الواسع هو مقره ومعبده «أيها السائل عن الله فإنك لا تجده في الصومعة والمحراب إنما تجده بين الناس، في الحقل والشارع والمصنع وفي كل مكان يعمل فيه. عليك أن تخاطب الناس ليس في واد إنما في كل مكان يسمعونك ويصغون إليك وفي الوقت ذاته أن تغلق بابك وتصلي لربك الذي في السماء» إن اللقاء الخلقي وارد بين منطلق السياسة الأخلاقي والقيم الدينية. بين رسالة رجل الدين ورجل السياسة. إنه لقاء الجوهر بصفاء المعنى وصدق الممارسة. أما خط الفراق فهو مبني على عدم صدق الممارسة الحقيقية. فأين السياسة أم الفنون من ممارسة السياسيين في تشويه صورة هذا الفن وأين السياسة من السياسيين الذين يعتقدون أن السياسة هي دجل وتخلف وفلكلور نتن. وأين السياسة من السياسيين الذين ينتمون الى مدرسة التخلف والجاهلية. فالسياسة هي صدق وشرف. والسياسي الحقيقي هو المثال الحي والرجل الصادق أمام أبناء وطنه ليقتدوا به ويسيروا على خطاه كي يصلوا معه الى مرتبة التقدم والرقي ويجلسوا حوله على مائدة الانسان المتحضر.

الديانات كانت ولا تزال العلاج النفساني للانسان منذ فطرته. فهو بحاجة ماسة إليها لأنها غذاء الروح ورسالة نبل تعامل الانسان مع الانسان وتقسيم لقمة العيش ولكن أين رسالة موسى ووصاياه من الصهيونية وأين رسالة التسامح عند المسيح من المسيحيين وأين قرآن وتعاليم محمد عند المسلمين. إن علم المنطق يضطرنا للفصل ما بين جوهر الأديان التي لا تختلف عن بعضها في المضمون وعن الذين يدعون بأنهم من أتباعها ويحملون الاسم ولا يصدقون الممارسة. فأي من الديانات السماوية تدعو الى الكراهية والبغضاء والقتال. فإنا نظلم السماء بادعاءاتنا ونشوه سمعة الأنبياء بممارساتنا لأنهم براء منها، وبراء منها كلياً في لبناننا ما حصل على أرضه وطنه من الجهلة بأنه ما بين الأنبياء والرسالات السماوية. وظن

محركو القتل على الهوية بأنهم بعملهم هذا يخدمون الكنيسة والجامع. فلتخرس أصواتهم كلها لأنهم مرتزقة شريرون وساسة مستغلون لضمير الشعب البريء ومن قتل منه دون أن يعرف لماذا قاتل ولماذا قتل. فليهتد المسيحيون الى المسيحية والمسلمون الى الاسلام ليعرفوا معنى وبعد علاقاتهم مع بعضهم ويقفوا أمام المرآة ويروا في وجوههم كم مرة صلبوا المسيح وكم مرة سجنوا محمد في كهفه.

الفرق بين السياسة والديانات هو الفرق بين مفهوم السياسيين للسياسة ومفهوم المسيحيين للمسيحية والمسلمين للاسلام. لقد أدخلت السياسة وبالنية الصادقة الحركات الاصلاحية، وقد كان لكل من هذه الحركات طابعها الخاص بالنسبة للاصلاح فمنها المتطرفة ومنها المعتدلة. فالمتطرفة تشاء الوصول الى الهدف بالسرعة الممكنة. تؤمن بالديناميكية الفردية والاجتماعية لتحريك المجتمع والسير معه بأقصى سرعة ممكنة وهذا ما حدث لألمانيا الغربية وفرنسا واليابان بعد الحرب. الجدير بالذكر أن قادة هذه الديناميكية كانوا يجيدون مع شعبهم فن الانتقال الحديث من نقطة الصفر الى المرتبة المتقدمة. هذا الوعي هو سبب الوصول الى الهدف دون الانزلاق وبأدوات انسانية جيدة. إنه مثل الذي يقود السيارة على طرق جبلية وبسرعة فائقة فإما أن يصل الى النقطة المقصودة أو أنه لا يستطيع السيطرة على مقوده فتنهار به السيارة في وادي الهلاك. هذا عادة ما يحصل للدولة النامية التي لا تهتم بالأدوات الانسانية ولا تجيد القيادة الصحيحة. أما الحركات الاصلاحية المعتدلة فإنها تحدد سرعة المسيرة على ضوء دراسات واضحة وتسير مع ركب المجتمع بالسرعة المحددة ولكنها لا بد واصلة الى الهدف. هنا نستطيع أن نقول إن الهدف واحد بالنسبة للحركات الاصلاحية إنما الوصول الى الغاية يتوقف على ديناميكية الجماعة وفن اتقان القيادة. والقول بأن الهدف واحد إنما نعني به أن كل الحركات الاصلاحية من ناحية المبدأ تصبو الى نشر العدالة الاجتماعية،

وتقديس حقوق الانسان وصيانة الحرية وتوسيع رقعة الـديمقراطيـة. إن مسببات هذه الحركات الاصلاحية إن بالنسبة للديانات أو السيـاسة هي انطلاقة حق لموجة الاكتفاء على ما هو قائم وناقص وعلى عدم الاكتفاء بطبيعة المناخ الاقتصادي والاجتماعي. هذه المطالب لا تبغي إلا تذويب الغبن اللاحق بأبناء المجتمع وطنياً كان أو عالمياً. فالمرتجى من وراء هذه المطالب هو سلام عالمي دائم ورفـاهية عيش وحـرية وعـدم اضطهـاد الشعوب والتخلص من الاستعمار وامتيازات القوى على الضعيف.

إن الحركات الاصلاحية والمبادىء الفلسفية التي انبثقت عن الأديان كان دافعها تغيير جذري لبنية المجتمع وتغيير عقلية الانسان المادي وخاصة في القرن العشرين ودفعه من كفنه المادي الى عرشه الروحي. إن الأنقياء والقديسين والمصلحين قد ملأوا الكتب والصفحات بالوصايا التي تفوح منها رائحة الأخلاق وبعقلية اخوان الصفا. فهي تريد أن تعطي للشيء روحه وهل للشيء روح سوى الروح الانسانية التي هي ما وراء الأشياء. هذه الروح ما كانت استنباطاً جديداً عند المفكرين والمنظرين بل طقماً قديماً من النفحات الدينية التي أوصت بأن يكون الانسان بطهارة الروح وراء الأشياء. إنها الأديان السماوية التي أوصت بألا يكون الانسان عبداً للمادة ولا مطية للأشياء. فلا الأديان في الصميم ولا السياسة في الجوهر تبغيان أن يكون في عصرنا تكنولوجيا بلا روح انسانية. تملك هذه الروح الانسانية المقدرة الكاملة لتسخر هذه التكنولوجيا لخدمـة الانسان وليس لفنائه ودماره، الحكمة كل الحكمة هي أن تسيطر على الأشياء بما فيها الأشياء المادية والتكنولوجية ولا تجعلها تسيطر عليك أو تعطيك التمادي في السيطرة عليها لطمس حقوق وحرية الآخرين.

لقد حبلت الأديان من المتاجرة باسمها فنتج عنها ولادة غير طبيعية ولا مشروعة بسنة الله ألا وهي ولادة الطائفية حتى ولو بصفة النعت فإنها لا تليق بالمنعوت بها (والنعت بمعنى طائفي) وكذلك كانت الايديـولوجيـة

الثورية والتكتيك الحزبي بمثابة الأولاد العاقين للسياسة. لقد كان لقاء أرقى الفنون بمعنى السياسة مع أرقى معاني الانسان التي هي الأديان السماوية. إنما ولادة الطائفية عن الدين كانت نزعة فيها من روح القبلية والعنصرية وكذلك الايديولوجية الثورية والتكتيك الحزبي والنظريات الحربية التي انبعثت عن السياسة وجعلت العالم في حلقة صراع دائم. فكم من قائل يقول أنه لو كانت الدنيا بلا أديان لما كانت هناك حروب طائفية. فقد دفعت الأديان السماوية ضريبة الحروب الطائفية التي توالت على البشرية عبر التاريخ. ونقول بذات المعنى أنه لولا التكتيك الحزبي والايديولوجية الثورية المنحرفين لبقيت أم الفنون (السياسة) سليمة من تمريغ وجهها بما لم تأت من أجله وبما لا تبغيه.

عندما نقول قاتل الله الأحزاب نقول قاتل الله التكتيك الحزبي والايديولوجية الثورية والفتنة بين أفراد المجتمع الواحد محلياً كان أم عالمياً. إن التكتيك الحزبي والايديولوجية الثورية كانا ولم يزالا يبشران بالثورة فبات المواطن العربي وخاصة اللبناني يحترق بآتون الثورة. وقد كادوا لا أن يحرقوه وحده بل أن يحرقوا لبنان معه كما أحرقوا فلسطين بكلمات الثورة بمفرداتها، وبمعانيها الرنانة، وبأهدافها المنصفة. فبات هذا الانسان يقضي وقته للتحدث عن الثورة. وأي ثورة يبغي. الثورة العاطفية التي أقلق السماء والأرض بطنينها ورنينها؟ أم ثورة العلمانية المستوردة من الخارج؟ فكم من ثوب تفصله الثورة ولكن لسوء الحظ يظهر علينا غير لائق لأن المهندس صممه لغيرنا فظهر علينا تارة قصيراً وطوراً طويلا نسحبه فوق الرمال ونتعثر به. ما هي هذه الثورة التي أقلقنا الدنيا بطنينها ونحن لا نعلم عن مفاهيمها سوى الكلمات الرنانة والجمل المحفوظة وأبيات من الشعر مطرزة المعاني والأصول.

الثورة الحقيقية هي ثورة التكنولوجيا والعلم الحديث. هي ثورة التربية الوطنية الأصيلة. هي ثورة التنظيم والرؤيا المستقبلية الصائبة. ثورة

الانسان من أجل حقه في الحياة كل الحياة. ثـورة الانسان بـانتماءاته للأفضل والأحسن. إنها ليست بالثورة المعبأة بالغوغائية والفوضى والتي لا تميز بين ما هو مزيف وما هو أصيل وبين ما هو حق وما هو باطل. هدف الغوغائية التخريب. والتخريب هو نتاج الثورة العاطفية التي تحمل ضمن طياتها شعارات لا تعرف كيف تعمل من أجلها وتخدم آمالها.

إننا عندما نتهجم على الطائفية فلكي نحرر الأديان ونحرر لبنان من مدارس الطائفية والحقن الطائفي الذي يمارسه تجار الطائفية باسم الدين، ونحرر أنفسنا في لبنان من طاغوت ما ينوف عن الست عشرة طائفة الى طائفة واحدة هي الطائفة اللبنانية بمزاياها القومية والوطنية. ويتمسك بها كل لبناني ويجعلها فوق كل طائفية. فلو كنا صادقين مع أنفسنا واتخذنا تاريخ لبنان كمقياس «كريتاريا» «Critaria» منذ سنة ١٩٤٠ لوجدنا أنه قد توالى على هذا البلد أكثر من عشر نكبات مأساوية وكانت دائماً تلبس الثوب الطائفي الأسود متحدية كل الديانات ومعاكسة كل الرسالات. فلا يجوز بعد اليوم أن نسمح للطائفية أن تتاجر بنا وعلى ما يظهر من عبر التاريخ مرة كل عشر سنوات. ولبنان بحجمه أرضاً وشعباً لا يتحمل هذه الهزات وهو البلد الذي سجل للتاريخ تراثاً فريداً نفخر به على الجميع فإنا لا نريده أن يكون يابساً والفضل لصيغته التي جعلتنا شعباً يشده الحنين والحب الى بعضنا البعض حتى مع كل الذي جرى على أرضنا من قتل وخراب ودمار ونحن كنا أدواتها. ولنذكر أنفسنا دائماً بأننا نحن الذين كنا جسر احتكاك الشرق مع الغرب، ونحن الذين جعلنا من هذه الشواطىء والسهول والجبال أرضاً تلتقي عليها حضارات العالم بكل ألوانها. فلنقف ونفكر حتى ولو قليلا في الأزمة اللبنانية.

إن في عصرنا هـذا أزمة، وفي حكم الـواقع علينـا البحث عنها واستقصاء أهدافها ومعانيها إنها أزمة الراديكالية الحزبية يسارية كانت أم

يمينية. إنها أزمة من يمارسْ السياسة تحت شعارات وطقوس مختلفة مدعياً بأنه يعمل بالحقل السياسي ليخلص ويحرر المجتمع من كل غبن لاحق به. إنما واقع الأمر هو ليس بالسياسي إنما رجل يفسر ويترجم السياسة على ضوء مصالحه الشخصية وفي أطر منافعه الخاصة. إنه بعيد جداً عن أم الفنون لأنه ظن لنفسه وزعم للجماعة أن السياسة ليست مثاليات وأخلاقاً ومناقبية إنما هي زئبق رجراج لا يستقر على مبدأ سوى مبدأ اللعبة السياسية ولا فرق عنده بأي طريقة يلعب، هذه اللعبة وأي ضمير يسخر ليرى نفسه الرابح في نهاية الشوط. وأي تمثيل يبتدع للناس. إنه على استعداد أن يبقى على دوره في الملعب ويسخر كل شيء ما دام المجتمع مستعداً أن يعيش بالشعارات والوعود وأن يتقبل العواطف. لقد أصبح أعداء السياسة اليوم وهم السياسيون أقدر اللاعبين اطلاقاً على اتقان فن المناورات واختلاق الأزمات، والذين منهم في كرسي الحكم وخاصة في الدول النامية يولدون الأزمات الخارجية لإلهاء المواطن عن الأزمة الحقيقية التي يعاني منها في الداخل. إنه لمنطق بسيط القول أن باستطاعة أي دولة تعاني من أزمة داخلية أن تعاني الأزمات الخارجية وتستطيع القضاء عليها إنك لترى الفلاح المعبأ ثورياً من سياسييه وحزبييه يريد أن يحرر العالم قبل أن يحرر نفسه وأولاده وبيته من شعوذة السياسيين وتنظير الحزبيين. إنه في الحقيقة مسكين لا يعرف كيف يحرر نفسه من الاقطاع في قريته قبل القضاء على نظام دكتاتوري أو عنصري بعيد عنه. مسكين لأنه لا يعرف كيف يحرر أرضه من الأشواك ويجعلها أرضاً خصبة طيبة ومعطاء تدر عليه الاكتفاء الذاتي والاصلاح المحلي... مسكين لأنه يتحدث عن اصلاح الأرض في سيبيريا بدل البقاع وعكار وجنوب لبنان... مسكين لأنه يهتم بأوساخ مدينة نيويورك وأعباء ولايتها بدل أن ينظف قريته من الأوساخ...
مسكين هذا المواطن لأنهم لهذه الدرجة أثروا به فكان بين أيديهم معجوناً طيعاً يسهل تحويله وتكوينه كما يشاء التكتيك الحزبي المهووس وكما تشاء لعبة من يدعي السياسة وكما يشاء أصحاب الحقن الطائفي.

لقد شاءت السياسة أم الفنون أن يكون لها ولد صالح كما كان يوسف ليعقوب فكانت الديمقراطية ولكن أخوتها الآخرين من أصحاب التكتيك الحزبي والثوري المضلل قد رموا بها في البئر لأنهم أخطأوا فهمها. . . أما المطلوب اليوم فهو البحث عن صنارة لانقاذها من الهوة في هذا الوطن. إنها تعيش اليوم في الجب مع أختها الحرية تحت وطأة الراديكالية، حزبية كانت أم سياسية.

هذه الراديكالية تتحدث بالنظريات الحزبية وتتكلم عن التمييز الطائفي والعنصري. تتحدث عن كل شيء. . . عن هيمنة الدين. . . عن الدكتاتورية. . . عن الاستعمار. . . عن حقوق الانسان. . . عن السلام العادل. والواقع أنه يبقى الحديث حديثاً والعمل ليس بمستوى معالجة هذه المعضلات. ترى هذه الراديكالية أن هذه المشاكل هي محنة الانسان منذ وجوده. ومن جملة هذه المشاكل الأديان فإنها لا تريد أن تضع حداً لهيمنة الدين على مؤسسات الدولة (إنما إلغاءها كلياً من الوجود عند بعض الراديكاليات الحزبية). إلغاء الرابط الروحاني عند الانسان ليكون قطعة فيزيولوجية ومادية. إنها لا تريد معالجة الطائفية وتأثيرها على المجتمع إنما استعمالها كأداة لتفسيخ وحدة المجتمع وتضامنه. والأسباب التي تعطيها هذه الراديكالية هي ما يتعلق بمزامير الوطنية والاستقلال والاكتفاء الذاتي وأيضاً الى نظرية تساوي الذئب مع الحمل وتوزيع لقمة العيش بالتساوي. هذه الراديكالية تتطلب من الانسان العبور على جسور أبعد وأعرض من غرائزه الفردية الى المنتهى الانساني المتكامل دون الالتفات لسيكولوجية هذا الانسان وطبيعته البشرية وتراثه ومنابع انحداره وقيمه ومناقبيته وانتماءاته. فلو استطاعت هذه النظريات دفع الانسان كي يتخلص من غرائزه البشرية لسارت معه الى مصاف الأنبياء ولكن البعض منها يرى أن الدفع المادي هو الغريزة الوحيدة التي سارت مع الانسان منذ وجوده وعليها يجب أن يبني حياته وتطلعاته وقيمه.

لقد تكاثرت علينا الأحزاب وتعددت وخاصة الارهابية منها. وتعمق بنا الشعور الطائفي البغيض حتى أصبنا بالنكبة اللبنانية ولا نزال نجر ذيولها في جنوب الوطن.

إن سم الطائفية يلتقي مع سم التكتيك الحزبي المنحرف في جنوب لبنان متحدين السياسة والأديان ومقدمين خدمة للعدو في تحقيق مآربه. هل طائفية الأديان وتكتيك الأحزاب الثورية يريدان الحفاظ على أرض الجنوب بصراعهما القائم حالياً؟ هل يريدان تحرير الجنوبي من كابوس العدو ومن التهجير؟ إنه عذاب للضمير عند من يفهم السياسة ويدرس الرؤيا المستقبلية البعيدة لأهداف اسرائيل في تفجير أحقاد العرب بعضهم على بعض من المحيط الى الخليج... تفجير عصبيتهم السياسية، وتفجير طائفيتهم المستغلة من قبل من لا يتقن فن السياسة وممن لا يعرف من مضمون الدين إلا القشور والأحقاد؟ هل رسالة لبنان بعد محنته الأليمة وجنوبه المنكوب شكوى العرب للعرب... أم العودة للحفاظ على الشعب والأرض بمقدرات لبنانية وتفاهم لبناني - لبناني!

ليس يجدي النصح بعد اليوم فتيلا بعدما أن أضحت أوراق اللاعبين واضحة ومآربهم جلية. ليس جنوب لبنان أرضاً وشعباً بنظر اسرائيل بديلا عن فلسطين ولا عن الضفة الغربية ولا غزة الجنوبية. إن جنوب لبنان ليس ممراً إنما هو جزء من وطن لا ولن يتجزأ عنه. ولن يسمح أن يبرر لاسرائيل احتلالها الجنوب بحجة أننا مختلفون فيه وعليه وتتحكم بنا الغرائز والنظريات الحزبية المتضاربة والطائفية المتناحرة.

إن أرض الجنوب بحكم شريعة الأرض والسكان والقانون الدولي هي للجنوبي ومن لبنان. وليكن ضمير العرب كل العرب مع ابن الجنوب وأرض الجنوب وأن يدحضوا الايديولوجيات الثورية المنحرفة والتكتيك الحزبي الخاطىء والحقن الطائفي البغيض ليتحرر الجنوب وأهله من الاحتلال الاسرائيلي.

الفصل الثالث

في السياسة اللبنانية

النظام اللبناني ومفهوم الثورة

إن العاصفة التي يمر بها لبنان الآن ليست وليدة البارحة إنما لها ركائز الخلفيات الأساسية عبر السنين، فاذا كشفنا وجه التاريخ عن الحوافز الضمنية التي مرت بها سياسة هذا الوطن من نظام وحكم وانتماء، لوجدنا جن الانسان اللبناني الغارق في العاصفة انسان حاقد يفرز تصرفات غير عقلانية ولا انسانية تدفعه الطائفية البغيضة في متاهات البربرية والتخلف التاريخي حتى بات يخجل من نفسه أمام شعوب الأرض مهما كانت حججه.

ففي معاجم التألق الثقافي والابداع النظري عند اللبنانيين، نجد أن اللوم ينصب على النظام، والحكم، والانتماء، وركاكة التركيبة اللبنانية والجواب عن ذلك بالمنظار العلمي يدل على أن تغيير النظام لا يغير عقلية الحاكم والمواطن. ولا عقلية الحاكم اللبناني التي عجزت طوال الأربعين سنة من تاريخ هذا الوطن أن تدق أبواب الاصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي. هذه العقلية لم تستطع أن تكون قادرة على زرع بذور الانتماء والعطاء القومي لتنشئة المواطن الصالح المفروض فيه أن يتدفق ولاؤه في الاناء الوطني متخطياً الولاءات الصغيرة من عشائرية وطائفية وعصبية.

أما التركيبة اللبنانية فانها مفخرة هذا الوطن ولؤلؤة عالم القرن

العشرين لأنها نواة فعالة ونبراس حي يقتضي على العالم أن يحافظ عليها ويتعلم منها لحل مشاكله الاتنولوجية والطائفية، ولكن لسوء الحظ غازلت بعض الأنظمة العالمية الدول العنصرية وخاصة اسرائيل في تحطيم هذه التركيبة فكان على اللبناني أن يقف في وجه ما يخطط من أجل تدميره وخلق مأساته بدل أن يقع فريسة ما خطط له.

محطة الايديولوجية الثورية:

إن الايديولوجية الثورية التي ظهرت في الخمسينات كانت تفلسف الأمور اعلامياً وتبث الشعارات الوطنية وكأنها تنفخ في الريح لأنها لم تتفاعل حقيقياً مع ايديولوجية الحق ولا مع رنة الشعارات. كان للحكام أهدافهم من وراء ذلك. أهداف التخدير الوطني للشعب بتحويل أنظاره عن واقعه الاجتماعي والتكنولوجي الى أزمات خارجية وانتقادات لهذا النظام أو ذاك لأن بذلك يتسنى للحاكم وأرباب السلطة الاسترخاء في أروقة الحكم وعدم الاهتمام بتطوير وتصنيع المجتمع.

إن موجة الخمسينات قد سلطت على العرب وخاصة اللبناني، النزعة الثورية العاطفية التي كان يبثها إليه أرباب السلطة. كادوا أن يحرقوه بكلمات الثورة، بمفرداتها، بمعانيها الرنانة وبأهدافها، فبات يقضي وقته للتحدث عن الثورة، وأي ثورة يبغي؟ الثورة العاطفية التي أقلق الأرض والسماء بطنينها ورنينها؟ أم الثورة التي أقلق بمزمارها أهله وجيرانه وهو لا يعلم عن مفاهيمها سوى هذه الكلمات والجمل المحفوظة؟ مسكين هو الذي علموه من الثورة الألفاظ لا العمل الثوري. ومساكين هم الذين علموه لأنهم غرقوا معه في أوحال لبنان.

الثورة الحقيقية هي ثورة التكنولوجيا والعلم الحديث، هي ثورة التنظيم والرؤيا المستقبلية الصائبة، ثورة الانسان من أجل حقه في الحياة كل الحياة، إنها ليست ثورة الغوغائية والفوضى التي لا تميز بين ما هو

مزيف وما هو أصيل وبين ما هو حق وما هو باطل. هـدف الغوغـائية التخريب، والتخريب هو نتاج الثورة العاطفية التي تحمل ضمن طياتها شعارات لا تعرف كيف تعمل من أجلها وتخدم آمالها. أماا الايديولوجية الثورية بمفهومها العلمي فهي وليدة عدم الاكتفاء الجماعي والشعبي بصيغة النظام وتطبيق القانون والانحراف السياسي عن الأهداف القوميـة. ففي برامجها الثورية الاصلاحية تعمل على التخلص من الذين نصبوا أنفسهم قيمين على رأس المؤسسات. ومن هذا المنطلق تعمل الثورة على تزويد المؤسسات برعيل كفوء من رجـالات العلم والاختصاص لتخـرجها من الانحراف السياسي والطغيان الاجتماعي اللذين كانا يسودانها في الماضي.

نحن نؤمن بالثورة القادرة على تقييم نفسها موضوعياً ضمن المرحلة التي تعيش فيها وتضمن لنفسها استمرارية البقاء ضمن نطاق فعاليتها في شؤونها التنظيمية والايديولوجية مترجمة ذلك الى أعمال صادقة تنسجم مع روح الثورة الحقة، وإذا لم يكن ذلك فسوف تجد هكذا ثورة أبواباً مقفلة في وجهها وترى أنها منغلقة على نفسها وتتحول عندها عملية استشفاف الغد والتفاؤل بالمستقبل الى ضرب من ضروب التعامي عن الجماهيـر والتصور الحقيقي لما تخبئه الأيام.

أما الايمان بالله بالمفهوم العلمي لا التجريدي فهو عامل تطويري أساسي للثورة يجعل الثائر يؤمن بما يعمل ويعمل بما يؤمن. فلو كانت هذه هي الفلسفة الثورية في الحرب اللبنانية لما كنا وجدنا أن العقائد الثورية التي تعتنقها الأحزاب قد تحولت الى صراع طائفي بغيض في هذا الوطن بعد أن وجد زعماء هذه الأحزاب أن ايديولوجيتهم لا تحمل إلا الاسم والشعارات لقد سخرت هذه الايديولوجيات تعاليم محمد والمسيح الى رصاصات جهنمية باسم الطائفية تفجر حقداً وضغينة وجاهلية.

أصالة الثورة هي أن تفصل نفسها عن العاطفة والغرائز البشرية النتنة وتبقى موضوعية مع ذاتها كي تتخلص من سلبيات الماضي، تستثمر من

الذين توالوا على الحكم منذ الاستقلال. كان عليها ألا تفرز قيادات كالتي أفرزت لأنها بذلك لا تقضي على رجال الاقطاع السياسي إنما تعزز دورهم وتربط الشعب بهم لأن البديل لم يكن بالأصلح والأحسن منهم بل ربما كانت هذه القيادات الجديدة من صنع التقليديين لا الثورة. أوجدوهم دعماً لمكانتهم وتفسيراً لبقائهم كعامل استقرار وهدوء أمني لأن القتال في هذا الوطن كان بلا سبب ولا مبرر وأن معظم القيادات التي أفرزتها الأحداث لم تكن بمستوى المسؤولية الوطنية وتحمل عظام الأمور.

المحطة النوعية عند اللبناني:

هذه المحطة هي محطة الازدهار الاقتصادي عند اللبناني التي أصبحت بفضل طاقاته ما قبل الحرب موضع مفخرة بالتحصيل المادي وتوظيفه لخدمة لبنان وانعاش المواطن ودفع الاقتصاد الحر الى مراتبه العليا. وكان من الممكن أن يصبح الازدهار هذا ملك الجماهير ببركة ثورة صادقة تأخذ المبادىء الخلقية وتتخلص من الاحتكارات واقطاع المال. فمن جراء ذلك أخذت بيروت تضارب (وول ستريت) في نيويورك ومصارف زوريخ وباريس ومعظم عواصم الدول الأوروبية التي ترعى رصيد النقد العربي، وقد تحولت أنظار العرب وخاصة الدول المنتجة للنفط الى لبنان وشاركت مشاركة فعالة في دعم اقتصاده دونما تخطيط ودونما تحفظ بل إيماناً من أصحاب الودائع على سلامة أموالهم في المصارف اللبنانية على حرية نقل أو صرف أو أيداع أي كمية يشاؤون بالسرية المطلقة التي تعهد بها القانون اللبناني. ففي هذه الفترة بالذات نرى أن الظروف العربية والجغرافية قد خدمت لبنان وجعلت فئة كبيرة من اللبنانيين يسترخون في خضم الترف المادي متوجهين سعياً وراء التحصيل في جميع الدول العربية ليعودوا الى بلدهم ويزيدوا من ثرواته الطبيعية والبشرية.

أما بعد كل الذي هيىء للبنان فلم يكن من المنتظر أن يشاءه أبناؤه بلداً عربياً أو ذا وجه عربي فحسب إنما قلب العروبة النابض أميناً على

اقتصادها، غنياً بخيراتها وباعثاً لحريتها وديمقراطيتها. الرضاء بالعروبة عند اللبناني والتمازج الحقيقي معها كان أمراً طبيعياً ومنطقياً ما دامت العروبة ترعى كرامة لبنان، سيادته، أمنه حريته واستقلاله.

لقد كتبت جريدة «الليموند» الفرنسية مقالا تحليلياً عن أزمة لبنان تقول إن بعض أطراف المؤامرة الرئيسية هي اقتصادية. فقد خططت بعض الأطراف من دول (تحسد لبنان على مركزه المادي) ومن شركات كبيرة متواطئة مع الصهيونية لشل هذا النمو ونزع الثقة المصرفية من لبنان. لم تشأ هذه الأطراف أن تكون بيروت ملتقى الشرق والغرب ولا مركزاً رئيسياً لتحويل النقد ولا مقراً لمكاتب الشركات الأجنبية والعربية فعملت جاهدة على تخطيط المؤامرة التي تضرب بها عوامل الاستقرار اللبنانية واستمرارية الحكم الدستوري والشرعي. لم تصطدم هذه المؤامرة بشيء لأن الطبيعة البشرية والجغرافية في لبنان كانت صالحة وناضجة لتفجير الوضع ونزع الثقة المصرفية منه. ناهيك عن الأطراف الدولية ذات الوجه السياسي في الصراع وأزمة الضمير العربي التي عانى منها لبنان طيلة فترة الأحداث ما عانى حتى جاءت صرخة لبنان للملوك والرؤساء العرب كي يستيقظوا وينقذوا لبنان فكان مؤتمر الرياض ثم مؤتمر القاهرة ليؤلف ما بين قلوب العرب ويقضي على أزمتهم في لبنان ويجعلهم يدركون أنه لو لم يكن بينهم بلد كلبنان لكان عليهم أن يجدوه لأنهم بحاجة إليه بقدر ما هو بحاجة إليهم.

محطة الثورة الاجتماعية:

إذا كان الصراع في لبنان صراعاً اجتماعياً فكان لا بد من أن ننطلق من موقع الثورة الاجتماعية ـ موقع الحرمان ـ أن نطالب بالحوار الصادق وانعاش المناطق المحرومة وإلغاء دور التمييز في وظائف الدولة والاصرار على التمايز في الكفاءات واعطاء كل ذي حق حقه، ومحو الطائفية السياسية من قاموس هذا الوطن ليتسنى لشعبنا النهضة المرموقة.

ثورتنا الاجتماعية يجب أن تكون في مضمار التمدن والرقي، كما طالب به المخلصون لا أن تكون حرباً جاهلية مليئة بالحقد والضغينة والكراهية.

ثورتنا الاجتماعية يجب أن تكون في مضمار التمدن والرقي، كما طالب به المخلصون لا أن تكون حرباً جاهلية مليئة بالحقد والضغينة والكراهية.

ثورتنا الاجتماعية في سبيل خلق الانسان اللبناني المتميز بثقافته وعلمه وتمدنه لا الانسان اللبناني الذي كتبت عنه الصحف العالمية نافية كل ما سطر التاريخ عن رقيه وتقدمه. نعم لقد كتبت عنه كانسان مفصول عن تاريخه ومفصول عن كل مدنية يعيشها إنسان القرن العشرين.

الثورة الاجتماعية هي تراث، وحفاظ على التراث وانطلاقاً منه الى التحول البناء الكبير. إن أرض لقاء الحضارات يجب أن تبقى وتتفاعل على أرض لبنان ليبقى متحف التاريخ اللبناني قائماً ومنوراً ولتبقى أصالة الشخصية اللبنانية بتراثها فاخرة لتتمازج مع هذه الحضارات وتعطيها ما تستطيع من طابعها الوطني.

إن عبرة اللبناني بعد اليوم هي أن يعرف ما هي قيمة الدولة حتى ولو فرضياً كانت من أرذل الأنظمة لأنها مهما يكن كانت ترعى شؤون المواطن، ولو على أقل تعديل، كانت تحميه من شريعة الغاب وحكم الميليشيات. وعلى اللبناني أن يعرف أن نوعية هكذا دولة هي دائماً من صنعه، فعليه أن يطورها بثورة اجتماعية عادلة ضمن نطاق الأسس السلمية والديمقراطية.

احترام الدستور والقوانين واجب ما داما من صنع انسان هذا الوطن وتخطيهما لا يجوز إلا بعد تغييرهما وتبديلهما بما يتناسب مع متطلبات الثورة الاجتماعية.

تعميق جذور التربية الوطنية والانفتاح الحقيقي على مناهل العلم وخاصة التكنولوجيا أمر يجب أن يكون نبراس الثورة الاجتماعية وذلك أن تتوحد المناهج التربوية في جميع فروعها.

إن ثورة اللبنانيين الاجتماعية الصادقة لا يجمعها يسار ولا يمين على حب هذا الوطن وخدمته بعد أن أثبت الطرفان في تطرقهما أنهما يحتاجان الى الحد الأدنى من القيم الانسانية والمبادىء الخلقية كما أنه لا يسار ولا يمين يجمعها إلا في سبيل تحرير الأرض والانسان.

النظام اللبناني ولعبة الأمم

على ما يظهر لنا من انعكاسات التاريخ أن المصريين القدامى كانوا يؤمنون أن القمح الذي كانت تعتمد عليه حضارتهم لا ينمو إذا لم تكن هنالك تضحيات بشرية لأصنام كانوا يعبدون. إنه لمنطق جشع بالنسبة لنا حيث كانت آلاف من القلوب تنتزع من أجسادها في سبيل حضارة الفراعنة، الحضارة التي كانت في رؤياهم مرتبطة برضى الآلهة، فإن جف الموسم ولم تهطل الأمطار قرعت طبول الفرعون لتنذر أن الآلهة غاضبة وعليهم أن يقدموا أكثر من الذبائح البشرية لارضائها. إن صحة تصويب رأي المصريين القدامى قد أفل بعد أن تبين لهم أن رؤياهم خاطئة وآلهتهم باطلة وحضارتهم تستوجب الحفاظ على العناصر البشرية لزراعة وحصادة القمح لا على ذبحها وقتلها.

الرؤيا بنظر أصحابها واقع يشبه الحقيقة أو هي جزء من الحقيقة وعلى الانسان أن يتصرف ويعمل وكأن رؤياه صادقة في أكثر الأحيان لبيئته وللعالم الذي يعيش فيه، وإذا تسرب خلل في الرؤيا فيجب العمل على تصحيحه بالطرق العقلانية بدل أن يتطور ليصبح داء عضالا يمخر جسد المجتمع. الرجل العامي يسند رؤياه الى الخرافة والتنجيم، الى خبرته وتجاربه الشخصية في الحياة وعلى هذا الأساس يتصور المستقبل بعين قصيرة النظر ولا يرى في قرارة نفسه سوى مصلحته الفردية التي تسيطر

على كل مصلحة وطنية كانت أم اجتماعية أما الرجل المتعلم الواعي لحاضره ومستقبله فإنه يسند رؤياه الى العلم والمعرفة وأحداث التاريخ وأحياناً يصفح عن خبرته الفردية ويعمل على تصحيح أخطائه إذا كان هنالك من أخطاء كي تكون رؤياه صائبة عما يدور حوله من شؤون وشجون وعلى فهم الخطأ يبنى التصحيح.

السؤال يدور هنا عن رؤيا اللبناني لوطنه ومستقبل هذا الوطن في هذا الوقت العصيب الذي نمر فيه. الوقت الذي تسيطر عليه شريعة الغاب وغوغائية الفكر اللذان يعملان على تشويه الرؤيا الصحيحة للوطن والمجتمع. إن رؤيا اللبناني الصحيح ليست كرؤيا المصريين القدامى بتقديم الضحايا عربوناً صادقاً للآلهة كي تحفظ لهم القمح والحضارة.

إن رؤيا اللبناني الصحيح ليست بسفك الدماء على أرض الوطن عربوناً للتعايش والتضامن الأخوي.

كلا هذه ليست رؤيا اللبناني الصحيح الذي سجل عبر التاريخ عبقريته وتصوره للمستقبل كما أنها ليست عبقرية اللبناني الذي عبر البحار والأجواء ليعمر أوطان الغير وهو الآن يبكي مستنجداً فيمن يعمر له وطنه.

إننا لا نستطيع القول إن اللبناني جاهل لا يسند رؤياه الى العلم والمعرفة، كما لا نستطيع أن نقول بأنه لا يختبر الماضي ليستمد منه المستقبل. مستقبل لبنان الحضاري في القرن العشرين ورسالة المستقبل الذي نادى به آباؤنا وأجدادنا لا في خلق الامبراطوريات والدكتاتوريات إنما مستقبل المشاركة في حضارة انسان القرن العشرين. إنما الحقيقة هي أن هنالك اختلاف في الرؤيا، رؤيا الحاضر والمستقبل عند أبناء الوطن الواحد. إنها صورة الماضي القريب التي يصعب على الانسان رفضها، صورة الآلام التي تعصف بنا، صورة الأحداث الطائفية التي توالت على لبنان وفرضت على الفرد أن يعيد الذاكرة بتصوراته ويهوى ليعيش رؤياه بناء

على ما يجري على الساحة اللبنانية الآن لأن هذه الأحداث جعلت منه فرداً عاطفياً يمارس طائفية سياسية لا طائفية طقسية فقد وقع فريسة الطائفية السياسية التي يمارسها لأجال السياسة والنظام في هذا البلد. لم يسنح له طيلة تربيته وتنشئته الوطنية أن يصب ولاءه الفردي للمؤسسة الدستورية الكبرى التي هي الوطن إنما قد انتزع منه هذا الولاء الزعماء السياسيون حيث بات لا يستند بصدد ضماناته وحقوقه الفردية إلا عليهم وليس على الوطن وما ينتج عنه من مؤسسات.

في المجتمع الصحيح يعطي الانسان ولاءه للمؤسسات الدستورية الحرة التي أوجدها الفرد والجماعة لحماية المصالح والحقوق الوطنية بما في ذلك حقوق الفرد والجماعة ويدرك القائمون على رأس هذه المؤسسات أنهم إذا استقطبوا ولاء سياسياً في المجتمع إنما يستقطبونه للحفاظ على تلك المؤسسات وليس على تهديمها أو تسخيرها لهم ولأزلامهم القيمين على شؤون المؤسسات الدستورية أن يطلبوا الولاء من أفراد المجتمع أملا بأنهم سالكون طريق الملاك السياسي الحديث، فالنشأة والالتزام السياسي عند المواطن اللبناني يعطيان الزعماء السياسيين درجة من القيادة لا تستطيع المؤسسات الدستورية أن تنطلق حرة الأيدي من دون أن تخضع لنفوذهم ونفوذ أزلامهم.

إن الضمير السياسي والانتخابي عند اللبناني لم يكن ظاهرة عفوية ولا براءة إلهية في عهدة المنتخبين إنما نزوات ومصالح ذاتية تنساق وراء الزعامات التقليدية التي جمدت الاندفاع الانساني نحو حرية المؤسسات الدستورية حتى أصبح المواطن أداة مسيرة بدل أن يكون مقود التحرك والوعي الاجتماعي. الوعي الاجتماعي الذي ينتج عنه اجماع وطني ينعكس في نمو وصيانة هذه المؤسسات لخير المواطن وخير وطنه. هذا النمو بدوره يولد الطاقة الانصهارية بين جميع الطوائف اللبنانية. المؤسسات الحرة وحدها وليس غيرها يجب أن تكون المقياس الأصلح

وإذا هيء المقياس بالشكل الصالح عندئذ تنبمث طاقات الايمان عند الفرد والجماعة على أقل شيء الى صيغة واحدة ألا وهي أن المشاكل العامة يجب وبالامكان حلها بالطرق السلمية وتحت أفق نظام شرعي تملك مؤسساته المقدرة الكاملة لحل النزاعات واتخاذ القرارات التنفيذية للجماعة ككل متخطية التوترات الاجتماعية والتسوية الترقيعية والانتقام الطائفي المفتعل.

إن المعطيات الأساسية لوحدة الوطن اللبناني يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الأوليات الضرورية ويلتزم بها أصحاب النظرة المستقبلية الصائبة بمن فيهم المسؤولون والحاكمون.

أولا ـ الحفاظ على المقدرات الجاهزة للنظام وتقويتها كوحدات قوى الأمن والجيش لتكون قادرة على حماية الوطن من نعرات داخلية وتعديات خارجية وبذلك تكون قد هيأت المناخ المناسب للمواطن كي يظهر ابداعه وطموحه في حدود الشرعية والحقوق المعطاة له من قبل مؤسسات الدولة الدستورية شرط أن تكون هذه المؤسسات صحيحة الانطلاقة صحيحة الجهاز يقودها مخلصون وقيمون على أهدافها. وأي شلل يصيب هذه المؤسسات لا شك بأنه يؤدي بالبلاد الى الفوضى والانفلات.

ثانياً ـ الحفاظ على القيم الروحية لكل طائفة في هذا البلد لأنه بهذه القيم يترفع الانسان والمجتمع الى التآخي والتضامن. إن الاقتتال بين اللبنانيين هو تهديم لهذه القيم التي يتحلى بها الوطن المميز عن غيره في تركيبته وتعدد طوائفه. فإنه من المتوجب علينا الحفاظ على مثالية الأديان والانصياع الكلي في ركبها وتياراتها الروحية بعد أن عصفت التيارات المادية في عالم لم يبق فيه سوى المصالح الذاتية. لم يبق فيه سوى الغرائز البشرية النتنة والأنانية العمياء العابثة برسالة الأخلاق، برسالة الأنبياء والمصححين.

ثالثاً ـ توسيع رقعة النخبة العلمية الصحيحة التي تضمن بوسائل الحوار العلمي الناضج بناء الهرم السياسي وتحزم هذه النخبة على قيادة المجتمع القيادة الصالحة بعد أن تبلور له رؤياه فيما يخص مستقبله ومستقبل وطنه. النخبة هي القيادة الجماعية التي يقع عليها عاتق المسؤولية وتحمل الأعباء. فإذا وجدت النخبة ووجد الانسجام بين أفرادها نعم الوطن بالانتعاش والاستقرار حيث أن النخبة بامكانها التفاعل والتأثير على الأحداث والسير في ركب الحضارة العصرية.

رابعاً ـ توزيع المسؤولية والاختصاص اللذين يشكلان أسساً وطيدة للنمو والثروة الوطنية. إن عصر القرن العشرين قد جعل الاختصاص ميزة ظاهرة تجعل الفرد يتفانى للنبوغ والتفوق في حقل اختصاصه مثلا: إن الطبيب الذي يخفف آلام الناس ويعمل على شفائهم من أمراضهم وخاصة إذا تفوق بزراعة القلب أو الكلى وهلم جراً، من أمراض يعجز عنها الطب، يشعر بلذة وسعادة نفسانية ضمن حناياه لا تضاهيها سعادة أخرى في الحياة كذلك الجيولوجي العالم في طبقات الأرض إذا وجد ماء أو بترولا أو معدناً في أجواف الأرض فإن سعادته لا تضاهيها نيابة أو زعامة الخ.. من أصحاب الاختصاص. لكن المؤسف في لبناننا هذا أن نوعية الاختصاص باتت كلها سياسية وكأن للذة النيابة أو الوزارة هي أكبر لذة من إشفاء المرضى أو اكتشاف كنوز الأرض.

خامساً ـ المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية لكل الأفراد حيث يبقى الجميع تحت حرمة القانون مهما كانوا ومهما عظم شأنهم. إذ أن لا كرامة أكبر من كرامة القانون والوطن يصون هذه الكرامة الانتماء القومي عند الفرد وقد يعبر عن هذا الانتماء التزامه بحفظ حقوقه وحقوق أخيه المواطن والذود عن حدود الوطن الذي يضمن له هذه الحقوق بالتضحيات في وجه العدو لا بالاقتتال الطائفي الذي نشهد بما فيه قتل الأبرياء وتهديم المؤسسات العامة والخاصة التي دفع اللبنانيون أعمارهم

وأموالهم في إنشائها وتطويرها لتنعم عليهم وعلى أبناء الوطن بالعمل والانتاج المثمر الذي يستفيد منه الجميع.

سادساً ـ استنباط البعد المستقبلي كي ندرك في رؤيانا المستقبلية ما تخبئه لنا مرآة الزمن من أزمات اقتصادية هي شبه عالمية بداية من أزمة المواد الغذائية في عالم يتكاثر أبناؤه كل يوم بأفواه فاغرة لا ترحم، الى أزمة الزيت وتهافت الدول الصناعية على اقتنائه. فمن المتوجب علينا التخطيط لكبح هذه الأزمات فيما يتعلق بوطننا بالمعالجات الموضوعية والدراسات العلمية ونترك لأصحاب الاختصاص امدادنا بأبعادهم المستقبلية لحل معضلاتنا دون أن نتخطاهم بالعقلية العشائرية والتسلي بتوافه وصغار الأمور. الأبعاد الاقتصادية لا تأتي ولا تثمر إلا بالنمو الاقتصادي المتناسق برعاية المؤسسات الاقتصادية والرؤيا السليمة بما في ذلك العمل على تحريك هذا الاقتصاد وتشعيبه ليكون اقتصاد الجميع، اقتصاد الفلاح والمزارع والعامل والموظف والمهني وكل يد تعمل.

سابعاً ـ الرصانة في الاعلام الوطني هي مرآة حقيقية لادراك كنه الغد لأنها تنطلق من واقع الحاضر لبناء مستقبل التفاؤل فإذا وضع المواطن في الصورة الحقيقية لحاضره من قبل ما يقرأ أو يسمع فإنه يعيد النظر في التكفير عن ذنوبه. في التكفير عما عملت يداه ولسانه بإيذاء وطنه وأبناء هذا الوطن وإن كان هذا المواطن بعيداً عن النزعة الاجرامية والضغائن والحماقات والتعصب الطائفي فليكفر عن أبناء ماتمعه الضالين الذين وقعوا فريسة التخلف الخلقي والعصبي المعيين. كم هو حري أن يجتمع محرر ومراسلو الصحف في هذا البلد بصوكة دائمة لبلورة أوضاع الساعة فيما بينهم قبل نشرها في الصحف اليومية ليكونوا القدوة الصالحة والنيرة لأبناء مجتمعهم ويكونوا مرآة لمستقبل الحلم الذي نصبو إليه جميعاً ألا وهو تماسك المجتمع اللبناني في لبنة واحدة.

ثامناً ـ ظاهرة تعدد الأحزاب في لبنان هي وليدة الديمقراطية في

الأصل وتصحيح لهذه الديمقراطية في الهدف. الهدف الذي تصبو إليه الأحزاب في رؤياها المستقبلية. عسى ألا نخطىء حين نقول بأنه كلما كثر عدد الأحزاب في الوطن كلما ارتقى هذا الوطن درجة أعلى في الديمقراطية فقد كانت هذه رؤيا سوكارنو لدعم أمته والسير بها نحو ركب الديمقراطية فشجع تعدد الأحزاب حتى أصبح في أندونيسيا مئة وخمسون حزباً. أندت جبين الديمقراطية المتوخاة وأدت بسوكارنو وحلمه الى الهلاك لأن تلك الأحزاب عاشت صراعاً حزبياً وغوغائية فكرية فيما بينها أدت الى تضعضع الهدف وتفكيك جذور الوطنية الاندونيسية.

الأحزاب المتعددة، وعندما نقول متعددة نعني بأن هنالك مناخاً ديمقراطياً يسمح بتعدد الحزبية، فتحت خيمة الديمقراطية تنفتح وتنبلج الأحزاب في حوار عقائدي وجدل سياسي واقناع فكري يثمر ويعطي نتائجه في صندوق الاقتراع وليس بالتمرد والمتاريس والتصرفات العوجاء التي تعيدنا لرؤيا سوكارنو في تعدد الاحزاب فتندم على تعددها ونبكي على الديمقراطية المتوخاة من ورائها. نحن نعلم أن لهذه الأحزاب في وطننا هدفاً واحداً لا يسمو عليه هدف ألا وهو الوقوف في وجه العدو وليس الوقوف في وجه بعضنا البعض اللهم إلا إذا كانت العقائد ظاهرية والنوايا باطنية.

تاسعاً ـ آمال الأفراد يجب أن يحافظ عليها من قبل المسؤولين والحاكمين حيث لا يبقى محروم في هذا الوطن. الحفاظ عليها ليس بالهجرة والاغتراب إنما بتصنيع هذا البلد لإيواء أبنائه واحتضان تطلعاتهم الفكرية. فإذا حرم اللبناني من الثروات الطبيعية كغيره من أبناء الدول فإنه لم يحرم من طموحه واستشفافه للغد. آمال الأفراد يجب أن يحافظ عليها لأن أصحابها مرتبطون بهذه الآمال وينتمون الى هذه الأرض ويتعلقون بها.

عاشراً ـ وضع حد للنهم المادي عند المحتكرين وفرض ضريبة تصاعدية حيث يصار الى ترميم الثغرة الاقتصادية بين طبقات المجتمع

اللبناني بما في ذلك إنعاش المناطق المتخلفة وامدادها بالمشاريع العامة وتأمين العمل لكل من يطلبه حتى لا يجد اللبناني في حياته فراغاً وجوعاً يمليان عليه نقمة وتمرداً على وطنه.

بناء على هذه النقاط العشر، يجب أن نبني رؤيانا المستقبلية كمواطنين بصدد خلق مختبر الانصهارية ضمن جدران البوتقة اللبنانية الواحدة ومنها ننطلق لتمازج أوسع مع إخواننا العرب على أسس بناءة وصريحة تحمل ضمن طياتها استمرارية التلاحم. هذا المختبر اللبناني الصغير باندماجية أبنائه وتعايش طوائفه يفجر حركة اعلامية تزعزع جدران القومية العنصرية كإسرائيل وغيرها وترمم ثغرات النزاعات الداخلية في العالم العربي وتساعده على حل مشاكله القومية.

هل وجدنا في لبنان البوتقة الكبيرة التي نصهر فيها ولاءنا من مؤسسات دستورية وخاصة الاقتصادية منها حتى تفيض علينا رعاية ونحن نمحضها بدورنا ثقة وإيمانا. هل بنينا مع إخواننا العرب الذين سيصبح دخلهم القومي عام ١٩٨٠ ضعف دخح السوق الأوروبية المشتركة واليابان مشتركتين سوقاً عربية مشتركة تستقطب ولاءنا أفراداً وجماعات وتتطور معنا في المستقبل إلى ولاء سياسي عربي به تتحقق وحدة عربية فعلية ما تزال منذ عقود وحتى الوقت الحاضر في نطاق الشعار والدعوة القومية العربية.

كان حلم ديغول وغيره من الزعماء الأوروبيين تحقيق القومية الأوروبية بعد أن وجدوا أن عظمة أوروبا ودورها الكبير قد وقعا بين فكي عملاقين يسيطران على النظام العالمي بما فيه أوروبا لكن المفكرين وأصحاب الرؤيا الصائبة قد عارضوا فكرة القومية الأوروبية لتفاوت في القوميات والتاريخ إنما وجدوا بديلا لفكرة القومية الأوروبية ألا وهو السعي أولا وراء الوحدة الأوروبية في عقد اقتصادي جديد ربما كان من نتائجه انبعاث آمال القومية الأوروبية فكانت بداية هذه الفكرةسوقاً أوروبية مشتركة تفيض بالخير والعطاء على جميع الدول الأعضاء. إن نظرة ليدنبرغ وكارل

دويتش وأرنست هاس وغيرهم من المفكرين يرون بعد دراساتهم الطويلة واحصاءاتهم المدروسة عن السوق الأوروبية المشتركة بأن الـولاء الذي ينصب في مؤسسة كهذه بعيداً عن الصراعات السياسية الأوروبية والعالمية في عالم تحمل على أعبائه ٩٥٠ مليون نسمة لا يزيد دخلهم السنوي عن ١٦٥ ليرة في السنة ربما يفيض عنه ولاء سياسي يساعـد على تحقيق الوحدة الأوروبية المتناسقة إن لم يكن القومية الأوروبية الواحدة.

فإذا كان الاقتتال فيما بيننا في لبنان خدمة للوحدة العربية فإننا على خطأ مبين لأننا بذلك لا نخدم إلا العدو. نخدم العدو لأننا نهدم مؤسساتنا واقتصادياتنا التي من ورائها نريد أن ينصب كل ولائنا وامكانياتنا المادية والمعنوية بالطرق العلمية والرؤيا السليمة في وعاء النضال القومي الأكبر لنكون أهلا لخدمة المعركة والتفوق على الذين يريدون بنا شراً.

الولاء والتعاقد المصلحي

في عصر نشهد فيه سرعة التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، يجد الفرد اللبناني نفسه في تخبط دائم ومستمر مع تيارات الولاءات التي يواجهها في وجوه عدة ومعقدة . وعندما ينطوي على نفسه يجد ان الخيار في متاهات الولاءات هو في حالة مد وجزر . ذلك لان ليس هناك من صيغة معينة من هذه الولاءات لا يتشابك بعضها مع البعض الآخر وتضع المواطن في حالة اخذ ورد .

ان الحيرة التي تواجه الفرد اللبناني هي مواجهة واقع يفرض عليه ليس عملية الانتماء بقدر ما هي عملية اتخاذ القرار كي يصب ولاءه العملي ضمن اطر يراها من خلال مفهومه الشخصي للولاء . وحتى لا يغيب عن فكرنا ان اللبناني مثله مثل اي انسان آخر في هذا العالم يحق له ان يفترض وان يتساءل اذا كان الولاء التقليدي في بلده لا يزال ساري المفعول ام ان هذا الولاء كان يجب ان يزول مع زوال المستعمر وينتهي مع اطلالة الاستقلال الوطني .

هل يستحق الولاء التقليدي الاعتراف به والتركيز عليه ؟ ان نزعة العشائرية والعائلية ليست من مقومات الدولة الحديثة . فاذا كان لبنان يقر لنفسه بأن دولته اصبحت في مصاف الدول الراقية وان الحرية التي يمارسها لا تؤخذ من النظام بل تنتزع انتزاعا من الحكم لانها من طبيعته ومن

تركيبته الديموقراطية . عندئذ فانه من البديهي جدا الا يعطي المواطن اي اعتبار لمفهوم الولاء التقليدي .

تساؤلات اكاديمية بحتة هل تركيبة لبنان بالنسبة الى مفهوم الولاء هي التي اودت به الى ما يعاني اليوم ، ام ان العاصفة كما يقول بعض السياسيين كانت اكبر منه بكثير ؟ الجواب عن هذه التساؤلات من الناحية العلمية ان هنالك « فئات اجتماعية » كان لها مع النظام اللبناني تعاقد مصلحي يفرض عليها حماية النظام ما دامت هي من التركيبة وشريكة في الغنائم ويبطل التعاقد عندما تجد هذه الفئات الاجتماعية ان فئات اخرى غيرها بدأت تنحو منحاها وتحاول الحصول على صك تعاقد مع النظام يعطيها ما كانت تأخذه الفئات السالفة . كيف يحصل ذلك ؟ ان علم الاجتماع السياسي يدل على ان النزاع المصلحي يبدأ مصلحيا وينتهي كذلك ، كل شيء يبرر المصلحة والوسيلة التي يجب اتباعها للوصول الى الهدف اذ ان الفئات التي لم تتعاقد مع النظام تسعى لازاحة فئة متعاقدة لتحل محلها والغاية هي المكاسب المتوخاة من النظام وما يدر عليهم من مكافأة ، عكس المنطق الوطني الذي يطلب من المواطن ان يسأل نفسه ماذا يستطيع ان يقدم لبلده بدل ان يسأل ماذا يستطيع ان يسلب من وطنه . التعاقد مع النظام هو غير التعاهد ، والعهد هو صيغة وطنية بينما التعاقد صيغة يمكن ان تتسم بالطلاق اذا قضت الحال . هذا يتم في الشكل والمفهوم التقليديين للولاء بحيث ان عشيرة ما تسعى لتحل مكان عشيرة اخرى ويبقى الولاء مرتبطا برئيس العشيرة . فالنظام اذاً ليس محط ولاء وطني انما محط عملية تعاقد معه يعطي العشيرة المنتصرة مكانة الاخرى وباسم الزعيم ويبقى النظام في نظر المفهوم التقليدي للولاء عملية وصولية وليست عملية بناء الأمة والمجتمع .

اذا كانت الانتفاضات الاجتماعية التي تبغي التغيير هي احلال عشيرة مكان اخرى ، فلا شك في ان مفهوم هذه الانتفاضات هو رجعي ولا يمت

الى مفهوم التغيير بشيء ، لان التغيير الثوري هو للاحسن وليس لبقاء كل شيء مكانه عدا تغيير في الأسماء والالقاب . وهنا يحق للسياسيين ان يقولوا ان العاصفة كانت اكبر من لبنان ذلك لان لبنان بمفهومه التقليدي للولاء لم يستطع الوقوف في وجه العاصفة فكان هذا الوطن ارضية صالحة تعصف بها العاصفة كيفما تشاء ويبقى المواطن الشريف مع وطنه تحت رحمة العاصفة الا اذا عاد النظام لتقويم نوعية الولاء الوطني الذي يقف سدا منيعا في وجه كل العواصف والمؤامرات التي تحاك لهذا البلد . المنطق الوضعي يدل على ان المتعاقد مع النظام هو غير المنصهر فيه والمتفاني لأجله ولخدمته . هو الذي يصب ولاءه بتجرد لان كرامة الوطن وكيانه هما اكبر بكثير من منافعه ومصالحه وتعاقده . ان حسن البصري وامثاله لا يستطيع ايهام الناس بأن خلاص لبنان لا يأتي الا من برجه العاجي ومن عقلية امرائه .

ان عامل الولاء السياسي والرئيسي على المستوى العام هو التوصل الى تحقيق الاجوبة عن التساؤلات التي تهم المواطن ، الا وهي مقدرة الدولة على مجاراة المتطلبات الانسانية من امن ورفاهية واستقرار وخاصة في مضمار السلام والحرب . ان الذي ينهي صراع الولاءات ويصبها في البوتقة الوطنية هو مفعول الدفع الحالي للطاقة السياسية التي هي في حوزة الدولة وتوجيهها في خدمة الولاء الوطني الذي هو مجمع كل الولاءات .

من حق المواطن ان يتساءل حول الاهداف التقليدية للولاء في اطار المعتقدات . ذلك لاننا نعيش في وقت كثرت فيه المعتقدات الايديولوجية المستورد منها والمحلي . وهي التي تدفع المواطن نحو ولاءات متعددة ومتنوعة ، وغوص اللبناني في متاهاتها هو خوفه من المجهول ومما تخبئه له الايام من مفاجآت حول مصيره ومستقبله ووجوده ككل وليس من علاج لذلك سوى انطلاقة الدولة في ازالة عقدة الخوف عند المواطن وتعزيز ثقته بالنظام وتحويل صيغة التعاقد الى صيغة تعاهد وطني ينطوي على ترابط عضوي وانصهار كلي في البوتقة الوطنية .

القانون والسيادة على أرض الجنوب

حيثما يوجد حق يجب أن تكون هنالك طريقة علاج للوصول الى هذا الحق. طريقة العلاج إما أن تكون باستعمال الطرق القانونية وإما باللجوء الى منطق القوة. استعمال الطرق القانونية هو العودة الى قاموس القانون الدولي الذي ينص على عوامل الحقوق الشرعية للأمة والسهر على سيادتها. أما اللجوء الى القوة فإنه سلاح كان ولم يزل أداة فعالة في خدمة السيادة الوطنية وجموحها. سلاح القوة ضروري ما دامت الأمم والأوطان ضرورية، والأمم التي لا تحمي سيادتها بالقوة فلا سبيل لها إلا أن تلجأ الى قوة القانون. هاتان القوتان لم تكونا صنوين لا يفترقان إنما كانتا في حالة مد وجزر. فعندما تلتقيان يقوم العدل بالقسطاس وعندما تفترقان فلا شك في أن العدل مقهور ومظلوم ومدحور.

لقد افترقتا على أرض الجنوب اللبناني وبقي الحق القانوني يصارع سلاح القوة، وحتى الآن لم يفلح، لأن القانون كلمة حق تقال أما سلاح القوة فهو ضربة تسدد في وجه «الكلمة الحق». إن كلمة الحق لا تموت لأن مؤداها ضمائر الرجال ومسراها وجدانية الانسان. فإذا ظلمت أو قهرت أو اندحرت فإن ذلك يزيدها بريقاً ويرصعها بأريج الأمل حتى يأتي اليوم الذي تحمل فيه على رأسها أكاليل الغار والنصر.

الانسان والأرض والحياة سلسلة تطور عبر التاريخ. سلسلة تطور

طلبها الانسان طوعاً ليعيش على بقعة من الأرض مع مجموعة من قومه. طلبها خوفاً من المجهول ومن عوامل الطبيعة وجورها. فمن هذه الطوعية في طلب العيش على أرضه أعطته سمة الحيوان الاجتماعي عبرة عن غيره من المخلوقات لأن أدوات التعبير «اللغة» كانت من معطياته الالهية. وبعدما استتب له أن يعيش في بوتقة الجماعة وجد أن عليه أن يتعايش مع المجموعات الأخرى وينظم شؤون وضعه فأصبح بالضرورة حيواناً سياسياً. هذا ما أقر به أفلاطون وسقراط بقولهما: «إن الانسان حيوان سياسي وإن السياسة هي أم الفنون وأرقاها اطلاقاً». إن تنظيم العلاقة بين المجموعات البشرية المستقلة التي اصبحت مع الأيام أمما وامبراطوريات وأوطاناً لجأت في تنظيم علاقاتها بعضها مع بعض الى قوة السلاح حتى جاء دور العقلانية عند الانسان. العقلانية الهادفة الى جعل هذه العلاقة علاقة مرتبطة بالحق. علاقة مرتبطة بشيء يدعى قانون الأمم وقد سمي لفترة مضت القانون الطبيعي. هذا القانون إن نص على شيء فإنه ينص أولا وأخيراً على تنظيم علاقة الأوطان بعضها مع بعض على أسس الحق المنصوص عليه والعقلانية المتعارف عليها.

أما هذا الحق من الناحية العلمية والتطبيقية فقد أخفق لكنه لم يتزعزع ولم يزل سنة يؤمن بها الانسان. يؤمن بها لأنها نزعة عقلانية متصلة بالحق. لكن هذا الانسان شاء أن يجعل من شرعة القانون الدولي وعقلانيته منعطفاً للتحليل والتعديل حسبما يرى ذلك متطابقاً مع أهوائه ومصالحه الوطنية.

إن القرارات الدولية التي اتخذت في صدد الوضع في جنوب لبنان هي قرارات تصب في صلب القانون الدولي ومبادئه. القرارات التي اعتبرت السيادة اللبنانية هي الأصل والمنطلق. سيادة الدولة على جميع أراضيها واحترام الآخرين لهذه السيادة هو منطق القانون الدولي. لكن حق السيادة الذي لا علاج له فهو حق يشبه الحق وهو ليس من الحق بشيء

سوى ادعاء ميثولوجي تتبناه مجموعة بشرية تحقن به أفرادها وتطعمه بكل معطيات الأخلاق والمنطق. رلكن عندما يأتي دور السلطة لحماية هذه السيادة نجد أنها عاجزة عن القيام بواجبها فلذلك لا ترى أن هنالك مجالا لها إلا المناداة باحترام السيادة وحرمة القانون الدولي.

عجز السلطة اللبنانية عن بسط هذه السيادة هو مدخل وجيه على صفحات كتاب القانون الدولي. لكن مسودة الادعاء لانتهاك السيادة اللبنانية أمام شرعة نظام الأسرة الدولية يصبح ادعاء مبتوراً لا تستطيع أدوات هذا القانون أن تطبقه أو تسير مع أصحاب الادعاء في اعطاء حكم ايجابي بشأنه. إن اللبناني الجنوبي يعرف ويفهم جيداً أن شرعية الدولة التي تحكم باسمه هي المسؤولة عن حفظ كرامته. سواء لجأت هذه الشرعية الى مبدأ القوة أو الى نصوص القانون الدولي أو الى نظام الأسرة الدولية.

إن أرباب السياسة اللبنانية ومهندسيها يدركون أن القانون الاجرائي في قاموس القانون الدولي لا يرتهن لأي ادعاء أو تصويب، إنما يطلب من صاحب الحق أن يتطلع الى الطرق والوسائل التي تجعل حقه قائماً ومؤثراً. كذلك إن اللبناني الجنوبي يشارك دولته في هذا الصدد إنما نفد صبره وطال به الانتظار. علم هذا الجنوبي أو لم يعلم أن القانون الدولي أو قانون الأسرة الدولية ليس بالقانون الذي يتعلق بشؤون وطنه الداخلية، وليس للقانون الذي يطبق على أرضه حسب الأصول وحسبما تمليه النصوص الدستورية. علم أو لم يعلم فإنه يطالب بالقانون أياً كانت نوعيته لأنه يريد أن يخرج من شريعة الغاب. نعم إنه يطلب العيش كمواطن ولم يعد وارداً في ذهنه أن يتعايش. وإن وردت صيغة التعايش فمع من؟ مع اسرائيل مغتصبة لأرضه؟ أو مع فئات منتهكة لكرامته؟

في حالة النزاع وتأزم الحالات كما هو الوضع في الجنوب، إن شرعة القانون الدولي لا تبغي في مثل هذا المناخ المكهرب سوى التوصل الى حل سلمي يخدم صاحب الحق. ولكن إذا لم يقبل أحد الأطراف

المتنازعين بما يمليه القانون، فبدون شك أن الرافض هو المستفيد وبكل تأكيد ليس الجنوبي. أما إذا استطاعت الشرعية اللبنانية واستطاع مهندسو سياستها الخارجية التوصل الى وفاق على أرض الجنوب يحفظ السيادة الوطنية بما فيها كرامة الجنوبي، فإن القانون الدولي يبارك ذلك من دون أن يدخل في ترجمة أحكامه. ذلك لأن جل ما يطلبه هذا القانون هو التوصل الى السلام ، لا فرق عنده كيف يتوصل الأطراف الى حل نزاعاتهم لأن المبتغى هو الابتعاد عن العنف والقتل والدمار ان اي طريقة يقبل بها الأطراف لحل النزاع من دون اللجوء الى الحرب هي الطريقة التي من أجلها وجد هذا القانون .

إذا كان قانون الحق يعبر عنه بـ «الكلمة» فإن قانون السيادة يعبر عنه بالتضحية إذا اصطدم بقوة السلاح والغوغائية. فلا سيادة من دون تضحية وإقدام لأن السيادة هي كالمرأة فإما أن تكون حاملا وإما لا تكون.

فهرس

الفصل الثالث

الصف الالكتروني والإخراج: مؤسسة للترابرس - ص.ب: ١٣/٥٢٠٦ بيروت
الخطوط: زهير كركي

هذا الكتاب

منذ عهود الإغريق وفلاسفتهم وحتى العصر الحاضر، كانت السياسة ولا تزال أم الفنون إذا لم نقل أم العلوم، برغم ما لحق بها من اتهامات على مر العصور، جعلتها خطأ مرادفة للمناورة والاحتيال، برغم إساءة تفسيرها وتحميلها مسؤولية كل الحروب الكبيرة منها والصغيرة.. وتقزيمها لتحويلها إلى فن الممكن مع أن المشكلة تكمن في تركيبة النظم وطريقة افرازاتها السياسية.

السياسة علم، هذا ما يؤكده الدكتور حسين كنعان، ويقدم صادقات الأدلة عليه في هذا الكتاب.. السياسة نظرية لها قواعدها، وأصولها.. لها مقولاتها وتطبيقاتها ومن موقعه الأكاديمي يستعرض الدكتور كنعان دولاً وأنظمة التزمت بها وبأخلاقياتها، فأبدعت وحققت التقدم لشعوبها.. ومنها من أساءت استخدامها فسقطت أو أسقطت.. فخسرت مواقعها ولم تربح شيئاً وفوتت الفرص على شعوبها..

الدكتور كنعان يقدم في مؤلفه نماذج سياسية قديمة ومعاصرة، ويحاكم تجارب رواد في السياسة أصابوا فربحوا الرأي العام، وتحولوا إلى منائر.. وأخطأوا فخسروا مواقعهم ورؤوسهم. إنها أطروحات فكرية تستقيم معها إعادة الاعتبار للسياسة ولحقيقتها العلمية، وتستوي جدلية التوفيق بين المبدأ والتطبيق. والغاية والوسيلة وذلك ما يحتاجه الساسة والقادة.. وحتى المواطن البسيط.



بيروت - لبنان

السعر : ٣٥ ل.ل.